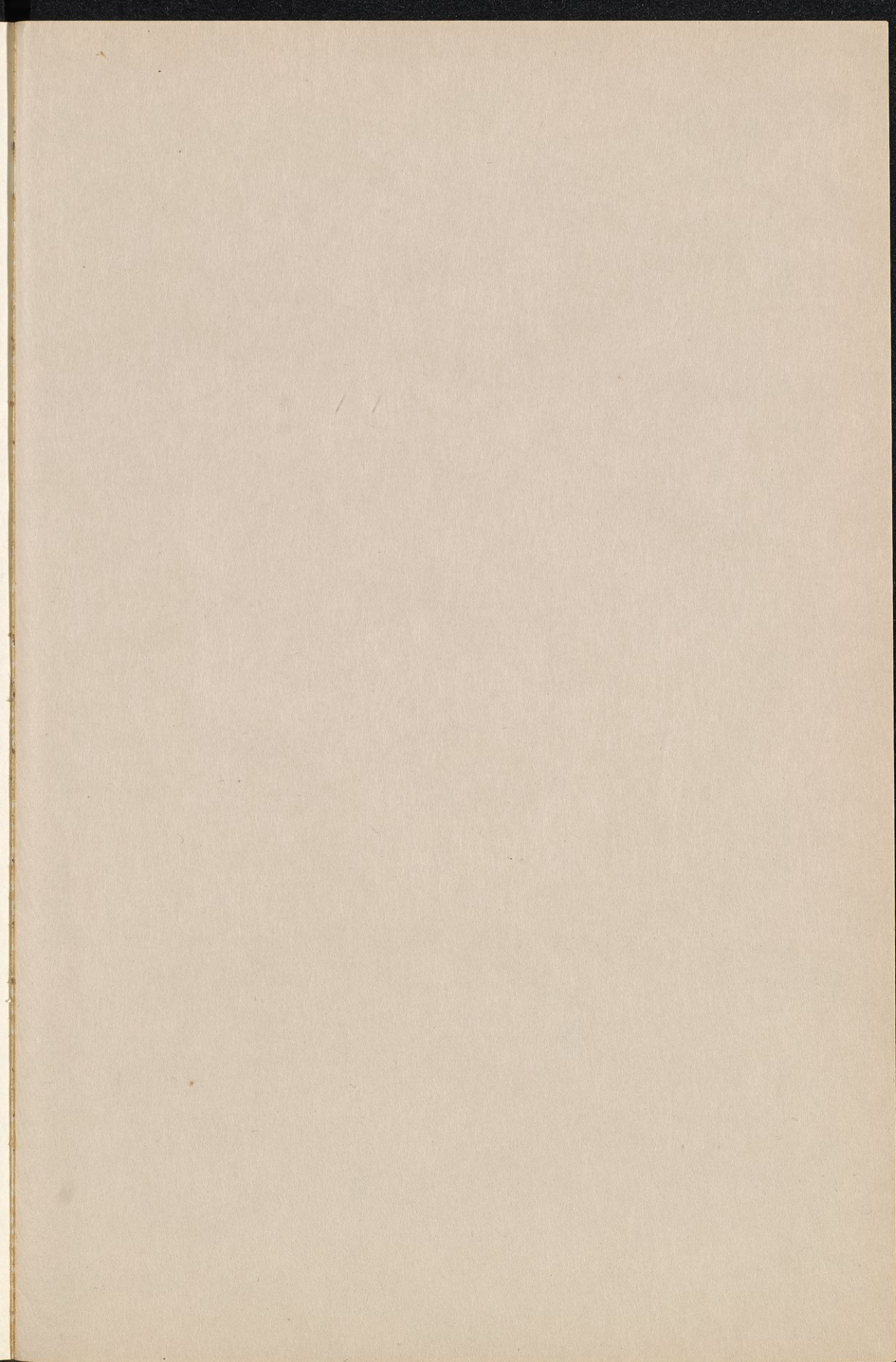


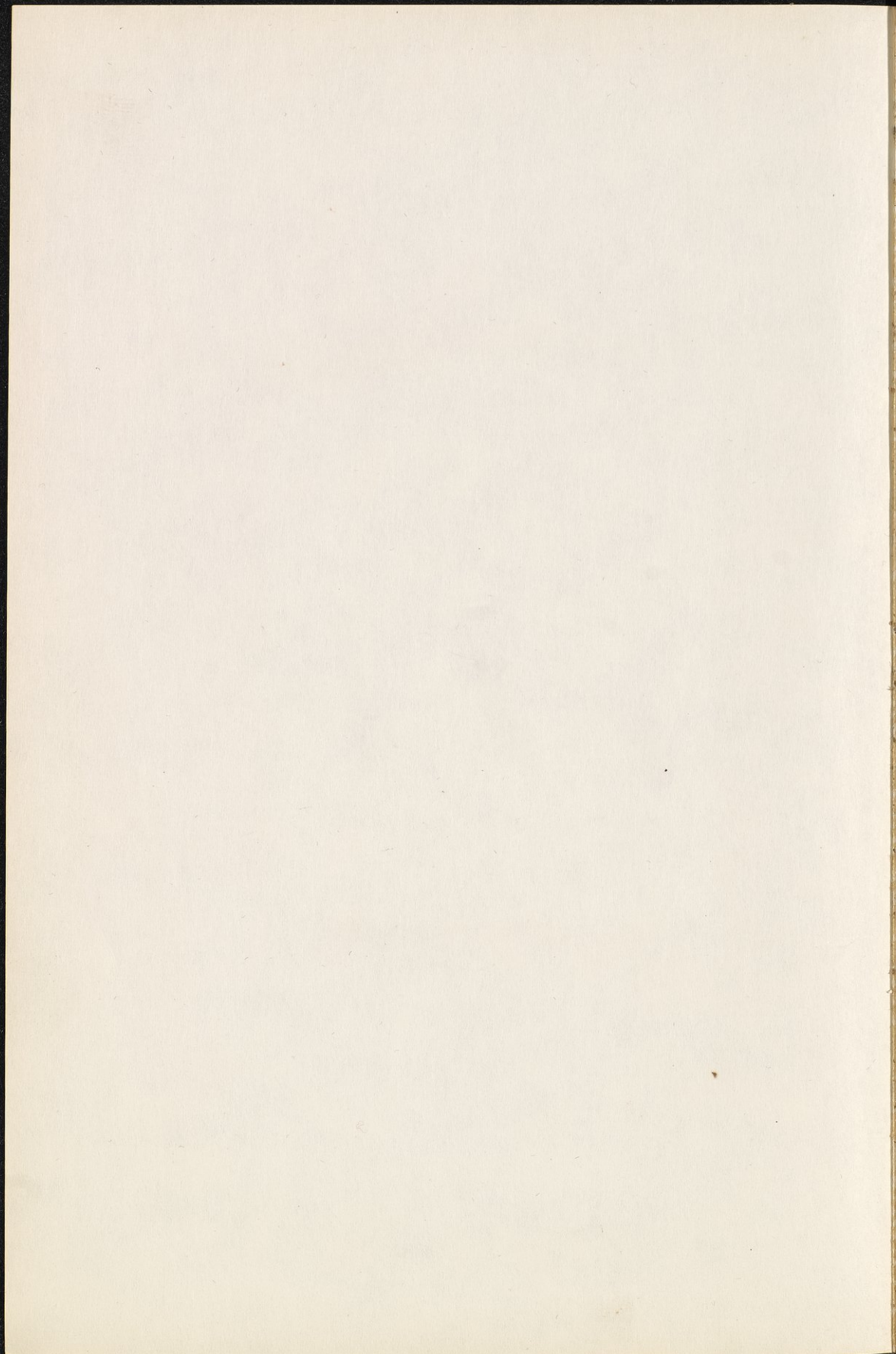


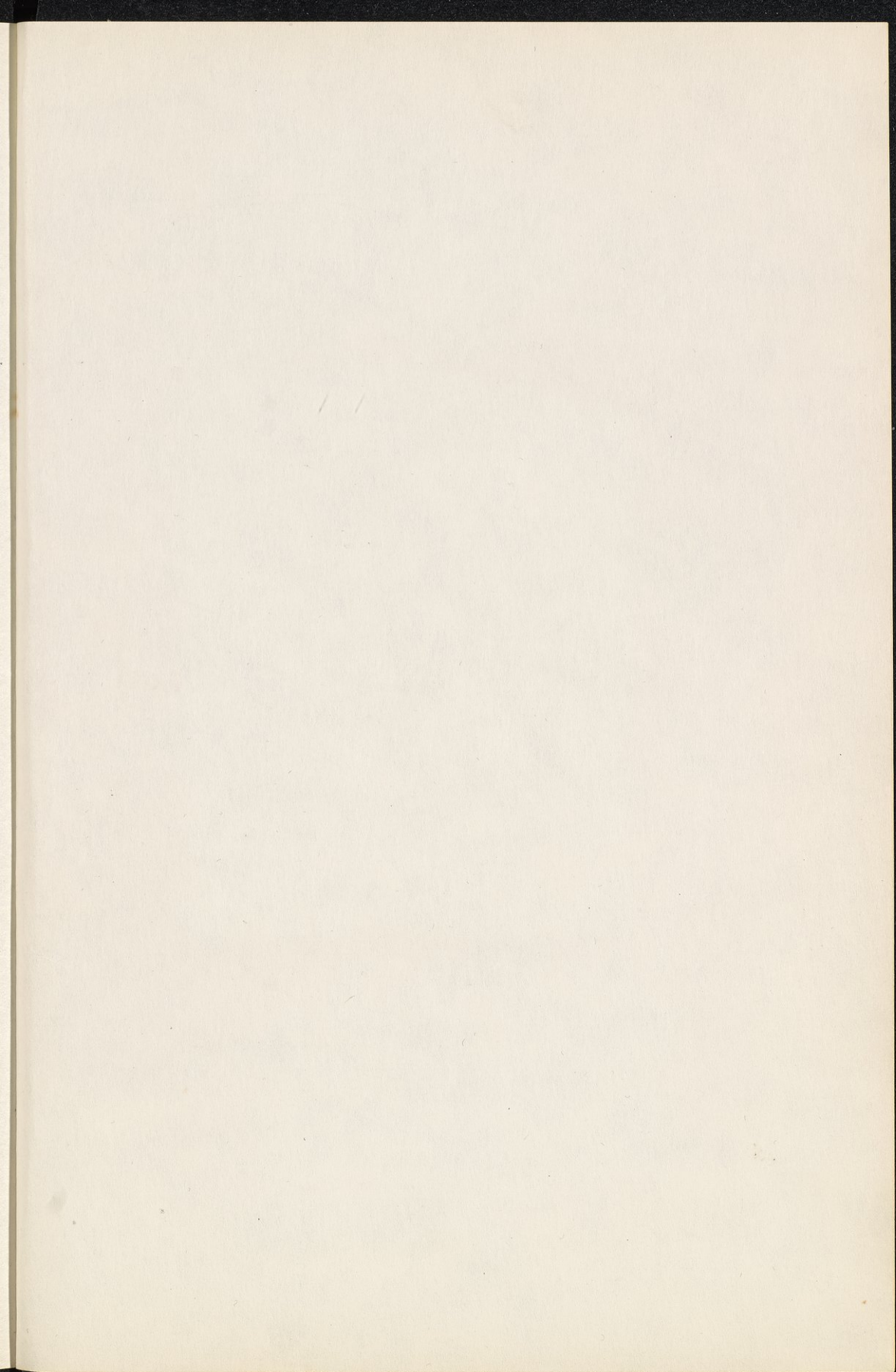
THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY



1851







For Purchase of Exchange
Central Library
University of Baghdad

سيفي الكعبي

السيرة عن النبوة

ساعات جامعة بغداد على طبعه

مطبعة الارشاد - بغداد

893.782

K128

///

قائمة المحتويات

المدخل

عندما أقدمت على كتابة هذا البحث ، كنت على علم بثقل المهمة التي القيتها على عاتقي ، وذلك لندرة المصادر التي تبحث في هذا الموضوع • إذ أن أحدا من الباحثين العرب لم يفكر في دراسة هذا الشعر على الرغم من أهميته ، وهو باعتقادي يشكل جانبا من تراثنا الادبي الذي قدر له أن يدون في عصر التدوين ، وليس من المعقول أن يقتصر تراثنا على هذا المدون فقط • فما زالت البادية تحكى الكثير من طبيعة الشعر العربي ، من احتفاظ باغراض هذا الشعر ومواضيعه ، وصوره ومعانيه •

ولقد حز في نفسي أن يهمل هذا الشعر ويترك نهبة للضياع والاندثار، ويسدل عليه ستار الاهمال والنسيان • فما أعلم أن باحثا قد خص هذا الموضوع بدراسة ، على حيويته وطرافته وعظم قيمته ، وجدارته بدراسة مفصلة مستقلة • ولا أعلم أيضا أن فنا من فنون هذا الشعر قد نال حقه من الدراسة ، على ما لهذا الشعر من أهمية ، فهو في رأيي لجدير بأن تستمد منه صور الحياة البدوية إذ أنه مرآة البادية ، ومجتل عواطف أهلها ومعرض اخلاقهم ، وديوان معتقداتهم وعاداتهم ، المترجم عن مثلهم ، فهو الصدى القوي الصحيح لحياتهم •

أقول ان أحدا من الباحثين لم يخص هذا الشعر بدراسة • • اللهم الا ما جاء في بعض المؤلفات التي انشئت عن البدو وانسابهم وعاداتهم • • • الخ ولم يكن الشعر غاية في هذه المؤلفات وانما مر عليه أصحابها مرورا وبشكل لا يتعدى ذكر بعض النماذج و اشارات الى التشابه الموجود بينه وبين الشعر الجاهلي فقط •

والسكوت عن هذا الشعر قديم • فلو فتشنا كتب التراث لما وجدنا فيها عنه شيئاً ، وهذا نقص التفت اليه ابن خلدون ، فسجل منذ قرون نماذج منه ، وتحدث عنه في مقدمته المشهورة ، الا أن أحدا ممن جاء بعده لم يحاول ان يكمل هذا الذي بدأ به علامتنا ابن خلدون • فبقى محصوراً في بوادينا والمدن الواقعة على سيف الصحراء عرضة للمضياع والزوال دون أن يفكر فيه أحد •

ولقد التفت الدكتور طه حسين الى ذلك ، في بحثه عن « الحياة الأدبية في جزيرة العرب » حيث يقول :

« ولسوء الحظ لا يعنى العلماء في الشرق العربي بهذا الادب الشعبي عناية ما ، لأن لغته بعيدة عن القرآن ، وأدباء المسلمين لم يستطيعوا - بعد - أن ينظروا الى الادب على أنه غاية تطلب لنفسها ، وانما الادب عندهم وسيلة الى الدين ♦♦♦♦♦♦♦♦ »

وهذا النقص الذي لاحظته هو الذي دفعني الى دراسة هذا الشعر والاهتمام به • فشرعت اجمع مادة هذا البحث منذ سنوات ، وتتبع ما كتب في هذا الموضوع واستعنت به ، على الرغم من قلة هذا المكتوب مما لا يشبع حاجة الدارس ولا يعطى الصورة الكاملة الواضحة عن هذا الشعر لذا قررت الاعتماد وبالدرجة الاولى على النصوص ، ادرسها واستخلص منها واستنتج • فرأيت لزاماً علي أن اتلقى هذه النصوص من منابعها الاصلية فتوجهت الى البادية ، وخالطت أهلها وتنقلت من حي الى حي ومن قبيلة الى قبيلة استمع واسجل كل ما أسمع ، وأسأل واستفسر حتى خرجت بشرة قيمة من شعرهم كانت عمادي الاول - كما أسلفت - في دراستي هذه •

ولقد عكفت على هذه المجموعة ، أدرسها وانقب في ثناياها حتى خرجت بهذا البحث ولست أزعم اني أتيت على كل ما يمكن أن يقال في

هذا الموضوع الذي كانت آفاقه تتفتح أمامي كلما أوغلت في البحث
وتقدمت فيه ♦

ومما ساعدني على تفهم هذا الشعر والاحاطة به وتذوقه ، هو أنني
أملك ما يلزم دارس هذا الشعر ، أعني السليقة التي تربت في محيط
بدوي ، ونما ذوقها على مألوف عاداتهم ، ومصطلح فَنهم ، وتدرجت على
طرائقهم في التعبير عن انفسهم وأحاسيسهم ♦ وهذا امر مهم على ما اعتقد
لأن الدراسة والنقد والتحليل لا تكون الا عن فهم ، واحاطة ، وتذوق وتلك
حالي ♦ فقد نشأت في مجتمع قريب من البداوة تسيطر عليه المفاهيم والمثل
البدوية ، مجتمع ينظر الى البداوة على أنها القمة في النقاء والاصالة وصفاء
النسب ♦ وانها القدوة والمثال لكل ما هو حسن ، حتى ان الفرد في منطقنا
ليتشبه بأهل البادية في حديثه وتصرفاته ان أراد الظهور بمظهر العريق في
النسب والرفعة في المكانة ♦ ومن الطبيعي أن يكون لنشأتي هذه أثر عميق
في نفسي ، فنشأت معجبا بالبادية ، محباً لأهلها ، التذ بأخبارها وأيامها
وحكاياتها ، شغوفا بكل ما يروي في المجالس عن البدو ، وكنت استمع الى
اشعارهم يرددوا الشعراء بمصاحبة الرباب فاهتز لها وأطرب ، واسجل
البعض منها واحفظه ♦

وبعد أن انتهيت من دراسة النصوص التي حصلت عليها ودونت
ملاحظاتي والنتائج التي توصلت اليها ♦ رأيت من المهم والمفيد أن أتكلم
عن البدو وأقسامهم وأوصافهم ومزايهم وتكوينهم الاجتماعي وحالاتهم
الاجتماعية وحياتهم العقلية والدينية ، ذاكرا أهم القبائل التي ما زالت
على بداوتها حتى الآن محددا مساكن كل قبيلة من هذه القبائل ومناطق
انتشارها ، وجعلت كل هذا بابا مستقلا هو الباب الاول ويتألف من خمسة
فصول ، تحدثت في الفصل الاول عن البدو ، أوصافهم وأقسامهم وناقشت
آراء بعض الغربيين في هذا الموضوع أمثال مولر الفرنسي ، وذكرت آراء

أخرى لغربيين آخرين أمثال رينو ورفيقه مارتينييه وبعض ما جاء في الرسالة الخاصة التي أصدرتها مصلحة الاستعلامات التابعة للمفوضية العليا الافرنسية أيام الانتداب على سوريه • وذكرت آراء بعض الكتاب العرب أمثال الاستاذ وصفي زكريا صاحب كتاب عشائر الشام • وفي الفصل الثاني تحدثت عن أهم القبائل البدوية وانسابها ومواطنها معتمدا في ذلك على ما أخذته منهم وعلى ما جاء في كتب الانساب وغيرها • وفي الفصل الثالث تحدثت عن التكوين الاجتماعي عند البدو وتناولت في الحديث الاسرة وتكوينها وعلاقات أفراد الاسرة فيما بينهم ، وحقوق وواجبات كل منهم ثم تكلمت عن طبقات الانساب مقارنا بين ما كانت عليه قديما وما هي عليه الآن • ثم تحدثت عن الرئاسة وما يشترط فيها وعن حقوق الرئيس وواجباته • ثم تطرقت الى مساكنهم واصفا اياها بدقة معددا لأجزائها واقسامها واسمائها ، وتعرضت الى ملابسهم رجالا ونساء • وفي الفصل الرابع تكلمت عن حياتهم الدينية والعقلية مستشهدا على ذلك بشعرهم • وفي الفصل الخامس تحدثت عن الحالات الاجتماعية ، اخلاقهم وعاداتهم ومزاياهم مستمدا ذلك من شعرهم ومستشهدا به •

ثم انتقلت بعد ذلك الى الحديث عن الشعر البدوي وذلك في الباب الثاني ، مستقصيا أصوله التاريخية ، ذاكرا أقدم النصوص التي وصلت الينا ومناقشا آراء من تعرضوا اليه متعرضا للرد على من هاجموه مفندا آراءهم ولقد خرجت في النهاية بنتيجة اعتقدتها ، وهي أن هذا الشعر في معظمه لا يمكن عده من الادب الشعبي • لأن الادب الشعبي يقوم بشرطين اساسين • • أولهما أن يكون الاصل فيه رواية شفوية ، وثانيهما أن يعبر عن شخصية الجماعة لا الفرد ، وهذان الشرطان يجعلان من الصعب ان تسب آثار الادب الشعبي الى قائل بعينه ، على حين أن هذا الشعر معروف القائل ومنهم من لا يزال يعيش بيننا ، أضف الى ذلك وهو المهم أنه - أي الشعر البدوي - يعبر عن شخصية الفرد ووجدانه لا وجدان

الجماعة ، أقول هذا على الرغم من أن الشرط الاول متوفر فيه وهو الرواية الشفوية ، وعلى هذا فقد رفضت رأى من اعتبره أدبا شعبياً متأثراً بما شاع في أكثر الاوساط من أن أساس التفريق هو اللهجة التي يتوصل بها في التعبير الأدبي •

وهذه الاوساط تذهب الى أن كل ما يصدر باللهجة الفصحى ، فهو غير شعبي وكل ما يصدر باللهجات التي تسمى بالعامية ، فهو أدب شعبي ، وهذا كلام مردود • لأن الفيصل في واقع الامر كما يقول استاذنا الدكتور عبدالحميد يونس ، إنما يلتمس في الوظيفة التي يقوم بها الادب • وما أكثر المرويات المأثورة من الادب الفصيح التي كانت تقوم بوظيفة جمعية قبلية أو شعبية أو قومية ••••• وهي لا يمكن ان تكون الا أدبا شعبياً ، وما أكثر المدون باللهجة العامية ، أنشأه ادباء رأوا ان تؤثر عنهم الاجادة في جميع الاغراض والفنون الادبية لكي يشيع ذلك عنهم في جميع الطبقات ••••• هذا المأثور ، الذي تغلب عليه الذاتية الفردية لا يمكن بحال أن يكون أدبا شعبياً •

ثم تحدثت في الباب الثالث عن أنواع الشعر البدوي ، حيث تكلمت في بدء هذا الباب عن ملازمة الغناء لهذا الشعر وعن كون الشاعر شاعرا ومغنيا في نفس الوقت وخلصت من كل هذا الى القول بأن التلازم بين الشعر البدوي والغناء ما هو الا امتداد للتلازم الأنف الذكر بين شعر الجاهلية وبين الغناء ، وكذلك الحال بالنسبة لما قرناه عن مدى الترابط بين الشاعر وكونه مغنيا والذي قررته في هذا الموضوع هو أننا لا يمكن أن نجزم بأن الشاعر كان في الجاهلية مغنيا وانما الذي نرجحه هو أن الشاعر الذي كان يأنس في نفسه مقدرة على الغناء كان يغنى شعره أو شيئاً منه على علي حين اننا لاحظنا أن جميع شعراء البدو والمعاصرين ممن يتكسبون بشعرهم يغنونه غناء في حين أن الشعراء من الامراء والفرسان وذوي الجاه

لا يتغنون بشعرهم الا فيما ندر وانما يتركونه للآخرين يغنونه *

وهذا الترابط الوثيق بين الغناء والشعر البدوي أوقع الاستاذ عبدالله بن خميس في خطأ اذ اعتبر اقسام هذا الشعر ادوارا غنائية * حيث يقول :

- ما أراك تشك في أن له - يقصد الشعر البدوي - ادوارا وانغاما واصواتا مختلفة العرض ، متباينة التلحين والمقاطع والاهزاج ***

ثم يأتي على ذكر هذه الادوار * ولقد اختلفنا مع الاستاذ فيما ذهب اليه ، صحيح ان هناك اختلافاً في النغم وتبايناً في التلحين ، ولكن ليس هذا هو كل الاختلاف ، وانما هناك اختلاف في الموضوع والاوزان والاغراض ايضاً * فكل نوع يتطرق الى مواضيع معينة وأداؤه محصور بأوزان معينة ايضاً ، فالتقسيم يأتي بالدرجة الاولى من الاختلاف في الاوزان والموضوعات ومن ثم بالالحن والانغام ، لا كما ذهب الاستاذ حيث اعتبر النغم هو الاساس في هذا التقسيم * ومما يؤكد هذا الذي ذهبنا اليه هو أن البدوي يعرف نوع الشعر بمجرد أن يسمعه وبدون انشاد فلو كان النغم هو الاساس لما تمكن هذا البدوي من معرفة هذه الانواع الا بتأديتها منغومة مغناة * أضف الى ذلك اننا لاحظنا عندهم انغاما أخرى تعنى في مناسبات مختلفة كالاغاني التي ترافق رقصة « الدحة » و « المصنع » وانغام الافراح الى غير ذلك ، ومع هذا لا نجدهم يعدونها من أنواع الشعر فلو كان النغم هو الاساس لوجب عدها ضمن الانواع الاخرى المتعارف عليها عندهم *

وخلصت من كل هذا الى القول بأن للشعر البدوي انواعا تختلف عن بعضها البعض ولكل نوع من هذه الانواع مواضيع معينة وأوزان معينة ومن ثم انغام معينة ينشد بها ، وأوردت بعد ذلك هذه الانواع وهي القصيد ، السامري ، الهجيني ، الحداء ، وقد تكلمت عن كل نوع من هذه الانواع محبداً مواضيعه ومميزاته مورداً نماذج منه ذكراً طرق انشاده * وعند

حديثي عن الحداء تطرقت الى العلاقة بينه وبين رجز الجاهلية من حيث اغراضه وأوزانه وقيمته * * وأوضحت بجلاء قدم الاقتران بين الرجز والحداء الذي تحدر الى بدو زماننا مع ما تحدر اليهم من اسلافهم وان كانوا حالياً قد أبقوا على كلمة حداء وأهملوا كلمة رجز *

ولقد رأيت استكمالا للبحث ان اذكر انواعا أخرى غير ما ذكرت مما يردده البدو في افراحهم وحفلاتهم وان كانوا لا يعتبرون هذه الأنواع شعرا ذا قيمة ولا قائله شاعرا وانما الشاعر عندهم من يقول الشعر بجميع انواعه وخاصة القصيد *

وانتقلت بعد ذلك الى الباب الرابع وجعلته من ثلاثة فصول * تحدثت في الفصل الاول عن خصائص الشعر البدوي تطرقت فيه الى الحديث عن لغة هذا الشعر وهي لغة البادية وسجلت حقيقة ثابتة توصلت اليها وهي ان القبائل البدوية الحاضرة المنتشرة في صحارى الجزيرة العربية وبوادي الشام والعراق والاردن تختلف لهجاتها اختلافا واضحا ومع ذلك نسمع الشعر الصادر عن شعرائها فيجده واحدا ويروى بلسان واحد * فالشاعر البدوي لا ينظم شعره بلهجته الخاصة وانما بلغة عامة قبائلية دعوناها « لغة الادب أو لغة الشعر » تماما كما هي الحال في لغة الشعر الجاهلي * وتكلمت عن مجانبة هذه اللغة لقواعد اللغة العربية والتي لم أر فيها سببا يكفي لمهاجمة هذا الشعر والتجنى عليه * ورفضت وصف الاستاذ وصفي زكريا لها بأنها لهجة مشوهة بالحوشى والغريب من الكلام * * * اذ ان هذا الوصف قد يصح بالنسبة له كحضري لأنه لم يتعود هذه اللهجة ، وأن الذوق اللغوي العام يتغير من بيئة الى بيئة ، فعلم فهمه له لا يعني انه ملء بالغريب والحوشى * وقد يكون هذا التقدم مقبولا لو أن البدو انفسهم أحسوا شئ من الغرابة والحوشية * وعلى هذا فليس حكم الحضرة على لفظ بالغرابة أو الحوشية بمقتضى هذا الحكم نفسه عند البدو *

ومجانبة هذه اللغة للفصحى لا تعني انها مجانبة مطلقة اذ اننا نجد فيها الالفاظ والاساليب السليمة او التي ترجع الى اصل سليم كما اننا نلاحظ فيها البعض من ظواهر الاعراب • الا أننا لاحظنا عندهم - عموماً - ميلاً الى التسكين ، ولهجتهم بشكل عام فقدت الاعراب وتحدثت بعد ذلك عن مميزات هذه اللهجة وبعض ظواهرها كالتخلص من الهمزة وتخفيفها وابدالها ، وعن العوامل المؤثرة في هذه اللهجة كالقلب والابدال والنحت والحذف والمؤثرات النطقية كالماله والكشكشة والتلتله ، وحاولت جهد الامكان ارجاعها الى أصولها من لهجات القبائل العربية القديمة •

ثم تحدثت عن معاني هذا الشعر وعن كونها مستمدة من بيئته التي نشأ فيها وهي نفس البيئة التي نشأ فيها الشعر الجاهلي ، لذا رأينا هذه المعاني تحاكي معاني الجاهليين • ومن خصائصه التي لاحظناها أيضاً صدق عواطفه وملازمته للغناء ومرافقة القصة له ، فمن النادر ان تجد قصيدة بدوية الا ولها مناسبة معينة قيلت فيها ، وقد تطول هذه المناسبة حتى تصبح قصة طويلة تروى في مجالسهم واسمارهم ، وقد تتخلل القصة الواحدة عدة قصائد لتعدد المناسبات ، والمشهد عادة يروى القصة ومن ثم ينشد القصيدة •

وأنشأت الفصل الثاني للحديث عن القصيدة وخصائصها وذهبت في ذلك الى أن القصيدة البدوية ما زالت في الغالب الاعم مشابهة للقصيدة العربية في بنائها وخصائصها ، فالصورة التي جاءت بها القصيدة الجاهلية من ابتداء بالجزل أو الوقوف على الاطلاع ثم الانتقال الى وصف الابل ومغاوز الصحراء ومجاهل الطرق ثم الانتقال الى الغرض الاصلي ، ما زالت واضحة كل الوضوح في غالبية القصائد البدوية المعاصرة • وقد التفت الى ذلك الدكتور طه حسين في بحثه الموجز عن « الحياة الادبية في جزيرة العرب » • وقد استشهدت على ذلك بنماذج متعددة من القصائد •• وتعرضت الى

أساليبهم الأخرى في افتتاح القصيدة كافتتاحها بذكر الله والدعاء والتوسل إليه أو بذكر النبي (ص) أو الابتداء بكلمة « يا راكبا » ، أو راكب المي ••• أ ويا نديمي ••• وذكرت طريقتهم بالانتقال من معنى إلى آخر فهم يتوخون أن يكون تخلصهم حسنا • إلا أنهم كثيرا ما ينتقلون فجأة وبدون مقدمة ويكتفون بقولهم « من بعد ذا » أو « وخلاف ذا » أو « هذا و ••• » وهي تتكرر بكثرة في أشعارهم وهي مشابهة إلى حد بعيد لبعض انتقالات شعرائنا الجاهليين مثل زهير وليد •

وتحدثت عن خاتمة القصيدة وكيف تكون نهايتها عادية تماما كما تنتهي القصائد العربية إلا أنهم قد يختمونها أحيانا بالصلاة على النبي (ص) أو بالدعاء إلى الله •

وقد استشهدت على كل ما ذهبت إليه بأشعارهم حيث أوردت أمثلة متعددة لذلك •

وفي الفصل الثالث من هذا الباب تحدثت عن القوافي والأوزان فقلت أن الدارس لهذا الشعر يجد صعوبة جمة في حصره بأوزان محددة خاضعة لتفعيلات معينة يمكن للدارس أن يحدد على ضوءها عدد البحور التي ينظم فيها هذا الشعر ، أو أن يتمكن عن طريق اتقان هذه التفاعيل أن يلم بأوزانها •

ولقد حاولت جاهدا أن أحصر أوزان هذا الشعر فلم أصل إلى نتيجة إلا أننا رغم فشلنا في إيجاد بحور معينة له قد لاحظنا أن الوزن في هذا الشعر خاضع لمقاطع صوتية كما هو الحال في أوزان الشعر الغربي ، لذا نراه قد جاء على أوزان لا يحصرها عد كما هي الحال في الزجل حتى قيل إن صاحب الف وزن ليس بزجال •

وهذه المقاطع الصوتية يختلف عددها بين قصيدة وأخرى ولما لم يكن

هناك ضابط أو عدد متعارف عليه لهذه المقاطع الصوتية في كل وزن وإنما الشاعر حر في اختيار العدد الذي يخضع له قصيدته • لذا تعددت الأوزان وكثرت حتى لم يعد في الإمكان حصرها أو تحديدها •

وقد ذهب السيد أحمد حسن الخطيب إلى أن النغمة هي الضابط الأول والآخر للوزن • وإن هناك أنغاما معروفة هي كالعالم للشعر يصاغ هذا الشعر ويصّب ضمن أطارها • فالوزن يتبع النغمة وكل نغمة تختلف عن الأخرى بطريقة غنائها تماما كما هي الحال في الحاننا الشعبية ، إذ عندما يريد الشاعر أن ينظم زجلا لكي يفنى على لحن من تلك الألحان يرصف الكلام الذي ينطبق على ذلك اللحن •

الأنا رفضنا هذا الرأي • صحيح أن كل نغمة تختلف عن الأخرى بطريقة غنائها فلكل نوع من أنواع الشعر البدوي نغم خاص يفنى به • ولكن ليس صحيحا أن هذه الأنغام كالعالم للشعر يصاغ ويصّب ضمن أطارها • فلو كان الحال كذلك لوجب أن يأتي الشعر البدوي جميعه على أوزان معدودة بعدد أنغامه التي لا تتجاوز الأربعة أو الخمسة أنغام • ولما جاء هذا الخضم اللطيم من الأوزان • وقد يصح قوله هذا إلى حد ما بالنسبة للحدا والسامري الذي يلتزم كل منهما وزنا معيناً ونغماً يساعد على تحديد هذا الوزن • ولكنه لا يصح في حال من الأحوال على القصيد الذي يعتبر أهم أنواع الشعر البدوي وغالبية هذا الشعر تدخل ضمن نطاقه ، وقد جاء على أوزان لا تحصى لكثرتها فلو كان النغم هو العالم الذي يصب فيه لوجب أن يأتي على وزن واحد كما هو الحال في الأنغام الشعبية المشهورة في البلاد العربية إذ تلتزم الأشعار المغناة بها أوزاناً ثابتة لا تتغير بتغير الأشعار وإنما تحافظ على عدد من التفعيلات أو المقاطع الصوتية في كل بيت فالنغم الصعيدي المعروف (سلم علي) أو (آه يازين) تلتزم الأشعار المغناة بهما وزنا واحداً خاصاً بكل واحد منهما لا يتغير • في حين أن

ذلك غير وارد بالنسبة للقصيد الذي تتغير مقاطعه الصوتية من حيث عددها ونوعها من قصيدة الى أخرى ، وعلى هذا يمكننا القول بأن النغمة ليست بالضابط الاول والاخير ولا هي بالقلب الذي يصب هذا الشعر في اطاره وانما هي باعتقادنا قد تكون مساعدا لهم في ستر عيوب بعض الايات المفككة البناء والمخلخلة الوزن وهذا ليس بالامر الجديد فقد جاء في الهوامل والشوامل « ان القوم كانوا يجبرون بنغمات يسمعونها مواضع من الشعر لا يستوى بها الوزن » ♦

وهذا الذي قلناه لا يعني ان الشعر البدوي جميعا لا يخضع لاوزان معينة محددة وانما هذا القول يصح على قسمين مهمين وهما القصيد والهجيني وهما يشكلان - وخاصة القصيد - الجزء الاعظم من هذا الشعر اما الحداء والسامري فيلتزم كل منهما وزنا معيناً ♦ فالحداء يلتزم بحر الرجز بكل ضروبه وان كان الاعم الاغلب فيه يأتي على مجزوء الرجز والسامري يلتزم - الا النادر الاقل - بحر الرمل ♦

وقد لاحظنا خلال محاولتنا لايجاد بحور واوزان لهذا الشعر ان هناك قصائد تخضع برمتها أو مع تعديل بسيط في بعض اياتها الى اوزان العروض العربي ، أضف الى ذلك اننا وجدنا اياتا كثيرة مشوثة في ثنايا القصائد جاءت على اوزان الخليل ♦ وقد ذكرت بعض هذه الايات على سبيل المثال لا الحصر ♦

وتحدثت بعد ذلك عن القوافي وتعرضت بايجاز الى نشأة القافية وتطورها وذهبت الى ان القافية نشأت نشأة صوتية متفقا في ذلك مع الدكتور مصطفى عوض الكريم في كتابه « فن التوشيح » اذ اننا لاحظنا خلال دراستنا للنصوص الشعرية البدوية خروج بعض الايات عن القافية في القصيدة الواحدة مع ملاحظة ان كلمتى القافية متفقتان في الجرس الموسيقي

على الرغم من اختلاف الحرف الاخير مثال ذلك « الهيل والشين ومحروم ومقرون .. » وذهبت الى أن هذه الظاهرة انما هي بقية من كون القافية صوتية في نشأتها الاولى .

وخلصت بعد هذا الى الحديث عن القوافي في الشعر البدوي محاولا في ذلك اعطاء صورة شاملة وواضحة . فقلت أن القافية عندهم تسمى (القاف) والقصيدة البدوية مبنية - عادة - على قافيتين : قافية في الصدر وأخرى في العجز يلتزم بهما الشاعر الى آخر القصيدة . وقد لفت نظري ان هاتين القافيتين تكونان في الغالب الاعم من حرف واحد الا انهما تختلفان في الحركة أو أن يسبق احدهما الف أو ياء ... الخ كأن تكون القافية في الصدر « انشاد » وفي العجز « نشيد » أو « ساق » و « سوق » وهذه الطريقة هي الغالبة في التقفية عندهم . وهناك طرق أخرى ذكرناها منها الطريقة المعروفة في القصيدة العربية أي التزام القافية في آخر البيت فقط . ومنها طريقة الرباعيات وهي أن تلتزم ثلاثة الاشطر الاولى قافية والاشطر الرابع قافية وتكون قافية الشطر الرابع ملتزمة في كل الاشطر الرابعة في القصيدة على حين تتغير قافية الاشطر الثلاثة . ومن الملاحظ ان جميع هذه الطرق معروفة في الشعر العربي حتى الطريقة الاولى اذ يسميها أهل البديع « التشريع » .

ولقد لاحظت في بعض القصائد أبياتا تشتمل على قواف داخلية مما يسميه ابن رشيق « التسهيم » وهي ظاهرة معروفة في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي ، كما في شعر امرئ القيس والخنساء وفي اشعار بعض الهذليين .

وفي ختام الفصل ذكرت ما لاحظته عند بعض شعرائهم من تفنن وترف في نظم قصائدهم وخاصة الرباعيات ، كأن يبنون القصيدة على حروف الهجاء يخضون كل حرف بيتين ويكونون بهذا قد أضافوا قافية أخرى في

أول شطر من كل رباعية • وقد لا يكتفون بذلك بل نراهم أحيانا يلتزمون في بداية كل شطر من اشعر الرباعية بذلك الحرف •• او ان يبدأ الشاعر الرباعية بالحرف الذي تختص به وتختم الاشطر الثلاثة به أيضا • ومنهم من يسترسل في ترفه الى حد يلتزم فيه الكلمة بدل الحرف فيبدأ كل رباعية بنفس الكلمة التي انتهى بها الرباعية السابقة • وقد أوردت لكل ذلك أمثلة ونماذج متعددة •

وبعد ان انتهيت من حديث القوافي والاوزان انتقلت الى باب جديد هو الباب الخامس ، تحدثت فيه عن أغراض الشعر البدوي وخصت لكل غرض فصلا مستقلا : الفصل الاول للغزل ، والفصل الثاني للمديح والفصل الثالث للثناء والفصل الرابع للفخر والحماسة ، والفصل الخامس للهجاء والفصل السادس للموصف • وقد تحدثت باسهاب عن كل غرض من هذه الاغراض ذاكرا صورهم ومعانيهم وتشبيهاتهم وأساليبهم في المدح والثناء والهجاء والفخر والحماسة • وقد لاحظت تشابها كبيرا في كل ذلك مع الشعر الجاهلي فالاغراض هي الاغراض وهم يتغزلون ويفخرون ويتحمسون ويمدحون ويرثون ويصفون مستخدمين التشابيه التي كان يراها اسلافهم في البادية ، ويستعملون المعاني والاستعارات التي كان الجاهليون يأتون بها •

ولقد لفت نظري هذا التشابه الكلي فعقدت بابا مستقلا للمقارنة بين الشعريين وهو الباب السادس تحدثت فيه عن وجوه الالتقاء بين الشعريين فذكرت الصور والتشبيهاات والمعاني المشتركة بينهما وكذلك المواضيع والاغراض وأتيت بأمثلة توضح ذلك ، واتيت على بعض المعاني المطروقة في الشعريين والتي جاءت متفقة في كل شيء عدا اللغة • ثم ذكرت بعض الابيات المعروفة لشعراء جاهليين جاءت في ثنايا الشعر البدوي مفسرا وجود هذه الابيات في ثنايا قصائدهم •

وخلصت من كل هذا الى أن الشعر البدوي ما هو الا امتداد للشعر
الجاهلي- أو هو نفسه بكل خصائصه ومميزاته وصوره ومعانيه واغراضه
مع اختلاف في اللغة فقط •

ورأيت من المهم والمفيد أن أورد بعض النماذج من هذا الشعر
فأشأت لذلك الباب السابع حيث أوردت فيه عددا من القصائد المشهورة
عندهم مع ترجمة موجزة لصاحب كل قصيدة من هذه القصائد •

ولقد سميت بحثي هذا « الشعر عند البدو » ولا بد لي من أن اشير
الى أن المقصود بالبدو انما هم بدو الجناح الشرقي من الوطن العربي ،
اغني بدو سيناء وبوادي الاردن ونجد والشام والعراق والكويت والبحرين
وقطر • وكل ما جاء في رسالتي من احكام وآراء انما هي عن شعر هذه
المنطقة فقط • واني لآمل أن يقوم الباحثون بدراسة الشعر عند بدو الجناح
الغربي مصر والسودان وليبيا والمغرب • لتحصل بذلك على صورة واضحة
كاملة لأدب البدو في الصحارى العربية •

وختاما نقول بأننا لا ندعى اننا لم نترك قولنا لقائل ولا اننا أتينا على
كل ما يمكن أن يقال في هذا الموضوع • وحسبي ان اتقدم بهذا الجهد
المتواضع آملا أن أكون قد قمت ببعض ما يمليه علي الواجب تجاه امتنا
الكريمة وخدمة أدبها ولغتها المجيدة • والله أسأل أن يلهمني السداد في
القول ، والفكر ، والعمل ، هو حسبي ونعم الوكيل •

شفيق عبدالجبار الكمالي

بغداد ٩ رجب ١٣٨٤ هـ
١٤ تشرين الثاني ١٩٦٤ م

الباب الأول

الفصل الأول

أوصاف البدو وأقسامهم

البدو ويقال لهم الاعراب • مفردها بدوي واعرابي ، جاءت تسميتهم هذه من سكناهم للبادية حيث يقضون حياتهم في التنقل ، والارتحال ، طلباً للكلاً ، والماء لابلهم ، التي تعتبر العماد الاول لحياتهم في هذه البيئة القاسية • فالبدواءة خلاف الحضر ، يقال تبدى أي أقام بها (أي في البدوة) وتبادى تشبه بأهلها والنسبة بدواوي كسحاوي وبدواوي بالكسر وبدوي محرركة وبدا القوم خرجوا الى البادية •

والبدو عادة يسكنون بيوت الشعر ، ولا هم لهم الا الغزو والحرب وجوب الصحراء ، مرتحلين من مكان الى مكان ، ضارين في البراري والقفار وراء مساقط الغيث ومنابت الكلاً • ومن هنا أطلقوا على ترحالهم اسم « النجعة » « والاتواء » (١) •

والتبدي درجات فمن البدو من يتبدي دائماً وبلا انقطاع وفي كل المواسم ومنهم من يستقر في مكانه أكثر أيام السنة ولا يتبدي الا ضمن دائرة محدودة قصيرة المدى • الا أنه كثيراً ما تكون القبيلة الواحدة على قسمين ، قسم يستقر ويسكن المدر • وقسم يبقى بادياً في أهل الوبر •

فمن ذلك جهينه التي كان قسم منها بادياً في نواحي جبلي « رضوى وعزور » بينما يسكن القسم الثاني في المدر في « ينبع » (١) •

ونهد كانت كجهينه قسم يسكن في المدر في قرية الصفراء وقسم يسكن في الوبر دون المدر في جبلي « رضوى وعزور » (٢) •

ومزينه كان قسم منها متبدياً في جبل ورقان وجبلي القدسين وجبلي نهبان وقسم في المدر في قرية الفرع (٣) •

(١) النجعة : في اللغة طلب الكلاً وارتداد مساقط الغيث في مواضعها يقال خرج القوم للنجعة ، وانتجع القوم الكلاً أي ذهبوا لطلبه في مواطنه •

الانتواء : نوى القوم بمكان وانتووه بمعنى قصدوه •

(١) ، (٢) ، (٣) - كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها ص - ٧ عرام بن الاصبح السلمي •

وما زالت القبائل في عهدنا الحاضر على هذه الشاكلة أي أنها إما أن تكون بدوية من أهل الوبر كقبائل ♦

الضفير

العجمان

عنزه ♦♦♦♦ النخ

وأما أن تكون من أهل المدر كقبائل

العقيدات

العزه

العييد ♦♦♦♦ النخ

وأما أن تكون القبيلة الواحدة تحيا الحياتين المذكورتين فقسم منها في

الوبر وقسم منها في المدر كقبائل شمر ♦

فشمر طوقه من أهل المدر وشمر جربا من أهل الوبر سكنة

الصحراء ♦

والبدو يمتازون بخصال ينفردون بها دون غيرهم من العرب المتحضرين وسكنة الارياف والقرى ♦ فهم أصحاب أجسام رشيقة في الغالب الأعم ووجوه أسيله لوحتها الشمس فأكسبتها سمره ، وجباههم عريضة بارزه واسنانهم بيضاء كالثلج ♦ هذا والبدوي يمتاز بجلد غريب وصبر على الشدائد وطبع نزق ومزاج عصبي وذكاء حاد وقناعة لا توصف ♦ يرضى بشظف العيش وحياة محفوفة بالمخاطر وفي براري قفراء ، حرها لاهب وبردها قارس ♦ شديد الحرص على عرفه وعاداته التي كان عليها آباؤه وأجداده باق على الفطرة والبساطة اللتين كانوا عليها منذ مئات السنين ♦♦♦ متمسك بهذه الاخلاق والخصال الصالح منها والطالح ♦ صعب المراس ،

جرىء حافظ للذمام ، كريم مقدم ، يشور ولا يقف عند حد في ثورته اذا ما جرحت كرامته وانتهكت حرمة • ميال الى حرية لا يحدها حد • والحرية التي يفهمونها هي الحرية الشخصية لا الحرية الاجتماعية والوطن الذي يذكرونه هو مضارب القبيلة ومنازلها • • وهو بالتالي فخور بنفسه وعشيرته وقد أصاب الاستاذ وصفي زكريا بقوله • • والشعور والاعتزاز عندهم أناني فردي قبلي ، فالبدوي لا يمدح الا نفسه وفرسه ومهنده وفرسان قبيلته ، واذا اعتز وافتخر فبأهله وعشيرته ، فهو يتغنى بانتصارها ويعدد محامدها ويهجو العشيرة الاخرى من أجلها^(١) •

وشظف العيش لا يمحو الناحية المثالية من شخصيته • فكلامه موزون ومعقول في عبارة صريحة وسرعة انطلاق نحو الهدف يزخر فيه بضرب الامثال والتشبيهات التي تصدر عن رويته ومعرفة •

ويذهب رينو ورفيقه الى أن البدوي في حقيقته أقل فروسية وأنقص في المثالية مما يصوره الروائيون والقصاصون فهو خليط من المحاسن والمساوىء • ولكنه مهما كانت مزاياه يظل رجلا مستحقا كل الاستحقاق للاحترام والانجذاب والتودد نحوه^(٢) •

وهذا الذي ذهب اليه رينو فيه الكثير من الصحة ونحن نتفق معه في ذلك الا أننا لا يمكن أن نتفق في حال من الاحوال مع المقدم مولر فيما ذهب اليه من أن البدو اذا تكلموا كذبوا واذا تناقشوا واربوا واذا تفاوضوا ما حكموا وعندهم الطمع والجشع وحب السلب والنهب وقسوة القلب وحرمان الرحمة وضعف الدين والولع بالخرافات وهم بخلاء الا اذا وجدوا مآربا في البذل وجبناء الا اذا وجدوا خصما ضعيفا وهم ان اظهروا شجاعة واندفاعا للطعان

(١) عشائر الشام - وصفي زكريا - ص ١٢٦

(2) Capitaine Raynaud et Medicin - Major Martinet, Ies Bedouins de la Mouveuce de Damas 1922.

والبراز فما هو في الغالب الا للبخثرة والمباهاة ، واذا تراؤا اشداء فذلك
 للزهو وكسب الشهرة لا للاخلاص والتضحية ، لان الاخلاص والتضحية
 وفكرة الواجب أمور تكاد تكون مجهولة لديهم • ولقد ذهب مولر في
 شططه الى حد تأويل حسنات البدو حسب رأيه فمما قاله : ان كان
 البدوي قنوعا وجلودا فلأنه يعجز عن حمل مؤوته الى أماكن بعيدة ، وان
 كان راضيا بعيشه وزاهدا بدنياه فلأنه لا يرغب شيئا يجمله • وان كان
 بعض الاحيان كريما مضيافا فلأنه ينتظر أن يقابل بالمثل من ضيفه أو غير
 ضيفه أو لأن في ذلك الكرم غرور شخصي •• وان عطف على أولاده فعلى
 أمل أن يكونوا له أعوانا وحماة • لكن أولاد البدو لا يحملون عطفًا
 واحتراما كافيين نحو آبائهم ومقام النساء عندهم يأتي بعد المال والحلال
 الا ما ندر وللبنات قيمة أكثر مما لامهاتهن لأنهن سيعرضن يوما ما للبيع •
 وهم يفرحون لموت الامرأة لأنه سيسبب تبديلا جديدا في الحياة ، ويحزنون
 لموت البنت لان فيه خسرانا لمورد لا يعوض^(١) • الى غير ذلك مما هرفه
 وقذفه هذا الحاقد والذي لا أرى في أقواله الا القذف والتهجم • مدفوعا
 بحقد وضغينة لا تستغرب من أمثاله ونحن نرفضها كما رفضها الاستاذ
 وصفي زكريا^(٢) لأنها تجانب الواقع ولا ظل لها من الحقيقة •• وهي
 بالتالي تتنافى والاسلوب العلمي الصحيح الذي يفترض النزاهة والتجرد
 والحياد في الكاتب أو الباحث •

وقد جاء في الرسالة التي أصدرتها مصلحة الاستعلامات في الشرق
 التابعة للمفوضية العليا الافرنسية ، ان البدوي قنوع وذو صبر وجلد
 جديرين بالاعجاب • فغداؤه القليل الذي لا يتغير جعله رجلا عصبي
 المزاج نحيفا وذا قوة عضلية قليلة نسيبا ، وهو يعيش عامه على الحليب

(1) Commandant Victor Muller, en Syrie avec les Bedouins.

(٢) عشائر الشام - وصفي زكريا ص ١٧٩ •

والخبز والبرغل والتمر ولا يرى اللحم الا اذا زحف نحو مائدة الشيخ
عند قدوم الضيوف حيث يكون الطعام عادة من الرز والخراف المطبوخة •
وقائمة الطعام هذه تتوالى دونما تبديل على مدى السنة كلها ••••• وجاء فيها
أيضا أن البدوي قليل الفتك وغير سفاك للدم • أما الكرم والوفاء فهما في
ذروة الشهرة التي نالها⁽¹⁾ •• وهذا الكلام أعدل حكما وأطف لهجة من
كلام المقدم مولر •

أقسام البدو :

ما زالت القبائل العربية في بعدها وقربها عن الحضارة كما كانت عليه
في الجاهلية فنحن نعرف ان القبائل العربية كانت في جاهليتها اما :-

أهل وبر : من الموغلين بالصحراء والضيافي البعيدين عن العمران
والذين قست قلوبهم وغلظت أكبادهم وهؤلاء هم البدو أو الاعراب الذين
وصفهم القرآن الكريم بالكفر والنفاق •

وأما أهل مدر : لا يعجلهم التنقل والارتحال عن أن يقيموا لأنفسهم
قرى لا تختلف في شيء عما نعرفه من حياة المدن في بلاد العرب لذلك
العهد • وهم في العادة يستقرون في قراهم أكثر أيام السنة ولكنهم لا يلبثون
أن ينتجعوا الى الصحراء في فصل الربيع •

وأهل الحضر : وهم سكنة المدن الذين استقروا وتحضروا وتركوا
جوب الصحراء نهائيا كما هي الحال بالنسبة لمكة والمدينة والطائف وغيرها •
ونخلص من كل هذا الى القول بأن هذه القبائل تقسم الى ثلاثة أقسام
وهي :

(1) Les tribus nomades et semi - Momades des Etats du
levant places sous mandat Francais, 1930, Beyrouth.

(١) البدو الرحل :

وهم من ذوى النجعة البعيدة ويوصفون باهل الوبر لانهم يتخذون بيوت الشعر سكناً والخيل مركبا والابل معاشا وهم في حل وترحال دائمين ، يجوبون الصحارى طلبا للكأ وارتبادا لمواقع المطر ♦

(٢) البدو نصف الرحل :

وهم أهل الغنم من ذوى النجعة المحدودة ويطلق عليهم اسم « الشوايا » بحكم رعيهم للشيء وهؤلاء لم يفقدوا نهائيا صفاتهم البدوية فهم أيضا أهل ابل وخيل وضرب وطعن وارتحال كالبدو الرحل الا أنهم لا ينتجعون الى البادية الا في مواسم معينة وتكون عادة في الربيع على عكس البدو الذين يجوبون البادية طيلة أيام السنة وعليه يمكننا أن نسميهم القبائل المترددة أي أنها مترددة بين الاستقرار والتبدي وهم في الجملة يشبهون أهل القسم الاول ♦

(٣) العشائر المستقرة :

وهم الفلاحون ويسمونهم « الفلاليح » وهؤلاء استقروا نهائيا وتركوا الابل وتفرغوا للزراعة أكثر من تربية الماشية وهم في العادة محتقرون من قبل البدو ♦

وسنأتي الآن على ذكر القبائل التي ما زالت على بداوتها وعلى ذكر منازلها وسنقتصر على هذا القسم من القبائل لعلاقته ببحثنا هذا ♦

الفصل الثاني

أهم القبائل البدوية

(١) قبائل شمر :

وهي من كبريات القبائل العربية البدوية وهي قحطانية الاصل نزحت من اليمن واستوطنت جبال طيء المعروفين « أجا وسلمى » والمعروف أن شمر من طيء (١) • وكان مقامهم في توران على ما قاله ياقوت في معجمه اذ يذكر أنها قرية في أرجاء أحد جبال طيء لبنى شمر من بني زهير وقد تحالفوا مع بعض القحطانية فأزالوا طيئا وزبيدا وحلوا محلهم وغلبت تسميتهم على القبائل التي حالفتهم وعلى قبائل طيء الاخرى فأطلق على الجميع اسم « شمر » •

(١) شمس العلوم ص - ٥٧ - نشوان الحميري • وجاء في دائرة المعارف الاسلامية في مادة (بلاد العرب) قولها : وبنو طيء يعرفون اليوم باسم « شمر » وهو اسم أحد بطونهم الذي تسلط على من بقى منهم • ولا يتسمى اليوم باسم طيء الا عشيرتان في الجزيرة وقد بقيتا تابعتين لشمر لكنهما لا تدفعان لها الخوه ويعتبرونها مساويتين لهم • انتهى •

قلت : ليس هناك سوى عشيرة واحدة تدعى باسم طيء الا أنها ذات فرق أعظمها وأكبرها فرقنا العساف والحريث • ولعلهما المقصودتان بكلمة عشيرتين أما عدم دفع الخوة فصحيح وقد استبدلت الخوة حين دخول فارس الجربا الى الجزيرة بالمصاهرة • فقد زوج ابنه صفوق من عمشة ابنة شيخ طيء • وكان ذلك في حدود ١٢٢٥هـ • هذا ما حدثني به العض من شيوخ شمر • وهو ما ذهب اليه وصفى زكريا في كتابه عشائر الشام •

وقبائل شمر تتألف من أربعة مجاميع كبرى بالنسبة لمناطقها وكل مجموعة من هذه المجاميع تشتمل على عدد من القبائل وهذه المجاميع لم يكن قيامها على أساس كون كل مجموعة منها تتألف من قبائل معينة غير القبائل التي تتكون منها المجاميع الأخرى بل كثيراً ما نرى أن القبيلة الواحدة موزعة على هذه المجاميع ♦

وعلى الرغم من أن كلمة شمر عند الإطلاق يراد بها جميع هذه القبائل سواء القحطانية منها أم الطائية ♦♦ إلا أن هذه القبائل فيما بينها تعرف أصولها إن كانت من قحطان أو طيء ♦

ونحن في تقسيمنا هذه القبائل إلى مجاميع تدفعنا إلى ذلك الرغبة في التعميم والايجاز لأننا إذا أردنا أن نذكر القبائل والبطون التي تتألف منها كل مجموعة لقادنا ذلك إلى إطالة نحن في غنى عنها ♦

(أ) المجموعة الأولى :

شمر الجبل :

وهي القبائل التي سكنت جبال أجا وسلمى في نجد وكانت هذه القبائل تحت إمارة آل رشيد في حائل ولا فرق بينها وبين القبائل الأخرى وإنما أطلق عليها هذا الاسم للتفريق بينها وبين غيرها وتدعى هذه القبائل أحيانا بـ « قوم آل رشيد » ♦

(ب) المجموعة الثانية :

شمر الجربا :

وهي القبائل التي انضوت تحت لواء آل الجربا ونزحت من نجد قبل أن تظهر إمارة آل رشيد وكان نزوحها هذا في القرن السابع عشر الميلادي وتسكن الآن بين النهرين دجلة والفرات في لواء الموصل في العراق ولواء الجزيرة وجزء من لواء الفرات في سورية ♦

(ج) المجموعة الثالثة :

شمر طوقة :

وهي من القبائل والافخاذ الشميرية المختلفة نزحت من نجد واستوطنت الشاطئ الشرقي لنهر دجلة في المنطقة المحصورة بين الكوت وديالى وقد فقدت هذه المجموعة الكثير من خصائصها البدوية وأصبحت تعد من قبائل الأرياف ♦

(د) المجموعة الرابعة :

الصايح :

وهم مجموعة من القبائل والافخاذ الشميرية ولم يكن اسمها هذا هو الذي يجمعها وانما هي تسمية حديثة أطلقت على هذه المجموعة من قبائل شمر التي كانت قد تابعت الصيد عند حارب الجربا ♦

منازلها في العراق في منطقة « الحويجة » في قضاء سامراء في المنطقة المحصورة بين « نهر العظيم » وجبل « حميرين » ونهر « دجلة » ♦

٢ - قبائل عنزة :

وهي من القبائل العربية الكبرى منتشرة في العراق وسورية ونجد والحجاز ، وقد برزت منها ثلاثة بيوت حاكمة وهم آل سعود ملوك العربية السعودية وآل الصباح أمراء الكويت وآل خليفة أمراء البحرين ♦ والغالبية العظمى من « عنزة » تسكن بادية الشام والعراق وقد نزحت من نجد في منتصف القرن السابع عشر والمعروف أنها من أولاد « عنز » بن وائل أخي بكر بن وائل وأخيها تغلب ♦ قال السمعاني عنزة حي من ربيعة ، والعنزي بفتح العين المهملة وسكون النون وكسر الزاي هي النسبة الى

عنز وهو عنز بن وائل أخو بكر وتغلب ولدى وائل^(١) ♦♦♦
ويؤيد ذلك ما جاء في نهاية الارب^(٢) وأصل موطن هذه القبيلة
الحجاز في أنحاء المدينة المنورة والمعروف اليوم أنهم ينقسمون الى جذمين
كبيرين هما :

١ - بشر

٢ - مسلم

ومن هذين الجذمين تفرعت كافة قبائلهم ♦♦

أ - قبائل بشر :

وتتألف من القبائل التالية :

- (١) الاسبعة : ومنازلها في بادية الشام ويميلون شتاء الى العراق حيث
ينزلون منطقة « القعرة » ♦
- (٢) الفدعان : منازلها بين الخابور والبلخ والفرات الى حلب ♦
- (٣) العمارات : منازلهم بادية الشام ♦
- (٤) الجبل : مواطنها الشامية العراقية جنوبي لواء الديلم حول الرطبة
ووادي حوران ♦
- (٥) الدهامشة : سكنت هذه القبيلة العراق ثم نزحت عنه وبقيت تتردد
بين نجد والعراق ♦

(١) انساب السمعاني ص ٤٠١ - ١

(٢) نهاية الارب ج د ص - ٢٢٠

ب - قبائل مسلم :

وتتألف من فريقين هما :

١ - جلاس •

٢ - وهب •

والفريق الاول يتفرع الى :

(أ) روله : منازلها الى الجنوب الغربي من تدمر حتى دمشق وجنوبها
في الجولان وهوران •

(ب) محلف : وهي مترددة بين الجوف والشام •

أما الفريق الثاني فيتفرع الى :-

(أ) المنابهة : ومنهم الحسنة منازلهم بين تدمر وحمص ومنهم المصاليخ
« المساليخ » ومنازلهم الجوف « دومة الجندول » ومن المساليخ
عائلة آل سعود الحاكمة في السعودية •

(ب) ولد علي : وهم من وهب وقد شاع تسميتها على الكل بما فيهم
المنابهة والمساليخ • والولد على منتشرين ومنازلهم الاصلية مجاورة
لمنازل قبائل حرب •

(ج) الايدة : منازلهم حول المدينة المنورة •

٣ - الضفير :

وهي من القبائل العربية الكبيرة المنتشرة بين نجد والعراق يتجولون
في الجانب الغربي من نهر الفرات بين الزبير وأنحاء السماوة الى البادية
الجنوبية ومنطقة الحياض وجنوبها في الاراضي النجدية مركز هذه القبيلة
« البصية » في البادية الجنوبية من العراق •

ويقال أنهم يرجعون في نسبهم الى بني سليم القبيلة العربية الجاهلية
المشهورة •

قال صاحب مطالع السعود في حديثه عن الضفير ♦

وسمعت ممن أثق به أنهم من بني سليم^(١) ♦

٤ - قبائل حرب :

منازلها الحجاز ونجد في المنطقة المحصورة بين النفوذ والبحر الأحمر وقد مال قسم منهم الى العراق بسبب حروبهم مع آل سعود وسكنوا في الشامية قرب الاخضر بين الايض في أنحاء الحجره وبين عين تمر ♦

وهي من القبائل العدنانية أخت عنز بن وائل ويدعون أن جدتهم معاز بن وائل ولكننا لم نعرف اسم معاز الذي يدعون الانتساب اليه الا أن القلقشندى يؤيد ادعاءهم بالانتساب الى بكر بن وائل حيث يقول في انسابه « بني حرب من بكر بن وائل من العدنانية »^(١) وتعد قبيلة حرب من أعظم وأكبر قبائل نجد والحجاز ♦

٥ - المطير :

منازلها جنوبي وادي البطين في أنحاء القرية ♦

٦ - العجمان :

منازلها في الحسا والقطيف ♦

٧ - بنى مره وبني هاجر :

منازلهم في نجد في صحراء الربع الخالي - الخراب ♦

٨ - قحطان :

منازلهم الى الجنوب من الرياض محاذين للربع الخالي ♦

(١) مطالع السعود ص - ١٣٦

(١) نهاية الارب في انساب العرب ص ١٩٤

٩ - بني خالد :

يدعون أنهم من نسل خالد بن الوليد ولا يوجد ما يؤيد هذا الزعم والارجح أنهم بطن من غزية من هوازن كما يذكر صاحب نهاية الارب القلقشندی ♦

منازلهم الآن حول مدينة الرمثافي شمال شرق الاردن قرب الحدود السورية ♦ وقسم آخر منازلهم في محافظة حمص بسورية ♦

١٠ - الحويطات :

من قبائل الاردن الكبير « تسكن الى الجنوب من الاردن حول معان وقسم منها يسكن الساحل الشرقي لخليج العقبة ويعرفون بحويطات تهامة وقسم منهم يسكن حول العقبة الى الجنوب والشرق داخل الارض السعودية وقسم الى الشمال من العقبة وأكثرهم في فلسطين ويعرفون بالسعيدين وقسم منهم نزع الى مصر وهم الآن فلاحون يسكنون بالقرب من طنطا ♦ والكثير من البدو يطعنون بنسبهم ولا يعتبرونهم أفحاحا ♦

١١ - العدوان :

ينتسبون الى عدوان واسمه الحارث بن عمرو بن قيس من قيس عيلان من العدنانية منازلهم الآن في الغور (غور نمرين) الشونة ونواحي السلط في الاردن ♦

١٢ - بني صخر :

من القبائل الكبيرة نزحت من الحجاز ونزلوا في العلا ومكثوا بها حوالي ١٠٠ عام ثم اصطدموا مع قبائل الضفير وحلوا محلهم في الاردن وينقسم بنو صخر الى فخذين كبيرين هما :

(أ) الطوقة :

ويتألفون من عشائر الغين والغفل والخضير ♦

(ب) القعاينه :

ويتألفون من الخرشان والجبور •

ويذكر القلقشندى أن قسما منهم يسكن في مصر • وقد حدثني أحدهم ممن أثق به مؤيدا القلقشندى في ذلك قائلا أن جزءا من قبيلتهم موجود الى الآن في مصر وهم عرب البواسل ومنهم الزعيم الوفدي المشهور المرحوم حمد الباسل وموطنهم في الفيوم •

ومنازل بني صخر الآن في الاردن في منطقة البلقاء الى الشرق من عمان حتى الحدود العراقية • وهناك قسم منهم في دير الزور الواقعة على نهر الفرات في سورية الا أن هؤلاء قد تحضروا منذ أمد طويل وفقدوا كل علاقة لهم بالبادية و حياة البدو •

١٣ - صليب أو الصليبة :

وهي من القبائل المتحيرة التي لا يعرف أصلها وقيل أنهم من « آل » أي القحطانية كما قيل أنهم من بقايا الصليبين وقد استدل البعض في نسبتهم الى الصليبين باستنطاق ملامحهم وبعض خصائصهم كما ذهب كثير من الكتاب ومنهم البستاني في دائرة معارفه في مادة « صليبة » وفي المقتطف المجلد الثاني عشر وفي مجلة المشرق ج ١ ص ٦٧٥ وهؤلاء الكتاب لم يعينوا نسبهم بوجه الصحة والتأكيد وغاية ما ضربوا عليه وتر الصليب ولم يدعموا ذلك بأي دليل سوى المشابهة باللفظ فقط •

وقد أرسل الفرنسيون أيام احتلالهم لسورية المبشرين لاعادتهم الى المسيحية كما يعتقدون ولكنهم فشلوا •

وهذه القبائل محتقرة من القبائل البدوية ولا يعترف البدو لهم بسمو نسب مطلقا الا أن الصليب أنفسهم يعتقدون أنهم « صبه ، صليه » أي صلب الشيء ومن العريقين في النسب الا أنهم قد نسي أصلهم أو أخفوه

لسبب أو لآخر وكموه حتى عن أولادهم وبمرور الزمن أصبح نسبهم مجهولا والقبائل البدوية لا تغزوهم ويعتبر من أظلم الظلم ومن العار أن يغزوهم أحد •

والواقع أنهم لا يختلفون في حياتهم وعاداتهم عن البدو الآخرين وديانتهم الاسلام وان كانوا كبقية البدو لا يقومون بالواجب الدينية تماما •

ويعتبرهم بروكلمان خلفا لقبائل الباريا^(١) •

وعلى كل حال فهم بدو ولكن عيشتهم أخس عيشة ويمتهنون بعض الاعمال والحرف التي تعتبر محقرة عند البدو • وهم لا يأنفون من الاستجداء يعيشون على الصيد في غذائهم ولباسهم حيث يصنعون من جلود الطرائد لباسهم وبيوتهم •• ويقتنون الحمير الوحشية وسائر الحمير التي لا يقيتها البدو عادة •

ويعتبرون من أعرف الناس بمساقط المطر ومسالك الصحراء وآبارها لذا نجدهم يوغلون في الصحراء بعيدا جدا عن المعمورة وقد اشتهروا بالطب حيث يطلق عليهم اسم « أطباء البادية » حتى أننا نجد الكثير من أهل المدن يركنون اليهم في طلب العلاج على الرغم من وجود أطباء المدن والطب الحديث •

وفيهم عدد كبير من الشعراء الذين يتكسبون بشعرهم وهم قبائل متعددة كثيرة العدد •

(١) تاريخ الادب العربي ص - ٤٨ وقد جاء في هامش الصفحة نفسها قبائل الباريا - اصطلاح على العناصر الحقرية في شعب من الشعوب سواء اكانت منه أم غريبة عنه ، وهي تحترف حرفا وضيعة ، والصليب شعب من شعوب الباريا يسكن شمالي جزيرة العرب ووسطها ويبلغ عدده بضعة آلاف نسمة ويعيش على الصيد والحرف الوضيعة •

فمنهم الجميل ومساكنهم في بادية الشام في منطقة الحماد ويسكن
العوازم في نجد بمنطقة الاحساء والقطيف وفي الكويت يسكن الرشيدة
ويسكن في العراق أقسام أخرى في الشامية ومنهم في شمال الجزيرة
العربية وأواسطها ♦

★ ★ ★

هذه أهم القبائل البدوية التي مازلت حتى الآن محافظة على عاداتها
وطبيعة البداوة ، من جوب للصحراء وان كان بعضها بدأ يفقد شيئاً منها
ولكن ببطء وهناك قبائل أخرى لم أذكرها وانما اقتصر على ذكر
القبائل المشهورة فقط وهناك قبائل أخرى فقدت الكثير من طبعها
البدوي وان كانت محافظة على النجعة المحدودة في فصل الربيع مثل
العقيدات والعزة والعييد والجبور الخ لا أرى مبرراً لذكرها لأنها
على الرغم من انتجاعها في فصل الربيع لا يمكن عدّها من القبائل البدوية
البحثة ♦

الفصل الثالث

التكوين الاجتماعي عند البدو

ان التكوين الاجتماعي عند البدو بسيط لا يتجاوز حد الاسرة « العائلة » واسم الاسرة عندهم « الاهل » وتتألف من الرجل والمرأة ومن فروعهما •

والاب هو رئيس الاسرة فاذا مات خلفه ابنه الاكبر في الرئاسة • على ان هذا يجوز ان يتخلى عن حقه الى اخيه الذي يليه في السن • وللرئيس على الاسرة حق الحياة والموت دون منازع^(١) • • وما على افراد الاسرة سوى الطاعة أو الرحيل • • ورئيس الاسرة مسئول عن ادارة الاسرة وتدير معيشتها وحل المشاكل التي قد تقع داخلها والدفاع عنها اذا وقع عليها مكروه من خارجها •

والتضامن الكامل موجود في الاسرة البدوية بأوسع معانيه ، وعاطفة التضامن هذه من أروع مظاهر الحياة في البادية •

والبدو يعتزون بانسابهم اعتزازا يفوق الوصف وهم في ذلك انما يسيرون على سنة اسلافهم العرب • وقد كانت طبقات الانساب قديما كما يلي :

الشعب ، والقبيلة ، العمارة ، البطن ، الفخذ ، الفصيلة ، والعائلة أو الاسرة يقول القلقشندي : وكأنهم رتبوا ذلك على بنية الانسان فجعلوا الشعب بمثابة أعلى الرأس والقبائل بمثابة قبائل الرأس وهي القطع

(١) عشائر الشام - وصفي زكريا - ص ١٦٤

المشعوب بعضها الى بعض والعمارة العنق والصدر وجعلوا الفخذ تلو البطن لان الفخذ من الانسان بعد البطن وجعلوا الفصيلة تلو الفخذ - لانها النسب الاذنى الذي يفصل عنه الرجل - بمثابة الساق والتقدم اذ المراد بالفصيلة العشيرة الاذنون بدليل قوله تعالى « وفصيلته التي تؤويه » أي تضمه اليها ولا يضم الرجل الا اقرب عشيرته واعلم ان اكثر ما يدور على الالسنه من الطبقات الست المتقدمة القبيلة ثم البطن ، وقل ان تذكر العمارة والفخذ والفصيلة وربما عبر عن واحد من هذه الطبقات بالحي ، اما على العموم فيقال حي من العرب واما على الخصوص فيقال حي من بني فلان^(١) .

هذا ما كانت عليه طبقات الانساب قديما اما بدونا المعاصرون فلهم تقسيماتهم التي تختلف قليلا عما ذكرناه سابقا . وهذه التقسيمات هي :

« البيت » ويعنون به الاسرة أو العائلة . والبيوت أو الأسر القريبة من بعضها تؤلف « الفخذ » أو « الآل » مثل « آل سعود » و « آل محمد » و « آل مهيد » وتجتمع الافخاذ فتؤلف « الفرقة » أو « الفندة » وتجتمع الفرق أو الافناد فتكون « العشيرة » مثل عشيرة « الروله » وتجتمع العشائر فتكون « الضناً » مثل « ضناً مسلم » و « ضناً بشر » في قبيلة « عنزة » وقد يتساهلون فيسمون العشيرة قبيلة أو الفخذ فصيلة أو الفندة فرقه .

ويزعم رواة البدو ان القبيلة انما تنشأ من أب عام يورث اسمه الى قبيلته كبنى صخر وبنى خالد . وهذا باعتقادي امر مبالغ فيه واذا صح في قبيلة لا يمكن ان يصح على القبائل عموما .

والرئاسة عندهم ينالها أهل العصية والجاه ويكون على رأس كل فرقة رئيس ورؤساء الفرق خاضعون لشيخ العشيرة وشيوخ العشيرة لشيخ القبيلة المعروف عندهم بشيخ المشايخ . وهم يسمون الرئيس شيخا حتى

(١) نهاية الارب في معرفة انساب العرب - القلقشندي .

ولو كان حديث السن فكلمة شيخ عندهم تعني الشيخوخة والرئاسة معا •
وقد يبرز رئيس احدى الاسر بشجاعته ومضاء عزمه وذكاء جناحه
فتلتف حوله أسر أخرى وتلجأ الى حماه ويتقدم رجالها لخدمته ويصيرون
من ثم اتباعا لتلك الاسرة التي ترأست •

والامير البدوي مع سلطته المطلقة قل ان يستبد في احكامه • كما
وانه لا يحتجب عن احد ولا يمتن أحداً • يجالس الناس ويخالطهم رفيعهم
ووضيعهم وهم لا يعرفون القاب التفضيم ولا نعوت التملق فاذا خاطب بدوي
اميره ناداه باسمه وطالبه بحقه بعبارات تشف عن عزة النفس والأأنفه • •
والشيخ لا يمتاز الا بكونه مقدا على الاقران وهو مكلف بادارة امور
القبيلة وله حق اعلان الحرب أو عقد الهدنة أو ابرام الصلح مع العشائر
الاخرى وهو عادة لا يقدم على ذلك قبل ان يستشير ذوي الرأي من قبيلته •

والعشيرة لا تعترف الا بشيخ واحد والمفروض بالشيخ ان يمتاز
بالارحية والنجده والبسالة ورجاحة الفكر • فاللقام الاول عند البدو في
المشيخة للجدارة الشخصية • يقول الاب جوسن الدومنيكي انه سأل ذات
يوم احد كبراء البدو كيف يصيرون شيوخا عندهم ؟ فأجابه وهو يهز
سيفه : بالفهم السوي والزند القوي • (1)

فالبسالة ورجاحة الفكر مع طلاقة اللسان والحلم عند الغضب ورباطة
الجأش امور يفترض وجودها عند الشيخ اضعف الى ذلك الكرم فعلى
الشيخ ان يكون بيته مفتوحا في وجه كل قاصد يقول احدهم وهو من بدو
سيناء لم اقف على اسمه •

السَّيْخَةُ مَا هِيَ بِالْجُؤْخَةِ

وَلَا بِكُبْرِ الْعَبَايَةِ يَا بَنِيهِ

(1) P. Jaussen et Savignac, Coutumes des Arabes en pays
de Moabe.

الشيخ صبَّ ألقهَ اوى
زي العيون المروية
الشيخه جر المناسف
في السنين الرديه^(١)

مساكنهم :

يسكن البدو في الخيام المصنوعة من شعر الماعز الذي يعطيها هذا اللون الاسود مع تموجات كستنائية غامقة • وهم لا يستعملون كلمة خيمة او فسطاط أو مضرب ولا غيرها مما جاء في اللغة وانما يستعملون كلمة « بيت » او « بيت شعر » •

وبيوت الشعر هذه تكون حاره في الصيف وباردة في الشتاء الا انها على علاقتها ما زالت منذ آلاف السنين مأوى البدو ومساكنهم يطوونها وينشرونها في حلهم وترحالهم •

وتسج هذه البيوت كما قلنا من شعر المعزى لأن هذا الشعر لا يمتص الماء وهو في لحمته وسداه - ذو خيوط غليظة يؤلف حزما متراصة جدا ويزداد هذا التراص حين هطول الامطار بحيث تمنع نفوذ الماء ، بيد انها لا تمنع اشعة الشمس من المرور •

وهي تتألف من مستطيل كبير مؤلف من قطع مستطيلة تدعى « شقق » ومفردها « شقة » ولهذه البيوت حبال تشد الى اوتاد لتثبيت البيت وتسمى هذه الحبال « اطناب » « ومفردها » « طناب » ويرفع السقف على اعمدة يتراوح ارتفاعها من المتر الواحد في الخربوش الى الثلاثة أو الاربعة امتار في بيوت الشيوخ ، وهذه الاعمدة توضع في الخط المتوسط على امتداد

(١) المناسف : مفردها ونسف وعاء كبير يقدم فيه الطعام وهو الجفنه •
السنين الرديه : يقصد سنن القحط والمحل •

البيت ، ويتألف البيت أيضا من « الرواق » وهو قطعة طويلة من نسيج شعر الماعز يربطونها بطرفي السقف او بطرف واحد منه حسب هبوب الرياح او ورود اشعة الشمس ولهذا يظل بيت البدوى مفتوحا من احدى الجهات •

وينقسم داخل البيت الى قسمين هما :

الربعة او المضيف - وهي مجلس الضيوف والرجال

المحرم او الخدر - وهو مجلس النساء

وفصل بين الربعة والخدر بفاصل يسمى « النضيد » وهو في العادة عبارة عن امتعة البيت من الاكياس المحتوية على المؤنه من الحنطة والطحين والتمر وما شابه ذلك ، وعلى الفرش والوسائد والاعطية والبسط ••• الخ •

ولكل بيت « كاسران » و « الكاسر » هو العمود الجانبي الذي يقوم عليه البيت والعمود الذي في الوسط يسمى « الواسط » وجمعها « وسط » والعمود الامامي « المقدم » والعمود الخلفي « الميخر » اي المتأخر واسباخ الحديد التي يربط بواسطتها الرواق بالسقف تسمى « الخلال » •

وتختلف اسماء هذه البيوت باختلاف عدد الاعمدة فيها فالبيت ذو العمود الواحد باستثناء العمودين الجانبيين يسمى « قطبه » واذا كان صغيرا ورثا وبدون عمود متوسط يسمى « خربوشا » وذو العمودين يسمى « مقورن » واذا كان له ثلاثة اعمدة فهو « مثلث » او اربعة فهو « مربع » او خمسة فهو « مخومس » وهكذا ••••

وللاعمدة قيمتها العظمى لدى البدو فهي قوام البيت ومنها قولهم « فلان عماد بيتنا » وهي كلما طالت وكثرت دلت على مركز صاحبها من حيث الثروة والرفعة وفي اللغة « فلان طويل العماد » اي بيته معلم لزيائريه وفلان « رفيع العماد » اي شريف •

وللعמוד قيمته المعنوية لديهم فاذا اقترب احدهم جرما وطورد فانه يدخل اي بيت يصادفه ويقبض على عموده فيكسب بذلك حماية اهل البيت ♦
 واجتماع هذه البيوت تسمى « نزل » وجمعها « نزول » يقول شاعرهم :

صُبْحٌ اَرْبَعَةٌ يَلْفَنُ نَزُولٍ كَمَا اللَّيْلُ
غَلَبًا لِيَا عَدْتُ حَمَاقُ الْقُبَايِلِ

ويكون النزل عادة على صفين اما اذا كان كثير البيوت فيكون من عدة صفوف ويسمى الصف « سماط » والفسحة التي بين الصفوف تسمى « المراح » وينصب بيت الشيخ في الصف الغربي او الاوسط ويمتاز برفع شارعته عن بقية البيوت ، و « الشارعة » هي العمود الامامي من الربعة وبها يستدل الضيوف الى بيت الشيخ دون الحاجة الى دليل ♦

ملابسهم :

ملابس البدو عادة بسيطة وتتألف من ثوب ابيض يمتاز بردون طويلة فيقولون « ثوب مرودن » والردون جمع « ردن » ويكون هذا الثوب واسع وطويل وفوقه ثوب اخر اوسع واطول حتى يصل الى القدم وكلما كانت اكمام الثوب طويلة دلت على عراقه صاحبها في البداوة واذا وقف البدوي وارخى يديه الى جانبه يكاد ردنا ثوبه يمسان الارض ♦♦
ولكنهما في الغالب يعقدان وراء الظهر

وقد يلبس البدوي « الصايه » فوق الثوب والصايه او الزبون مصنوعة من قماش رقيق لماع وتكون مفتوحة من الامام ♦ واكمامها اقصر من اكمام الثوب ويشحزم فوقها بحزام من الصوف ♦

اما غطاء الرأس فيتألف من الكوفيه وهي قطعة مربعة من النسيج

القطني تطوى وتوضع على الرأس تحت العقال ويسمونها (قضاضة) أو محرمة او « غتره » والعقال يكون اسود اللون وهو عبارة عن ضفيرة من شعر الماعز •

ويرتدي البدوي في الشتاء فوق ملابسه « الفروه » وهي مصنوعة من جلود الخراف وفي الصيف يلبسون العباءة ويرتدي الاغنياء منهم تحت الفروه « الدامر » وهو معطف قصير واسع من الجوخ لونه ازرق او اسود وهم لا يلبسون السراويل نساؤهم ورجالهم في ذلك سواء •• وغاليتهم حفاة الاقدام •

والمرأة تلبس ثوبا داخليا مزركشا فوqe ثوب اسود او نيلي طويل الذيل ومصنوع من القطن ويسمونه « ثوب اسمر » وتتحزم عليه بحزام مصنوع من الصوف الملون ويكون على الاكثر احمر اللون • وتلبس فوqe معظفا واسعا قصير الاكمام لونه ازرق او اسود واسمه « دراعه » وهي تقابل « الدامر » عند الرجال وتضع المرأة على رأسها « المقرونة » وهي تقابل الكوفيه عند الرجل وهي مصنوعة من الحرير الاسود ، تجعلها المرأة بشكل عمامه ويسمونها « عصابه » او « عصبه » •

والنساء على الاكثر لا يلبسن احذية في اقدمهن ، اما في الشتاء فيلبسن حذاء من الجلد الاصفر او الاحمر له من الامام هدبات زرقاء متدلّية ويسمى هذا الحذاء « زربول » •

هذا هو العام الغالب في لباسهم الا ان بعض النسوة وخاصة نساء الشيوخ وفتياتهم قد يرتدين الثياب الملونة • يقول الشاعر

انْهَضِي الثُّوبَ الْاَحْمَرَ لَا يَتَدَمَّرُ

ناوشي الرِدْنِ ثُوبَكَ عَنْكَ اشِيه

او يلبس ثياب الحرير الملونة ايضا ويسمونه « الجيني » نسبة الى

الصين يقول الشاعر :

دَاعِجِ الْعَيْنِ رَاعِي الْجَيْنِ الْأَصْفَرِ
مَا يَضْفَضِفُ مَعَ الْوَاطِي سَلِيلِهِ
وَالْمَرْأَةَ تَضَعُ اللَّثَامَ لِتَخْفَى بِهِ الْقَسَمَ الْأَسْفَلَ مِنْ وَجْهِهَا وَتُظْهِرُ عَيْنَيْهَا
فَلَا وَمَرَهُ اللَّهُ يُرْدُهُ وَيُثْنِيهِ
أَرْخَى لِثَامَهُ لِيَنْ تَبَدَّى ثَمَائِهِ
وَهُنَّ لَا يَسْتَعْمَلْنَ مِنْ أَدْوَاتِ التَّجْمِيلِ وَالْمَسَاحِقِ سِوَى الْحَنَاءِ وَالْكَحْلِ
وَيَتَرْتَبِنَ بَعْضُ الْحَلِيِّ الرَّخِيصَةِ • وَقَوْلُ الْمُتَنَبِّي :
حَسَنَ الْحَضَارَةِ مَجْلُوبٌ بِتَطْرِيهِهِ
وَفِي الْبَدَاوَةِ حَسَنٌ غَيْرٌ مَجْلُوبٌ
مَا زَالَ سَارِيَا حَتَّى الْآنَ وَهُوَ الْمَرْغُوبُ عِنْدَهُمْ يَقُولُ الشَّاعِرُ مُقَارِبًا
الْمُتَنَبِّيَ فِي مَعْنَاهُ :

مَزَيُونَةٌ مِنْ يَوْمٍ كَانَتْ صَغِيرَةً
مَا هِيَ مِنْ أَلِيِّ زَيْنَهِنَ صَبْغٌ جَاوَهُ

الفصل الرابع

حياتهم الدينية والعقلية

حياتهم الدينية :

العقيدة عند البدو بسيطة بعيدة عن التكلف مبنية على قبول ما كان قريبا من اذهانهم واحق بالاخذ مما يسجج مع روحيتهم ونفسياتهم ويلائم مداركهم وذهنيتهم ♦

والبدو جميعهم مسلمون ، والبدوي يعتقد بوحدانية الله عزوجل وبرسالة نبيه الكريم ♦ فنراه يقول في كل خطوة من خطواته (الله ومحمد رسول الله)^(١) وهم يميلون الى التوحيد الخالص الذي يتنافى وتعلق الناس بالاولياء^(٢) لذا نجدهم لا يميلون الى زيارة المراقد وينفرون من اضرحة الاولياء والصالحين ولا يهتمون بها اذ ان هذا بنظرهم شرك وعبادة للاشخاص من دون الله يقول احدهم :

يا عُونُ من طالَعَكَ بَرَزَانُ

ونام بشَنَاقِكَ هَنِي

ويا عُونُ من فَارَقَ اَلْبَرغوث

وفراق عِبَادَةَ عَلِي

وبرزان قصر ابن الرشيد في نجد ♦ وعبادة على اي عابدو على ويقصد بهم الشيعة في حين ان الشيعة لا يعبدون الامام عليا (رضي الله عنه)

(١) خمسة اعوام في شرق الاردن - بولس سلمان

(٢) عشائر العراق - عباس العزاوي

وانما يعتقدون فيه الامامه الا ان هؤلاء البدو لا يفرقون اذ انهم يرون مجرد الاتقياد الى شخص عباده •

وهم كما اسلفنا يأخذون العقيدة مجردة من كل هذه القشور التي لحقت الاسلام ، يروى عن الشيخ صفوق الفارس الجربا - وقد عاش في بداية القرن الثالث عشر للهجرة - احد مشايخ قبيلة شمر انه كان في مجلس من مجالس بغداد فدخل المجلس رجل احتفى به الجميع ونال احترامهم فسأل عنه • ف قيل له انه الشيخ فلان •

قال : هو شيخ اي قبيلة ؟

ف قيل له : انه ليس بشيخ قبيلة وانما هو شيخ الطريقة النقشبندية وهي طريقة دينيه •

فكان جوابه : الدين ما به نقوش ، اي ليس في الدين نقوش او زخارف (١) •

وهذا الذي ذكرناه يتنافي وما ذكره المطران بولس سلمان من انهم يأتسون الى المعتقدات الطبيعية ويكرمون الاحجار المقدسة والاشجار المورقة والمياه الرفيعة التي يعزون اليها شفاء الامراض ويقدمون اليها ذبائح شكر (٢) •

ويبدو ان المطران بولس سلمان قد جانبه الصواب في ذلك والذي اوقعه في هذا الخطأ على ما اعتقد - هو عدم تفريقه بين البدو الاقحاح والفلاحين او انصاف البدو •••

والبدو رغم ايمانهم بواحدانية الله وبرسالة الاسلام نراهم يتساهلون كثيرا في الفروض والواجبات كالصلاة والزكاة والحج الى غير ذلك من

(١) عشائر العراق - عباس العزاوي •

(٢) خمسة اعوام في شرق الاردن - بولس سلمان

فروض الدين وهذا التساهل ليس عاما في البدو وانما ينحصر في بدو الاردن وسورية والعراق اما بدو نجد فقد اجبروا على تأدية هذه الفروض بعد انتصار الدعوة الوهابية وقيام حكومة آل سعود • وتساهل البدو في تأدية هذه الواجبات لا يعنى انهم ضعاف الايمان^(١) او قليلوا التعلق بالدين^(٢) •

والبدوي مهما كان قاسيا فاتكا فاسم الله ورسوله يتردد على السنتهم دائما • وكثيرا ما يرد في اشعارهم اسم الله يستغفرونه على ما فعلت ايديهم، ويتوسلون اليه بالدعاء، وطلب الرحمة والمغفرة •

يَا اللَّهُ يَا عَائِدٍ عَلَىٰ كُلِّ دَيْرَةٍ
يَا رَبُّ يَا مَنَشَىٰ مِزْنَ مُصَادِيرِ
يَا اللَّهُ عَسَىٰ مَا تَكْرَهُ النَّفْسُ خَيْرَهُ
يَا وَالِي الدُّنْيَا عَلَيْكَ التَّدَابِيرِ

أو

أَبْدَىٰ بَدِّكَرِ أَلِي عَلَىٰ أَلِكْلِ مَنَّانٍ
يَا رَبُّ يَا خَالِقِ عَرْشِ بِسْمَايَا
نَطْبِكَ يَا رَبُّ يَا رَافِعِ الشَّانِ
تِرْفَعِ عَيْدَكَ مِنْ جَمِيعِ أَلْهَايَا

والبدوي يؤمن بان كل شيء من الله • فعقيدة القضاء والقدر هي المتسلطة على كل شيء لدى البدوي وكلمات (الله اكبر) ، (والله اعلم) و (لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) و (اينما تكونوا يدرككم الموت)

1. Commandant Victor Muller, en Syrie avec les Bédouins 1931, Paris
2. Les tribus nomades et semi - Momades des Etats du levant placés sous mandat Francais. 1930, Beyrouth.

وامثالها هي القواعد التي يعتمد عليها البدوي طول عمره وهذا هو السبب في انه لما يتم البدوي حياته القاسية المتشردة وينقلب شيخا هرما ترى وجهه الذي كان نشيطا فعلا صار يشع صفاء روحيا تاما (٣) •

وهذا امر واضح كل الوضوح ويمكن لاي انسان ان يحسه في حديثهم وتصرفاتهم ويجده في اشعارهم التي تنطق ابياتها بهذا الذي ذهبنا اليه يقول الشاعر محمد عبدالله القاضي •

وما قَدَّرَ أَلْبَارِي عَلَى الْعَبِيدِ مَقْسُومٌ
يَسْلَمُ وَيَرْضَى بِالْقَدَرِ وَالسَّلَامِ
فَالعُمْرُ لَهُ حَدٌّ بِالأَوْرَاقِ مَرْسُومٌ
وَالرِّزْقُ مَضمُونٌ حَسَابُهُ تِمَامٌ

أو كقوله :

وَالْقَدَرُ بِالْقَلَمِ حَكْمُهُ سَبِقٌ
نَافِذٌ وَاللَّوْحُ وَالْمَشْفُوقُ عَيْقٌ
وَالْحَدَرُ مَا فَكَّ مَشْفُوقِ الرَّمَقِ
وَالْقَدَرُ مَا لِي عَلَى دَفْعِهِ طَرِيقٌ

وكقول العوني :

يَقْضِي وَيَمْضِي قَادِرٍ مَا يُبَالِي
يَفْعَلُ عَلَى مَا رَادَ مَحْدٌ كَفِيلُهُ
يَفْعَ وَيَاضَعُ قَادِرٍ مَا يُسَالِي
وَالْخَلْقُ مَا تَفْعَلُ بِأَمْرِهِ فَعِيلُهُ

3. Capitaine Raymaud et Médecin - Major Martinet, les Bédouins de la Mouveuce de Damas 1922.

ماله شريكِ جَلَّ فوقِ متعالِي
وعلمه أحاطَ بدَقِّها وأَجَلِيلَة
يَا واحِدِ فَوْقِ أَسْمَاوَاتِ عَالِي
من سَطَوْتُهُ كُلِّ الْخَلَائِقِ ذَلِيلَه

ومن الغريب انني لاحظت عندهم بقية من الجاهلية تحدت اليهم
فالمرأة في الجاهلية لم يكن لها من الميراث شيئا حتى جاء الاسلام وانصفها
وجعل لها نصيبا حددته الشريعة بنصف حصة الذكر بدليل قوله تعالى
« وللذكر مثل حظ الانثيين » • الا ان البدو ما زالوا رغم كونهم مسلمين
موحدين يحرمون المرأة من الميراث فهي لا ترث في عرفهم ، وانما يعطون
الام جملين فمن كل ثدى يعطونها جملا واحدا تعويضا لها • والاخوات
لا يرثن والاخ مكلف باعالتهن ومساعدتهن ، والزوجة اذا مات زوجها
معززة مكرمه ولا تحصل على شيء من ميراث زوجها واذا فضلت العيشة
عند أهلها تعطى جملا واحدا •

وعلى العموم فالميراث ينحصر بالذكور فقط دون الاناث فاذا لم يكن
للمتوفى اولاد فاخوته وان لم يكن له اخوه فالاعمام واذا لم يكن له اعمام
ولا اولاد اعمام فالعصية الاقرب فالاقرب •

والقاعدة هي حرمان الاناث من التركة كما اسلفنا وهي من الظواهر
الجاهلية التي بقيت عندهم حتى الآن •

★ ★ ★

الحياة العقلية

البدو عامة أميون لا يعرفون من القراءة والكتابة شيئا الا ما ندر عند
بعض ابناء الشيوخ • فهم باقون على السذاجة والفترة اللتين كانوا عليها

منذ آلاف السنين • لكنهم بصورة عامة اذكياء يدركون أموراً كثيرة بالسليقة
وإذا أقيمت عليهم مسألة تعلموها وفهموها حالا ولقد اكتسبتهم قوة الملاحظة
وتجاربهم الكثيرة واضطرار الحاجة طائفة من العلم المبني على التجربة
والاستقراء •

فهم على معرفة واسعة بابلهم وكل ما له علاقة بها وعلى معرفة
تامة بالصحراء وطرقها ومغاورها • فحياة التقل والارتحال الدائمة دفعتهم
لمعرفة دروب الصحراء ومعرفة النجوم للاستدلال بها في اسفارهم وهم على
معرفة تامة بالنجوم ومطالعتها وافولها وتأثيرها على الانسان والحيوان واثرها
في تقلبات الجو وطول النهار وقصره وظهور الاعشاب والنباتات وتغير
الفصول ••• فظهور نجم معين يفهمون منه حلول الربيع او الخريف •••
الخ وتأثيره على الانسان والحيوان وهناك قصيدة للشاعر محمد عبدالله
القاضي مؤلفة من خمسة وخمسين بيتاً تدور كلها حول الانواء والنجوم
وتأثيرها ومطلع هذه القصيدة •

سَبَكَ لَكَ نَجُومَ الدَّهْرِ بالفكرِ حَازِقِ
حَوَى وَاخْتَصَرَ مَصْمُونَهَا بِأَمْرِ خَالِقِ

وهذا راكان بن حنبلين يقص لنا في إحدى قصائده سفره الى مكان
معين واستدلاله بالنجوم في سفرته هذه فيقول :

خَلَيْتَ نَوْعَ (الْجِدَى) بَوْرِكَ الْمَطِيهِ
وَاسْفَرَ نَجْرَهَا عَنِ (سَهِيلِ) الْيَمَانِي

وقد دفعهم اعتمادهم على المطر وتعرضهم لاحوال بيئتهم القاسية الى
معرفة احوال الجو ، الانواء والرياح لعلاقتها بالكأ والغيث بحيث يعرفون
اماكن سقوط الامطار • وعرفوا الميطره والخيل والابل لاتصالها بالحرب
ولكونها عماد حياتهم • وقد دفعتهم الحاجة الى مداواة انفسهم وحيواناتهم
فألوا بعض الامام البسيط بمعارف تجريبية في الطب مثل الكى بالنار

واستخلاص العقاقير الطبية من اعشاب ونباتات البادية •

وقد مهرروا في الفراسة والقيافة الى حد الاعجاز وقلما يخطئون في استدلالهم بانار الاقدام واقتنائها وقد برع في هذه الناحية « بنومره » في نجد حيث تعتمد عليهم الحكومة السعودية في الكشف عن الجرائم وغيرها عن طريق اقتفاء الاثر ويروى عنهم حكايا لا يكاد يصدقها العقل •

وهم على معرفة بسيطة بحوادث العرب القدامى وشخصياتهم اذ اتسنا نلاحظ في اشعارهم ورود اسماء لابطال العرب واجوادهم مثل عنتره العيسى وحاتم الطائي وخالد بن الوليد وعمرو بن معد يكرب الزبيدي وعمرو بن العاص والمهلhel ••• وغيرهم من امثال ابي زيد الهلالي ودياب ابطال الملحمة الشعبية المعروفة ••• ويعرفون قصة ليلى والمجنون وقد روى لي احدهم ابياتا للمجنون (فيس بن الملوح) يخاطب بها ورد :

أَسَايَلَكُ بِالنَّبِيِّ يَا زَوْجَ لَيْلَى

بِجَنَحِ اللَّيْلِ كَمْ قَبَلْتِ فَاهَا

وهذا البيت واضح انه تحريف لبيت المجنون :

بربك هل ضمنت اليك ليلى

بجنح الليل او قبلت فاهها

وقد رويت لي قصة عن عاشق اخر اسمه (رميم) وقالوا ان سبب تسميته بهذا الاسم راجع الى انه كان يضع في عنقه جبلا « رمه » وهذه الشخصية هي شخصية « ذي الرمه » الشاعر المعروف ولكن تقادم الزمن ادخل عليها هذا التحريف وهذه الزيادات على ما اعتقد •

وختاما نقول : ان معارفهم بسيطة كحياتهم التي لم تسمح لهم بالتبحر بالعلوم او التفكير بالفلسفة والقضايا الفكرية الاخرى لان حياتهم حياة قلقه غير مستقرة وعلى هذا فمعارفهم وليدة تجاربهم اليومية وملاحظاتهم العامة وحاجاتهم في بيئتهم القاسية ••

الفصل الخامس

الحالات الاجتماعية عند البدو

اخلاقهم ومزايهم :

كان العرب في جاهليتهم - عدا سكان المدن - بدوا يضربون في الصحارى والقفار • وطور البداوة هذا ميزهم وخصهم بحالات اجتماعية واخلاقية ومزايا خاصة بهم عرفوا بها على مر الايام •

ومن هنا كان ما تذكره الروايات وكتب الادب والتاريخ عن عرب الجاهلية ينطبق جله ان لم نقل كله على البدو في مختلف العصور حتى عصرنا الحاضر •

فالبدوي بسكنائه الصحارى المقفرة المحفوفة بالاحطار والمشاق وبعده عن المدن ونبذه الدور والاسوار وتفضيله لبيوت الشعر عليها وطبيعة الصحراء القاسية ولد فيه مزايا وخصالا امتاز بها عن الحضرة سكان المدن • منها الشجاعة والعصية والكرم والوفاء والصدق والانفة والنجده •

ولقد اضطرتهم الى هذه العصية - وهي التضامن المطلق بين افراد القبيلة - طبيعة حياتهم هذه • اذ ان توغلهم في المهامة القفراء وتولعهم بالغزو جعل حياتهم في حرب مستمرة •

سَابَتْ عَوَارِضُنَا بَزَارِقٍ وَمَزْرُوقٍ

وَصَوَائِحٍ بِظُهُورٍ طُوعَاتِ الْاِرْسَانِ^(١)

(١) زارق ومزروق : ضارب ومضروب يريد الاشتباك في المعركة واستعمال الرماح • زرق الرمح : قذفه ورماه • صوايح : مفردها صايح اي صائح من صاح يصيح ويريد صرخاتهم في المعركة • طوعات الارسان : الخيل •

وجعلهم بالتالي على استعداد دائم للقتال

جِضِيعِي مَنْ هِنْدِي مَصْقُولٌ صَارِمٌ
لَمَّا نَاشٌ مِنْ جِثْلِ الْعِظَامِ رَمَاهُ
وَوُوبِي مَنْ الْبَوْلَادُ دِرْعٌ وَطَاسَهُ
يَبْيِئْنَ لِعَيْنِ النَّاطِرِينَ سِنَاهُ^(١)

وأصبحت الشجاعة والبطولة طبيعة فيهم لا يهابون المنايا بل يطلبونها •
لا تتقي الاخطار يا نفس واشرهي
ما زاد باعمار الحريرم القناع^(٢)

ثم ان الموت نتيجة حتمية للإنسان فعلام الخوف والجبن
لا بد من خرقه ايضا على السنة
والموت من قبلنا ما عاف راكان^(٣)

ولما كان من المتعذر على الفرد لوحده مهما كانت شجاعته ان يقابل
الاعداء بعددهم الوافر لذا نراه التجأ الى العصية القبلية هذه العصية التي
تفرض عليهم التضامن فيما بينهم ونصرة بعضهم البعض لان الكل معرض
للمخطر والذي يصيب الفرد يصيب الجماعة •

كان ما فزعت اليمينه لسراها
إعلم اللي وطا هاذيك واطيها^(٤)

- (١) جضيوعي : ضجيعي • ناش : اصاب • جثل العظام : قويا •
البولاد : الفولاذ • يبين : بالتشديد يبدو •
- (٢) اشرهي : اقدمي • الحريرم : النساء عامة • القناع : لبس القناع •
- (٣) الخرقه : قطعة القماش ويقصد بها هنا الكفن • راكان : هو راكان
بن حنلين من فرسان البادية العظام •
- (٤) ما فزعت : لم تنجد • وطا : وطأ • هاذيك : تلك •

ومن هنا جاء اعتزازهم بانفسهم ونسبهم وفخرهم باصولهم •
 حنا كما صافي الذهب° وابيض من الخام الجديد
 ثم ان ابتعاد البدوي عن المدن وتفرده في البوادي الموحشة جعله يكرم
 الضيف ويحمي الضيف والجار الى حد تصل فيه هذه الاشياء الى مستوى
 العقيدة •

يا صار° ما نعطي الضيف° ما كل° لنا كار°
 نَقْعُدْ مَعَ زِينَاتِ الدَّوَابِّ بِحَنَّة° (١)
 ترى الخوي° والضيف° والثلث الجار°
 مثل الصلاة° ما بين فرض° وسنة°
 وهم يعتزون ويفخرون بانهم يحمون الجار ويجيرون من
 يستجير بهم •

وَرَفَاقَتَهُ وَالْمِي حِدَانَا لَهُمْ جَار°
 وَحِنًا عَلَيْهِمْ نَحْمِي الْجَار° وَنَجِير° (٢)
 وهذه الصفة اعني اكرام الجار وحماية المستجير ليست صفة عامة عند
 البشر في نظرهم والا لما عدت مفخرة وانما هي صفة يتصفون بها لوحدهم
 لذا جاء افتخارهم بها واعتزازهم بالقيام بها •

وَاحِدٌ عَلَى جَارِهِ° بِخُتْرِي° وَنَوَار°
 وَاحِدٌ عَلَى جَارِهِ° صِفَاتٍ مَحِيْفَةً° (٣)

- (١) ما ظل لنا : لم يبق لنا • كار : عمل • الحنه : الحناء وهو خضاب
 يستعملونه في صبغة الشعر •
 (٢) رفاقته : رفاقه • اللي حذانا : الذين يحاذونا • حنا : نحن •
 (٣) بختري : نبات من نباتات البادية • صفات محيفة : ارض فقراء
 لا نبات فيها ولا ماء •

والرجل الذي ينزل فيهم يحمونه ويدفعون عنه الاذى ويكرمونه ويعزونه حتى وان لم يكن من اصل معروف أو نسب رفيع •

خَوَيْنَا وَلَوْ هُوَ مِنْ الْجَدِّ بِصَلِيبٍ
مَجَّودٍ مِّنَّا بِرَأْسِ السَّنَامِ^(١)

والكرم هذه الصفة التي ما ذكر العرب الا وذكرت معهم ما زالت كما كانت ملازمة لقبائلنا البدوية الحاضرة يدلون بها ويعتزون حتى ان البدوي يحتال على جلب الاضياف احتيالا ليقوم لهم بواجب الضيافة والكرم •

لِي ضَاقَ صَدْرِي قِمَتِ أَصَوْتِ لِنُورَةٍ
هَاتِي حَطَبٌ وَأَرْمِيهِ لِلجَارِ وَالضَيْفِ

ثم ان هذه الحياة القاسية التي يحيها في هذه المهامة التي تطحنه بقساوتها خلقت عنده جلدا وصبرا على تحمل الصعاب وعوادي الزمن •

أَشْرَبِ هَمَاجَ الْمَاءِ وَلَوْ كَانَ مَطْرُوقٌ
وَأَصْبِرْ عَلَيَّ صَقَعَاتٍ بَقَعَا وَالْأَكْوَانَ^(٢)

الا انه رغم صبره على المكاره وتحمله المشاق والصعاب نراه يأنف حياة النذل مع النعيم ويفضل عليها حياة مجدبة طاحنة تؤمن له حرته •

فَارْبَابًا بِنَفْسِكَ عَنْ دَارٍ تَذِلُّ بِهَا
لَوْ أَنَّ حَصْبَاءَهَا دَرٍ وَمَرْجَانِ

فالذل لا يمكن ان يقيم عليه انسان في راسه شيء من الانفة والكرامة

(١) خويننا : رفيقنا او صديقنا او الذي يحتمي بنا • صليب : قبيلة محتقرة عند البدو • مجود وامتجود منا براس السنام : يتبؤ الصداره •

(٢) هماج الماء : الماء المالح الغير نقي • صقعات : ضربات • بقعا : الحياة • الاكوان : المعارك والقتال •

الحيْفُ ما يَصْبِرُ عَلَى الْحَيْفِ رَجَالٌ
ان كان في راسه زَعَانِفٌ صِطَارَةٌ^(١)

نعم ان البدوي ذو انفه وكبرياء تمنعه من الرضوخ للظغاه
من دورٍ سالمٍ والشريفُ ما حَتًّا للجاسي لِيان^(٢)

والبدوي لا يرضى لنفسه ان يعيش على الهامش بل هو في الصدارة
ولا يوجد بنظره من هو افضل منه لذا نراه يأنف ان يمس بشيء يرى
فيه انتقاصا له أو امتهاناً لكرامته - لذا نجده سريع الغضب والاقدام على
المكاره اذا تخيل ان قد مس شرفه نتيجة كلمة قيلت أو فعلة مهما كانت
تافهة والنفس اذا احست بما يضيرها انفعلت وتهيأ لها طريق الانتقام ومن
هنا كان من السهولة تحريكهم الى الحرب بقليل من الكلمات

والحرب أمر طبيعي بالنسبة للبدو لكثرة ما خاضوا غمارها واصطلوا
بنارها وهي عندهم امر لا بد منه في حياة البادية التي يتحكم بها القوي وينفرد
بمياها ومراعيها فلا بد لهم من الحرب حتى يزحزحوا ذلك المسيطر لينتزعوا
منه المياه والمراعي

أشربُ بِهِمْ صَافِي المِياهِ الشَّهَالِيْلُ
وَأَنْزَلَ بِهِمْ غَضْبًا عَلَى كُلِّ عَايِلٍ^(٣)

وعليه فقد كانت حياتهم حياة غزو وغاره وضرب وطعن والغزو أمر
مشروع لديهم يفخرون به ولا يرون به نقیصةً كما يراه الآخرون فهو تابع
للأخذ بالتأر واخذ الثأر امر عرفوا به من القدم ومن العار على البدوي ان

(١) رجال : بتشديد الجيم أي رجل • زعانف صطاره : بقية من انفه
وحميه •

(٢) الجاسي : القاسي • لِيان : لينون •

(٣) الشهاليل : العذبة • غضبا : رغما وقسرا • عايل : البادية بالشر

لا يأخذ بشأره ♦♦ والغزو من ناحية أخرى يعتبر موردا من موارد رزقهم وهناك حالات أخرى تدعو للغزو كعداء مفاجيء وتجاوز وقتي أو على الكلاً والمرعى والمياه أو لمجرد ارضاء البدوي حبيته واطهار شجاعته وفروسيته ♦♦ ومن هنا كانت الحرب هي الامر السائد والسلم امرا طارئا ♦♦ أي انهم يكونون في حالة حرب على الدوام والبدوي يعتز ويفخر بالغزو كما اسلفنا واستعدادهم للغزو من أجمل الايام في نظر البدوي ♦

يا ما حَلَى وَقْتَ الضَحَى طَقْ شوباش
 وَقَامَتْ تِنَازَا بالمناكير جَلْعُود
 وَأَنَا عَلَى مِثْلِ النِّدَاوى الى حاش
 تِنَزَعْ كَمَا يِنزَعْ من الكف بارود
 وَمَنْ لا يِروى شَدِرَةَ السيفِ لا عاش
 وَأَصْبَحَ عَلَيْهِ مِوردِ الجِيبِ مَقْدُود^(١)

بل انها - اعني أيام الحرب - في عرفهم أيام حبيبة على قلوبهم كأيام الاعياد تجلب السرور والفرح لهم ♦

العِيدُ عِيدٌ للنبات حِينَا الحَرَائِبُ عيدنا
 لا طَعَنُ وادمي حَرَبَتِي لِعِيونُ من يريدنا

وحالة الحرب هذه التي نذروا لها أرواحهم وأصبحت لهم أمرا طبيعيا ومهنة ، لم تترك لهم مجالا لعمل آخر يقومون به ♦

(١) يا ما حلى : ياما أحلى • تنازا : تجول وتجمع • المناكير : الشجعان
 جلعود : الخيل الاصيلة • الى حاش : اذا انطلق لقصده وهي مقاربه
 لمعنى حاش باللهجة المصرية • تنزع : تنطلق بسرعة والنزع قوة
 الدفع •

لذا نراهم كما كانوا في جاهليتهم يحتقرون الصناعة والحرف الاخرى
ويعتبرونها مهناً حقيرة لا يتخذها الا من ليس بعربي أصيل ، نهم أهل
حرب ووطن خلقوا للبطولة والشجاعة ♦♦ والكر والفر وتربية الابل
والخيل والتجارة ♦

يا عييد جد أمك يفحج على الكير
أصله صليبي يدق الصباره^(١)
شاطرٌ بصنعةً للحذا والمسامير
ودقنه خلاص الكير كله بشراره^(٢)

وكانوا الى سنوات قليلة يحتقرون الزراعة ويعتبرونها أمراً معيياً الا
انهم أخذوا في السنوات الاخيرة يزرعون القمح في بواديهم معتمدين على
المطر في ريها وما زالت أمراً ثانوياً بالنسبة لهم لم يحترفوها كلية وعلى ذلك
فما زالوا حتى الآن يحتقرون أهل الريف ويسمونهم « فلاليح » ومن
أقوالهم « الذل بالحرث والمهانة بالقر » ♦

يا الدسيم ما ربعي لربعك فلاليح
ربعي مجزبين العدو بالفعاليل^(٣)
ربعي فلاحتهم على الفطر الفيح
ومركوبهم قب المهار الاصايل^(٤)

- (١) يفحج : يجلس مباعدا ما بين رجليه • يدق الصباره : يصنع
الحديد •
(٢) شاطر : ماهر • الحذا والحذوه : نعل الفرس ويكون من الحديد •
(٣) ربعي : رفاقي ، اصحابي • فلاليح : فلاحون • الفعاليل : الافعال
(٤) فلاحتهم : زراعتهم • الفطر الفيح : النوق والجمال القوية الاصيلة
المهار : جمع مهره وهي الفرس الفتية •

وحصاهم رؤس العيال المفاليح

(١)

وهم أعني أهل الريف لا مفخرة لديهم في نظر البدو فيكفيهم عارا
وذلة زراعتهم واقتناؤهم الشياه والمعز والبقر هذه المهن التي تمنعهم عن
الايغال في اليباء ومناجزة الاعداء فيكفيهم هذا ليتفى عنهم كل ما يجعلهم
محترمين ♦

يَخِيَهُ وَشَ نَيْبِي نَقُولُ
اهْلُ دَيْشِي وَعَجَّوْرُ
واهلُ كَرْدٍ واهْلُ ثور
♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦

وكذا الحال بالنسبة للحضر سكان المدن فهم محقرون لانهم فقدوا
كل صفة من صفات البادية فلا شجاعة ولا اباء ولا محافظة على انساب ♦ ♦ ♦
ثم ان سكانهم للبيوت الحجرية عودهم على الترف والراحة ♦ واتكالمهم على
الدولة لتحميمهم عار ما بعده عار فأى شيء يجعلهم محترمين ♦ ♦ وأهم
تقيصه يلصقها البدوي بالحضري غلقه لبابه في وجه الضيوف التي تعنى
انتفاء صفة الكرم والمروءة ♦

يا موصيَ الحرمة على صكّة البيت
تَقُولُ مَا هُوَ فِيهِ لَوْ هُوَ وَرَاهَا

ومعيشة الصحراء هذه تصون حياتهم واخلاقهم من الدنس والبدوي
بطبعه يمقت الزنا ويأنف منه كل الانفه فمن العار عليه ان يتصل بامرأة
هي متاع كل واحد وفضالة كل شارب وقديما قال قائلهم :

(١) العيال : الفتيان . المفاليح : الاخيار ، الشجعان مفردها مفلح
وفالحو وهي عكس طالحو .

إذا وقع الذباب على اناء
رفعت يدي ونفسي تشتهي
وتجتنب الاسود ورود ماء
إذا كان الكلاب ولفن فيه

وما اشبه هذا القول يقول الشاعر البدوي :

خِرِّي وَأَنَا رَاكِنٌ زَمَلِ الْوَيْه
مَا يَقْبَلُ الْفَضْلَاتِ كَوْدَ الْهَدَانِي

والفتاة عندهم من الصعوبة اغواؤها • واحترام الرابطة الزوجية
والاحتفاظ بالشرف والكرامة من غرائزهم وسجاياهم المخالطة لدمائهم
والذي يتجرأ على انتهاك الحرمات ويخالف ما افوه من عفه وطهر - يكون
الموت نهايته الحتمية •

والمرأة في القبيلة لها من الحرية ما للرجل ولها مكاتنها الرفيعة والمرأة
لا تحتجب ولا يرى البدوي في سماحه لابنته بالاشتراك في الرقص والغناء
والافراح مع بنات القبيلة وفتياتها أي غضاضة أو نقيصة • والغزل البريء
الذي لا يتعدى حدود الكلام أمر مباح ومسموح به وهناك الكثير من
الشعر الغزلي الصادر عن فتيات عاشقات قلنه في احبابهن دون ان يثير عليهن
غضب آبائهن •

ومن تعلقهم ببدوتهم واعتزازهم بنقائهم أصبح عينا قبيحا عندهم ان
يتزوج احدهم بحضرية أو يزوج ابنته لحضري والمرأة البدوية تكاد تكون
أشد تعلقا ببدوتها من الرجال فاذا طلبت احداهن لرجل من الحضرة فهي
تقول « صكك باب ما اريدنه » أي انه يغلق الباب دونه اذا نام وهذا دليل
الجبين والخوف أو يغلقه دون الاضياف وهذا منتهى البخل الذي يتنافى
ومفهوم الكرم عندهم •

ولهذا نرى البدوي لا يفكر ان يتزوج بحضره ♦

كُلِّ يَدَوَّرَ رَغْبَتُهُ فِي زَوَاجِهِ
وَالْبَدُو مَا لِلْحَضَرِ يَوْمٌ يَغْنُونُ

والرجل عليه ان يبحث عن حليلته بين البدو لانهم ما زالوا على نقائهم
وصفاء انسابهم ♦

عَرَبٌ وَلِيَدِكَ عَرَبُهُ وَالنَّارِ مِنْ مِجْبَاسِهَا
وَالعَزِ بِوَرُوكِ النِّسَاءِ يَلِّي بَعِيدِ سَاسِهَا

والبدوية كذلك تفضل البدوي مهما كان على غيره لنفس
الاسباب ♦

وَمِنَ الْبَدُو جَلْفٌ يَرِي نَعَاجَهُ
وَلَا سِمَاقِي مِّنَ الْوَرِسِ مَدَّهُونُ

وما اشبه هذا بقول ميسون بنت جندل امرأة معاوية بن ابي سفيان
وخرق من بني عمي نحيف
احب الي من عليج عني ف

وعيشة البادية على ما فيها من شظف العيش وخشوتته حبيبة الى قلوب
اهلها الذين يحنون اليها دائما ولو نقلوا الى خفض العيش وحياة الترف ♦

حَلَفْتُ لَوْ اعْطِيَ الْحَسَا مَعْ خَرَّاجَهُ
عَلَى بَيَانِ الْحَضَرِ مَا يَصْكُونُ
عِنْدِي أَحَبُّ مِّنَ الْقَرَعِ مَعْ دِجَاجَهُ

هِيَمِ مِجَاهِيمِ بِالْأَقْفَارِ يَرْعُونَ

وَأَحَبُّ مَنْ لَبَسَ الْعَبِيَّ وَالْعِلَاجَةَ
 شَاوِيَةً شَقَرَا بِهَا الشُّوكَ مَدْفُونِ
 وَمَنْ الْحَلْوَى عَدِي كَثِيرٌ ♦♦♦ هَمَّاجَةٌ
 أَكْرَعَ بِرَأْسِي فِيهِ مِنْ غَيْرِ مَاعُونَ
 وَمَنْ الْبَدْوُ جَلْفٌ يَرْبِّي نَعَاجَهُ
 وَلَا سِمَاقِي مَنْ أَلْوَرِسْ مَدْهُونُ
 كُلِّ يَدْوَرٍ رَغَبْتُهُ فِي زَوَاجِهِ
 وَالْبَدْوُ مَا لِلْحَضَرِّ يَوْمًا ♦♦ يَبْغُونَ

هذه الايات تصور لنا مدى ارتباطهم بباديتهم واعتزازهم بها وهي
 تشبه الى حد بعيد قول ميشون بنت جندل امرأة معاوية بن ابي سفيان
 حيث تقول :

ليت تخفق الارواح فيه	احب الى من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عيني	احب الى من لبس الشفوف
واكل كسيرة في جنب بيتي	احب الى من اكل الرغيف
وخرق من بني عمي نحيف	احب الى من عليج عنيف

* * *

ومن الطبيعي ان يكون تعلقهم نابعا من حب عميق لحياة البادية بما فيها
 من صعوبة ومشاق وعدم استقرار يفرضه ارتحالهم الدائم وراء مساقط
 الغيث ♦ وايام الارتحال هذه من أجمل الايام واحبها ♦ يطرب لها القلب
 ويفرح فهذا شاعرهم يعبر عن احساس البدوي واستبشاره بهذه الايام ♦♦
 أيام التشاريق (التجمعه) ♦

وَتَيْشَرْنَ بِيَّانَ قَلْبِي بِالْأَفْرَاحِ
عَلَى عَرِيبٍ تَحْطَحَطُوا بِالنَّزِيلِ

يَا مَا حَلَا الْمَشْرَاقُ يَوْمَ الْبَرْقِ لَاحِ
وَيَوْمَ الْعَرَبِ تَقَضَّتْ مِنْ الْمَكِيلِ

يَا مَا حَلَا الْمَسْلَافُ بِرِيَّاضِ شِيَّاحِ
وَيَوْمَ الرِّكَائِبِ عِنْدَ وَجْهِ الرِّحْلِ

يَا مَا حَلَا زَهْوَةَ الْعَشَائِرِ بِالْمِرَاحِ
وَلَبِينِهِنَّ عَالِ الرِّيقِ يَشْفَى الْغَلِيلِ

يَا مَا حَلَا رِيحَةَ عَيْسِهِنَّ لِي فَاحِ
وَعَشْرَهُ مَعَ عَشْرَيْنِ رَحْلَهُ تَشِيلِ

★ ★ ★

الباب الثاني

الشعر عند البدو

من الصعب جدا على الباحث ان يحدد - جازما - الفترة الزمنية التي نشأ فيها هذا الشعر اذ ليس لدينا من الادلة ما يكفي لهذا التحديد والجزم فيه •

فأقدم اشارة وصلتنا عن هذا الشعر هي حديث ابن خلدون عنه في مقدمته وقد اورد في حديثه هذا نماذج لهذا الشعر مما ينسب لبني هلال • يقول ابن خلدون :

فأما العرب أهل هذا الجيل المستعجمون عن لغة سلفهم من مضر ، فيقرضون الشعر لهذا العهد في سائر الاعاريض ، على ما كان عليه سلفهم المستعربون ويأتون منه بالمطولات مشتملة على مذاهب الشعر وأغراضه ، من النسيب والمدح ، والرثاء ، والهجاء ، ويستطردون في الخروج من فن الى فن ، في الكلام ، وربما هجموا على المقصود لاول كلامهم ^(١) •

ثم يقول : فأهل أمصار المغرب من العرب يسمون هذه القصائد بالاصمعيات نسبة الى الاصمعي راوية العرب في أشعارهم ، وأهل الشرق من العرب يسمون هذا النوع من الشعر بالبدوي ^(٢) •

هذه هي الاشارة الوحيدة التي جاءتنا عن هذا الشعر ويرجع تاريخها الى ما يربو على الخمسة قرون مضت • فهل يعني هذا ان هذا الشعر نشأ في هذه الفترة بالذات أم في فترة سابقة عليها ؟ والجواب الطبيعي على هذا التساؤل هو ان الشعر نشأ حتما في فترة سابقة ، اذ ليس من المعقول ان يكون هذا الشعر قد جاء دفعة واحدة وبالشكل الذي ذكره ابن خلدون • اذ لا بد ان يكون قد مر بمراحل من التطور حتى استوى في صورته التي لقيه فيها علامتنا • خصوصا وان هذه الصورة مقارنة الى حد بعيد لما هو عليه الشعر البدوي الآن مثال ذلك قول سلطان بن مظفر بن يحيى قالها في سجن الامير

(١) مقدمة ابن خلدون • ص ٥١٢ •

(٢) مقدمة ابن خلدون • ص ٥١٣ •

ابي زكريا بن ابي حفص اول ملوك افريقية من الموحيدين (١) :

يقول وفي بوح الدجا بعد وهنة يا من لقلب خالف الوجد والاسى حجازية بدوية عربية مولعة بالبدو لا تألف القرى غيات ومشتاها بها كل شتوة ومرباها عشب الاراضي من الحيا تشوق شوق العين مما تداركت وماذا بكت بالما وماذا تناحطت كأن عروس البكر لاحت ثيابها فلاة ودهنا واتساع ومنه ومشروبها من مخض البان شولها تفانت عن الابواب والموقف الذي سقى الله ذا الوادي المشجر بالحيا ♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦	حرام على اجفان عيني منامها وروح هيامي طال ما في سقامها عداوية ولها بعيد مرامها سوى غانك الوعسا يؤتي خيامها ممحونة بيها وبها صحيح غرامها يواتي من الخور الخلايا جسمها عليها من السحب السواري غمامها عيون غزار المزن عذبا حمامها عليها ومن نور الاقاحي خزامها ومرعى سوى ما في مراعي نعمها غنيم ومن لحم الجوازي طعامها يشيب الفتى مما يقاسي زحامها وبلا ويحي ما بلى من رمامها ♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦
--	--

ومن ذلك أيضا قولهم في وصف الطعائن (٢) :-

قطعنا قطوع اليد لا نختشي العدا ترى العين فيها قل لشبل عرائف ترى اهلها غب الصباح ان يفلها لها كل يوم في الارامي قتائل	فتوق بحوبات مخوف جنابها وكل مهاة محتظيها ربابها بكل حلوب الجوف ما سد بابها ورا الفاجر المزوج عفو رضاها
---	---

ومنه لامرأة قتل زوجها فبعثت الى أحلافه تغريهم بطلب ثاره
تقول (٣) :

(١) و (٢) و (٣) كتاب العبر لابن خلدون ج ١ ص ١١٢٩ وما بعدها

(طبعة بيروت)

تقول فتاة الحي ام سلامه
تبت بطول الليل ما تائف الكرى
على ما جرى في دارها وبو عيالها
فقدنا شهاب الدين يا قيس كلكم
أنا قلت اذا ورد الكتاب يسرني
أيا حين تسريح الذوائب واللحي
بعين اراع الله من لا رثي لها
موجعة كان الشقا في مجالها
بلحظة عين البين غير حالها
ونمتوا عن أخذ الثار ماذا مقالها
ويبرد من نيران قلبي ذبالها
وبيض العذارى ما حميتوا جمالها

وهذا يظهر لنا ان الصورة التي وصل اليها الشعر في عهد ابن خلدون تكاد تكون صورة تامة وناضجة فمن غير المعقول ان يكون هذا الشعر قد نشأ في تلك الفترة وانما نشأ في فترة سابقة لعهد ابن خلدون ونحن وان كنا لا نقدر ان نحدد هذه الفترة بالضبط لوجود ستار كثيف بيننا وبين طفولة هذا الشعر ونشأته الاولى الا أنه من الممكن ان نحدد ذلك على وجه التقريب .

فنحن نعتقد ان لهذه النشأة علاقة وثيقة بشيوع العامية على الالسنه ، ولا نعني بهذا ذبوعها على السنة سكان المدن والحواضر وانما نعني ذبوعها على السنة البدو . وطبيعي ان ذبوعها على السنة البدو جاء في وقت متأخر عن ذبوعها على السنة الحضري .

والبدو قد تعرضوا لما تعرض اليه الحضري وان كان تعرضهم أقل وذلك لطبيعة حياتهم المنعزلة وقلة اختلاطهم بالاجناس الاخرى اذا قيس ذلك بالنسبة للحضري . وكان أكثر البدو تعرضا لذلك من نزل منهم على طرق السابلة ، ويقرب مجامع الاسواق حيث يقول الجاحظ ان اسوأ اللحن لحن هؤلاء الاعاريب (١) .

ثم يذكر لنا اقدم لحن سمع في البادية وهو قولهم هذه عصاتي ، بدلا

(١) البيان والتبيين . ج ١ ص ٦٢ .

من عصاي^(١) وهذه الاشارة ترجع الى بداية القرن الثالث الهجري ومن الطبيعي ان هذه الاشارة لا تعني ان البدو قد فقدوا فصاحتهم الا انها تعني على الاقل تسرب شيء من الضعف الى سلامة ألسنتهم ♦♦ فلهجات الاعراب التي كانت النبع القراح الخالد الذي يستقى منه النحاة وعلماء اللغة معارفهم عن العربية الفصحى فقدت أهميتها تلك في أواسط القرن الثالث^(٢) ♦ وفقدانها لاهميتها لا يعني انها فسدت كلياً ، فقد كانت لغة البدو اذ ذاك في مستوى من الخلوص والنصاعة لا تدانيه لغة الزراع ، والحضرين لاسيما اذا كانت ألسنتهم لا تزال محتفظة بمظاهر الاعراب والتصريف القديمة ♦ بيد أنه في كل مكان كثر فيه اختلاط البدو بغيرهم من طبقات السكان ، وكذلك عند تحولهم بوجه خاص الى الاقامة والاستقرار ، وبهذا الى الاتصال الذي لا غنى عنه بالسكان الزراع الذين كانوا يجدونهم آيةً سلكوا ، فقدت لغتهم من صفاتها وخلوصها فقدانا كبيراً^(٣) ♦

ويكشف لنا الهمداني عن انعدام الفصاحة عند كثير من قبائل جنوب الجزيرة ونجد والحجاز حوالي نهاية اقرن الثالث^(٤) ♦

وفي القرن الرابع نرى ابن جنى يعقد في كتابه : الخصائص ، باباً مستقلاً لاغلاط الاعراب^(٥) ذهب فيه بالاتفاق مع استاذه أبي علي الفارسي الى أن الاعراب قد يقعون في اللحن لانهم ليست لهم أصول يراجعونها ولا قوانين يستعصمون بها ، وربما استهواهم الشيء فزاعوا عن التقصد ♦

وهذا الذي نراه من جرأة النحاة في تخطيء الاعراب انما يدل على ان البدو قد فقدوا في هذه الفترة الكثير من ملكتهم وسليقتهم بحيث جروا

(١) البيان والتبيين ٠ ج ٢ ص ٥٥

(٢) العربية - يوهان فك ٠ ص ١٥٣

(٣) العربية يوهان فك ص ١٥٤

(٤) صفة جزيرة العرب - الهمداني من ص ١٣٤ - ١٣٦

(٥) ذكره السيوطي في المزهري - ج ٢ ص ٢٠٨ - ٣١٠

على انفسهم طعن النحاة مما دفع أحدهم وهو الشاعر عمار الكلبي على التوجع والشكوى من غرور هؤلاء النحاة فيقول^(١) .

ماذا لقينا من المستعربين ومن قياس نحوهم هذا الذي ابتدعوا
ان قلت قافيه بكرا يكون بها بيت خلاف الذي قاسوه أو ذرعوا
قالوا لحتت وهذا ليس منتصبا وذاك خفض وهذا ليس يرتفع

ويروى ان قائل هذه الايات استعمل لفظ : مزعوج ، فخطأه هؤلاء لانهم لا يجهزون الا : مزعج وهذا من الاحوال التي استعمل فيها مفعول الثلاثي غلطا بدلا من مفعول الرباعي مثل : مأثور ، ومتعوب بمعنى متعب ، ومفسود بمعنى مفسد ، ومبغوض بمعنى مبغض . وهذه الحالة لها دلالتها على أن التجديدات التي لا يزال يجري استعمالها في اللهجات الحديثة لم تقتصر على المدن ، بل ظهرت كذلك عند البدو من الاعراب^(٢) .

مما تقدم يتضح لنا أن البدو فقدوا الكثير من نقاء لغتهم خلال القرن الرابع الهجري ، ولم تعد أشعارهم مثلا وشواهد لغوية . . . ويبدو ان اللحن والاشتقاق والصيغ المخالفة لقواعد الفصحى استمرت في التسرب والسرمان على السنتهم ودخلت اشعارهم بشكل تدريجي منذ القرن الخامس الهجري حتى وصلت الى ما هي عليه في عهد ابن خلدون واستمرت لغتهم في هذا التطور الى ما نراه الآن عند بدونا المعاصرين ودليلنا على هذا التطور هو ان اقدم النماذج التي يذكرها ابن خلدون قريبة من الفصحى بشكل عام وعلاوة على هذه النماذج التي ذكرها ابن خلدون نجد في النماذج التي تروى لقدامى شعراء البدو امثال ابي حمزه العامري وراشد الخلاوي وغيرهم والتي يرجع تاريخها الى القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين ، أقول نجد فيها مقاربة للفصحى بشكل واضح مما لا نحسه بنفس الوضوح

(١) ياقوت - ارشاد - ج ٥ ص ٢٦

(٢) العربية - يوهان فك . ص ١٦٢

في اشعار من جاء بعدهم وفي اشعار المعاصرين • مثال ذلك قول ابي حمزه
العامري •

تأبى عن الطمع الزهيد نفوسنا وفروجنا تأبى عن الفحشاء
فشهرت رأس الرمح ثم ركزته في المهرة المقدولة الشقراء
وقول راشد الخلاوي :

ولا يد الا يد الله فوقها ولا غالب الا له الله غالبه

وعلى هذا يمكننا القول بأن هذا الشعر لم ينشأ نشأة مستقلة وأن نشأته
لم تكن بدافع من شهوة التجديد وحب التحرر والانطلاق كما هو الحال
في الازجال والموشحات وباقي الفنون الاخرى وانما هو في بدايته كان شعرا
عربيا فسدت لغته على مر الزمن نتيجة لفساد لغة أهله والشعر كما يقول
ابن خلدون : لا يمكن ان يهجر بفقدان لغة واحدة ، وهي لغة مضر الذين
كانوا فحولهم وفرسان ميدانه ••• وأهل كل لغة من العرب المستعجمين
يتعاطون منه ما يطاوعهم في اتحاله ، ورفض بنائه على مهيع كلامهم^(١) •

ونخرج من هذا الى القول بان هذا الشعر انما هو الشعر العربي قد
تغيرت لهجته وجاء هذا التغيير نتيجة للتغيير الذي طرأ على لهجة البدو التي
بدأت تنعكس على شعرهم بشكل تدريجي منذ القرن الخامس الهجري
حتى الآن •••

ويبدو لي أن البدو قد صاروا هذا الذي أصاب شعرهم مدة من
الزمن قبل أن يألفوه ويقرضوه بدليل اننا نلاحظ ان بدو الجزيرة العربية
ما زالوا الى الآن يسمونه الشعر النبطي ، ومن الطبيعي ان هذه التسمية
لا تعنى أن الانباط هم أول من قرضه وانما تدل على فساد لغته ومجانبتها
اللغة الفصحى بحيث أصبحت تحاكي لغة النبط ، ولغة النبط المثل في البعد

(١) مقدمة ابن خلدون - ص ٥١٢ •

عن الفصاحة وعليه فقولهم شعر نبطي انما يريدون به انه جاء في بعده عن
الفصاحة كلغة النبط في بعدها عنها ♦♦♦

وقولهم استنبط فلان أي تشبه بالنبط وهي شتيمة عندهم يتهاجون بها
يقول المتنبّي في هجاء أبي الفضل وزير كافور ♦

بها نبطي من أهل السواد يدرس انساب أهل الفلا

ويقول ذو الرمة في هجاء قبيلة امرئ القيس بن تميم ♦

ان أمرا القيس هم الانباط زرق اذا لاقيتهم سناط

ليس لهم في حسب رباط ولا الى قصد الهدى صراط

فالسب والعار بهم ملتاط

وهذا شاعرنا المعري يأسف لما وصل اليه العرب في زمانه فيقول :

اين امرؤ القيس والعداري اذ مال من تحته الغيظ

استنبط العرب في الموامي بعدك واستعرب النييط

من كل ما تقدم يبدو لنا أن هذه التسمية جاءت للطعن فيه أيام

صراعهم له قبل أن يألّفوه ♦

ولعل سائلا يسأل فيقول :

ما دام هذا الشعر امتدادا للشعر العربي أو هو نفسه ولكنه جاء بلهجة

أخرى ، فعلام تغيرت أوزانه اذن ؟ واختلفت عن أوزان الشعر العربي

وهذا تساؤل وجيه ♦ نجيب عليه فقول : صحيح أنه خرج في بعض أنواعه

عن هذه الاوزان الا أنه بصورة عامة ما زال على أعاريض الشعر العربي

فالحدااء يلتزم الرجز والسامري يلتزم الرمل وحتى في الانواع التي خرج

فيها عن العروض نجد فيها قصائد كثيرة تلتزم أوزان الشعر العربي وقد

ذكرنا أمثلة منها في بحثنا عن أوزان هذا الشعر فاختلاف الاوزان ليس

مطلقا وانما هو محدود ويمكن تفسير ذلك بأن هؤلاء البدو بعد أن الفوا هذا الشعر وتغنوا به ظهرت عندهم أوزان جديدة فرضتها طبيعة هذا الشعر • يضاف الى ذلك أن البدو القدامى كانوا يقولون الشعر سليقة دون أن يعرفوا هذه الاوزان التي وضعها الخليل الذي تم له حصر بحور الشعر التي قال عليها العرب شعرهم في خمسة عشر بحرا ، فليس من المستبعد اذا ان يكون جهلهم هذا سببا في هذا الخروج لانهم والحالة هذه لا يملكون اصولا يراجعونها وينضمون أشعارهم على هديها وانما اعتمادهم في هذا متأت في ملكة عندهم جروا على مهيعها بالطبيعة ، يضاف الى ذلك ان الشعر الجاهلي لم يأت كله على هذه الاوزان التي حددها الخليل اذ اتنا نجد فيه خروجا عن هذه الاوزان كما في قصائد المرقش الاكبر ، وعبيد بن الابرص وعمر بن قميئة وامرئ القيس ••• وغيرهم •

فمن ذلك قصيدة عبيد بن الابرص الاسدي (١) •

أفقر من أهله ملحوب فالقطييات فالذنوب

حتى قيل عنها لكثرة ما دخلها من الزحاف والقطع كادت ألا تكون شعرا ويظهر أن بعض المتأخرين حاول تقويم شذوذها فتعددت رواياتها وكثر الاختلاف فيها • وقيل عن عبيد : - شعره مضطرب ذاهب (٢) وهذه القصيدة من بحر نادر غير مألوف لا نراه الا في قصيدة أخرى لامرئ القيس (٣) التي مطلعها :

عينك دمعها سجال كان شأنهما اوشال (٤)

وقول امرئ القيس يخاطب شهاب اليربوعي (٥) :

-
- (١) المعلقة العشر • ديوان عبيد •
 (٢) حسين نصار ، مقدمة ديوان عبيد •
 (٣) مقدمة ديوان عبيد طبعة ليال •
 (٤) ديوان امرئ القيس ، مقدمة ديوان عبيد •
 (٥) ديوان امرئ القيس (طبعة دار المعارف) •

أبلغ شهابا وابلغ عاصما
انا تركنا منكم قتلى يخو
يمشين حول رحالنا
ومالكا هل أتاك الخبر مال
عى وسبياً كالسعالى
معترفات بجوع وهزال

وقول شهاب اليربوعي في الرد على امرىء القيس :

لم تسبنا يا امرأ القيس
ذاك وكم سوداء كندية
قايظننا ياكلن فينا
ايام صبحناكم مملومة
من كل قباء تعدو الوكرى
حتى استفأناك من أهل ومال
تستقبل القوم بوجه كالجمال
قدا ومحروت الخمال
كانما نطقت في حزم آل
اذ ونت الخيل بالقوم الثقال

ومثل ذلك في الاضطراب قصيدة المرقش الاكبر^(١) .

هل بالديار ان تجيب صمم
لو كان رسم ناطقا كلم

وهناك أمثلة كثيرة نكتفي بهذا الذي ذكرناه .

ويفسر بروكلمان ذلك بقوله :

ويبدو أن هذه الظواهر آثار قليلة لمرحلة من النمو لم تقف على
كنهها بعد^(٢) .

ولقد التفت الدكتور شوقي ضيف الى ذلك بعد أن تعرض الى أكثر
هذه القصائد الخارجة عن أوزان الخليل حيث يقول : واضطراب هذه
القصائد في أوزانها مما يدل على صحتها وان أيدي الرواة لم تعبت بها .
ثم يقول ومعروف أن الزحافات تكثر في الشعر الجاهلي ، بل في الشعر
العربي بعامة^(٣) .

(١) المفضليات ص ٢٣٧ .

(٢) تاريخ الادب العربي - بروكلمان ج ١ ص ٥٤ .

(٣) العصر الجاهلي - شوقي ضيف - ص ١٨٥ .

ويقول الدكتور شوقي ضيف أيضا :

أن نفس هؤلاء الشعراء الذين رويت عنهم تلك القصائد المضطربة في
وزنها روى عنهم قصائد كثيرة مستقيمة في وزنها وقوافيها ، مما يدل على
أن ذلك كان يأتي شذوذا وفي الندره^(١) .

الا أننا نقول ان هذه القصائد وان كانت قليلة بالنسبة لمجموع قصائد
أصحابها فهي على كل حال تشكل ظاهرة تلفت النظر ، ثم ان هذا الذي
جاءنا من الشعر الجاهلي لا يمثل كل هذا الشعر فلا بد أن يكون هناك
الكثير منه قد فقد ولم يصل إلينا ومن المحتمل أن يكون بين هذا المفقود
ما تنطبق عليه هذه الظاهرة أعني خروجه على الوزن يضاف إلى ذلك هذه الزخافات
الكثيرة في الكثير من الشعر القديم ، كل هذا يعني بالنسبة لنا أن هذا
الشعر لم يكن قد استقر بعد على الأوزان التي استخلصها الخليل ويعني
أيضا ان هذه الظاهرة قد استمرت في شعر البدو اذ ليس لدينا ما ينفي ذلك
لانهم لم يكونوا قد عرفوا علم العروض على حين اننا نرى ان شعراء الحضرة
انتفى ذلك عندهم لانهم كانوا على علم بعلم العروض فكانوا يسرون على
هديه في نظمهم .

نلخص من كل هذا إلى القول ان خروج الشعر البدوي على الأوزان
العروضية ليس وقفا عليه وانما هي ظاهرة قديمة وجدت في الشعر
الجاهلي ، وكانت تمثل مرحلة من مراحل نمو الشعر العربي وقد استمرت
عند البدو إلى وقتنا الحاضر .

وعلى هذا فان خروج هذا الشعر لا ينفي كونه امتدادا للشعر العربي
وبهذا نكون قد أجبنا على التساؤل الذي ذكرناه سالفا .

وننتقل الآن إلى الحديث عن نقطة أخرى مهمة تتعلق بهذا الشعر

(١) العصر الجاهلي - شوقي ضيف ص ١٨٥ .

وهي هل أن هذا الشعر يعتبر من الادب الشعبي أم لا ؟ ♦♦

وللاجابة على هذا التساؤل لابد لنا من تحديد المراد بالادب الشعبي
لنتمكن على ضوء هذا التحديد من الاجابة بشكل واضح لا لبس فيه ♦

ان الخلاف بين النقاد ودارسي الادب ما زال قائما حول تحديد
المراد بالادب الشعبي فقد ذهب بعضهم الى ان الادب الشعبي لاية أمة هو
أدب عاميتها التقليدي ، الشفاهي ، مجهول المؤلف ، المتوارث جيلا عن جيل
وأصحاب هذا الرأي هم نقاد الادب الذين تأثروا بأراء الفيلسوفين من
أمثال بول سيبو^(١) ♦

ومنهم من ذهب الى أن الادب الشعبي هو أدب العامة سواء أكان
شفاهيا أم مكتوبا أم مطبوعا ، وسواء أكان مجهول المؤلف أم معروفه ،
متوارثا عن السلف السابق أم انشاء معاصرون معلومون لنا^(٢) ♦

ومنهم من يذهب الى أن الادب الشعبي هو ذلك الادب المعبر عن ذاتية
الشعب المستهدف تقدمه الحضاري ، الراسم لمصالحه يستوى في ذلك أدب
الفصحى وأدب العامة ، وأدب الرواية الشفاهية وأدب المطبعة والآثر
المجهول المؤلف والآثر المعروف المؤلف^(٣) ♦

فلو جئنا الآن الى هذا الشعر البدوي ننظر فيه على ضوء هذه الآراء
لوجدنا أنه يخرج من حساب أصحاب الرأيين الاول والاخير ، فاركان
الرأي الاخير لا تنطبق عليه لانه لا يعبر عن ذاتية جماعية وانما عن
ذاتية قائمة ♦

أما أركان الرأي الثاني فتطبق عليه الا أننا نرفض ذلك لاننا لا نذهب
مذهب هؤلاء في أن كل ما جاء باللهجات التي تسمى عامية فهو أدب شعبي
وكل ما جاء باللهجة الفصحى فهو غير شعبي لان الفیصل عندنا في واقع

(١) و (٢) و (٣) الادب الشعبي - أحمد رشدي صالح - ص ٩

الأمر ، انما يلتبس في الوظيفة التي يقوم بها الأدب • ونحن في هذا نتفق
وما ذهب إليه استاذنا الدكتور عبدالحميد يونس حيث يقول : وما أكثر
المرويات الماثورة من الادب الفصيح التي كانت تقوم بوظيفة جمعية ، قبله
أو شعبيه أو قومية ••• وهي لا يمكن أن تكون الا أدبا شعيا ، وما أكثر
المدون باللغة العامية أشباه أدباء رأوا ان تؤثر عنهم الاجادة في جميع
الاعراض والفنون الادبية ، أو تسامروا ، وتماجنوا ، وتحامقوا باللهجة
العامية ، لكي يشيع عنهم ذلك في جميع الطبقات •• هذا المأثور الذي
تغلب عليه الذاتية الفردية لا يمكن بحال أن يكون أدبا شعيا ••• ومن
هنا صح عند الدارسين المحدثين ، ان الادب الشعبي ، يقوم بشرطين
أساسيين ••• أولهما أن يكون الاصل فيه رواية شفوية ، وثانيهما •• ان
يعبر عن شخصية جماعية لا فردية •• وهذان الشرطان يجعلان من الصعب
ان تنسب آثار الادب الشعبي الى قائل بعينه •• ولو وجد ، لكان ذلك
على سبيل الشهرة أو الانتحال ، كالاخلاف الذي لا يزال يشتجر حول
« هوميروس » وحول مؤلف « اغنية رولان » (١) •

وهذا التحديد الذي ذهب اليه استاذنا لمفهوم الادب الشعبي هو الرأي

الذي نؤمن به ونعتقد •

ولو أردنا أن نطبق أركان هذا التحديد على ما بين أيدينا من الشعر
البدوي لرأيناه في معظمه ، يخرج عن نطاق هذا التحديد ، وبالتالي عن
كونه أدبا شعيا فهذا الشعر معروف القائل ، ومن أصحابه من لا يزال
يعيش في بوادينا • ثم ان هذا الشعر - وهو الهمم - يعبر في معظمه عن
شخصية الفرد ووجدانه لا وجدان الجماعة وشخصيتها ••• أقول هذا على
الرغم من أن الشرط الاول متوفر فيه وهو الرواية الشفوية •

(١) ص ٥ من محاضرة الادب الشعبي للدكتور عبدالحميد يونس -

من مطبوعات الجامعة •

وليلاحظ ، بأنني قلت : ان هذا الشعر في معظمه يخرج عن نطاق
الادب الشعبي ولم أقل جميعه ، لان فيه ما يمكن أن يعد أدبا شعيبا ، كأغاني
المناسبات وبعض الاهازيج التي يرددونها في مواقف معينة ♦

وعلى هذا فاننا نرفض رأي من اعتبره أدبا شعيبا كالاستاذ عبدالله بن
خميس الذي تأثر على ما يبدو بالرأي الذي ساد في أكثر الاوساط من
أن أساس التفريق هو اللهجة التي يتوصل بها في التعبير الادبي ♦

البَابُ الثَّالِثُ

أنواع الشعر البدوي

الشعر البدوي شعر مغنى ، فهو يقرأ عادة منغوما بمصاحبة الرباب على الاكثر ، ومصحوبا بآلات أخرى كالطبول أو التصفيق بالايدي في حالات أخرى ، كل ذلك بانغام مختلفة تختلف باختلاف نوع الشعر •

والشاعر البدوي في الاعم الاكثر يغنى شعره غناء وهذه الظاهرة ليست حديثة اذ انها على ما يبدو قديمة جدا تحدرت الى بدو زماننا من اسلافهم بدو الجاهلية لان التطور الوزني للشعر لا بد ان يصاحبه تنبه موسيقي قائم على أصول سليمة •••

فلا مرء في ان هذا الشعر كان يقترن في وقت ما عند الشاعر بالغناء وما دامت أوزان الشعر التي هي نتيجة تطور الغناء قديمة فان هذا العهد قديم هو الآخر (١) •

ونحن في تتبعنا لهذا الموضوع نجد الكثير من الروايات المبثوثة في كتب التراث تبرز لنا تلازم الشعر والغناء عند الشاعر من ذلك ما يذكره صاحب الاغاني في حديثه عن المهلهل من انه شرب خمرا مرة وهو اسير عند عمرو بن مالك البكري وشرب معه جماعة من بكر يقول صاحب الاغاني : فلما أخذ منه الشراب تغنى مهلهل فيما كان يقوله من الشعر وينوح به على كليب (٢) •

ويذكر فارمر ان علقمه بن عبدة الفحل كان يغنى شعره وقد استنتج

(١) تاريخ الشعر العربي ص ٨٩ - البهبهيتي •

(٢) الاغاني ج ٥ ص - ١٨٠ •

ذلك من عبارة للفارابي وردت في مخطوطه بليدن^(١) .
وما ذكره جرجي زيدان في حديثه عن الاعشى بقوله : فقد كان ينظم
الشعر ويغنيه ولذلك سمي صناجة العرب^(٢) .
ويبدو لنا ان حسان بن ثابت كان يغني شعره أيضا نستنتج ذلك من
قوله :

تغن بالشعر اما انت قائله

ان الغناء لهذا الشعر مضمار

وعن قرة بن خالد بن عبدالله بن يحيى قال : قال عمر بن الخطاب
للنابغة الجعدي اسمعني بعض ما عفا الله لك عنه من غنائك فأسمعه كلمه له ،
قال له وانك لقائلها ؟ قال نعم . . . قال لظالما غنيت بها خلف جمال
الخطاب^(٣) .

من كل ما تقدم يظهر لنا بجلاء تلازم الشعر والغناء هذا التلازم الذي
يؤكد به ابن خلدون حيث يقول في حديثه عن الادب - وكان الغناء في الصدر
الاول من الاسلام من أجزاء هذا الفن - « ويقصد الادب »^(٤) .

فالشعر عامة كان مغنى ولكن هل يعنى ذلك بالضرورة ان يكون
الشاعر مغنيا . يقول فارمر لا ريب في ان الشاعر في الاعم الاغلب كان
موسيقيا مثله شاعرا^(٥) .

ويقول بروكلمان من المحتمل جدا ان القصائد الجاهلية كان يقصد

Farmer. A History of Arabian Music. P. 1. (١)

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ ص ٥٦ .

(٣) العقد الفريد ج ٤ ص ٩٠ .

(٤) مقدمة ابن خلدون ص ٦٤٧ .

Farmer. A History of Arabian Music. P. 9. (٥)

بها الى ان تغنى مقترنة بمصاحبة موسيقية بسيطة^(١) .

هذه النصوص يضاف اليها هذا التداخل اللغوي بين الغناء واللقاء في قولهم انشد وغنى وتغنى وغيرها من الفاظ اللقاء الشعري وقول عمر بن الخطاب للنابغة الجعدى اسمعنى شيئاً من غنائك ولم يقل من شعرك تدل على ان الشاعر كان يغنى شعره أو ان ذلك هو الاعم الاكثر وانه بالتالي امر متعارف عليه . حتى ان كلمة غنى وحدها أصبحت تعنى قول الشعر وترادفها .

يقولون : تغنى فلان بفلان أو فلانة او حدا بفلان أو فلانه .

اذا صنع في احدهما شعرا^(٢)

قال ذو الرمة :

احب المكان القفر من اجل انني

به اتغنى باسمها غير معجم

وقال المرار الاسدي :

ولو انني حدود به ارفأنت نعامته وابصر ما يقول

أقول رغم كل هذا لا يمكننا ان نجزم بان الشاعر كان مغنيا والذي نعتقده هو ان الشاعر الذي كان يانس في نفسه مقدرة على الغناء كان يغنى شعره أو شيئاً منه .

نخلص من كل هذا الى القول بان التلازم بين الشعر البدوي والغناء ما هو الا امتداد للتلازم الآنف الذكر بين شعر الجاهلية وبين الغناء وكذلك الحال بالنسبة لما قررناه عن مدى الترابط بين الشاعر وكونه مغنيا وان كنا

(١) دائرة المعارف الاسلامية ج ١ ص ٤٠٣ .

(٢) بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب ص ٣٦٩ .

نلاحظ ان جميع شعراء البدو المعاصرين ممن يتكسبون بشعرهم يغنونه غناء في حين ان الشعراء من الامراء والفرسان وذوي الجاه لا يغنون شعرهم الا فيما ندر وانما يتركونه للآخرين يغنونه •

وهذا الترابط الوثيق بين الغناء والشعر البدوي اوقع الاستاذ عبدالله بن خميس في خطأ اذ اعتبر أقسام هذا الشعر البدوي أدوارا غنائية حيث يقول •• ولا اراك تشك في ان هذا الشعر الذي وليج كل مولج وذهب كل مذهب وغنى به الملوك والسادة والقادة كما غنى به سواد الناس ودهماؤهم - وبالجملة حل محل الشعر الفصيح أيام ازدهاره وانتشاره ما اراك تشك في ان له أدوارا وأنغاما وأصواتا مختلفة العرض ومتباينة التلحين والمقاطع والاهزاج ••••»^(١)

ثم يأتي على ذكر هذه الادوار

الا اتنا نختلف مع الاستاذ فيما ذهب اليه صحيح ان هنالك اختلافا في النغم وتباينا في التلحين ولكن ليس هذا هو كل الاختلاف وانما هناك اختلاف في الموضوع والاوزان أيضا ، فكل نوع يتطرق الى مواضيع معينة وادائه محصور بأوزان معينة أيضا ، فالتقسيم يأتي بالدرجة الاولى في الاختلاف في الموضوعات والاوزان ومن ثم بالالحن والانغام لا كما ذهب الاستاذ حيث اعتبر النغم هو الاساس في هذا التقسيم •

ومما يؤكد ما ذهبنا اليه هو ان البدوي أي بدوي يعرف نوع الشعر بمجرد ان تقرأ عليه قراءة عادية بدون انشاد فيقول هذا قصيد أو سامري أو هجيني أو حذاء ••• فلو كان النغم هو الاساس لما تمكن هذا البدوي من معرفة هذه الانواع الا بتأديتها منغومة مغناة •

ثم اتنا نلاحظ عندهم أيضا أنغاما أخرى تغنى في مناسبات مختلفة فهناك « الطواح » أو (التطويح) الذي يغنى عادة عند العودة من الغزو

(١) الادب الشعبي في جزيرة العرب ص ٣٠٢ •

وهم منتصرون • وهناك أغاني الافراح منها التي ترافق رقصة « الدحة »
ومنها « الصحجة » وأغاني « المصنع » وغير ذلك من الانغام ومع هذا
لا نجدهم يعدونها من أنواع الشعر فلو كان النغم هو الأساس لوجب عدها
ضمن الأنواع الأخرى المتعارف عليها عندهم ولقالوا - علاوة على القصيد
والهجين والسامري - المصنع ، والدحة ، و و ••• الخ •

وهذا لا يعني أننا ننكر ما للنغم من أثر في الأوزان • بل على العكس
فالأوزان في البدء كانت تطورا للغناء ••• ثم استقرت على ما هي عليه الآن •

نخلص من كل هذا الى القول بان للشعر البدوي أنواعا تختلف عن
بعضها ولكل نوع من هذه الأنواع مواضيع معينة وأوزان معينة ومن ثم
أنغام معينة ينشد بها •

وفيما يلي نورد هذه الأنواع •

النوع الاول

القصيد

ويراد به عند الاطلاق جميع الشعر البدوي وكلمة قصيد عندهم
مرادفة للكلمة شعر وقد اشتقوا كلمة قاصود واستعملوها مرادفة لكلمة
شاعر •

وكلمة قصيد يقصدون بها عند التخصيص نوعا معينا يختلف عن
أقسام الشعر الأخرى بمواضيعه وأنغامه وأوزانه وهناك أسماء أخرى غير
كلمة قصيد يطلقونها على هذا النوع وهي محصورة الاستعمال في نجد فقط
لأنني لم أسمع بها عند بدو سورية والعراق والاردن ، انما يذكرها الاستاذ

عبدالله خميس في كتابه الادب الشعبي في جزيرة العرب فهو يذكر اسمين هما : « المسحوب والديواني » وهذه التسمية لها علاقة وثيقة بالمكان الذي ينشد به وبطبيعة انشاده فتسمية الديواني مأخوذة من الديوان نسبة الى ديوان « ايوان » الامير أو الشيخ لان هذا النوع ينشد في العادة في مجلس الامير واما تسميته بالمسحوب فيبدو انها مأخوذة من طبيعة الانشاد لان منشده في مده لحروفه وانينه عند بعض مقاطعه كأنه يسحبه سحبا . (١)

وهذا النوع من الشعر البدوي له المكانة الاولى والصدارة عند البدو ومن ثم تأتي الانواع الاخرى في الاهمية .

أوزانه :

يمتاز القصيد بأوزانه الطويلة النفس وان كان من الصعوبة بمكان تحديد هذه الاوزان ووضع تفاعيل ثابتة لها بحيث يستطيع المتبع لهذا النوع من الشعر عن طريق معرفة هذه التفاعيل ان يلم بأوزان الشعر البدوي .

وقد اورد الاستاذ عبدالله بن خميس ما يقارب العشرين وزنا لشاعر واحد استخلصها من مجموعته الشعرية حيث يقول : فوصلت الى ما يقارب العشرين وزنا ولما اقرب من نهاية الديوان فكيف بجميع الديوان ثم كيف بجميع شعراء البدو قديمهم وحديثهم ♦♦♦ « (٢)

وعلى هذا الاساس فلا يمكننا ان نحدد أوزانا بعينها يختص بها هذا النوع من الشعر البدوي لعدم وجود أوزان محددة ولكثرة ما يتدع الشعراء من أوزان جديدة وعلى الرغم من وجود بعض الاوزان المعروفة في العروض العربي كالطويل والكامل والوافر وغير ذلك من البحور

(١) الادب الشعبي في جزيرة العرب ص - ٣٠٣ .

(٢) الادب الشعبي في جزيرة العرب ص ٦٠ .

ضمن أوزانه^(١) ♦

وكل الذي نقدر ان نقوله هو امتيازه ببحور وأوزان طويلة النفس
ويبدو لي ان للموضوعات التي يطرقها علاقة باختيار هذه الاوزان كما وان
للبداءة أثرا في ذلك ♦ فهذه الظاهرة أعني غلبة البحور الطويلة النفس قد
لاحظها بروكلمان حيث يقول : وتغلب البحور الطويلة النفس عند قدامى
شعراء الحماسة^(٢) ♦

وموضوع الحماسة على اختلاف فروعها من فخر واستنفار وحربيات
ووصف للمعارك والملاحم واضحة كل الوضوح في هذا النوع من الشعر
البدوي ♦

وأما اثر البداءة فيمكننا استنتاجه استنتاجا اذ ان شعراء الجاهلية على
الرغم من انهم نظموا على جميع الاوزان الا ان « البحر الطويل يأتي بالمرتبة
الاولى ثم الكامل والوافر والبسيط »^(٣) وقد وضع « فرايتاج » احصاء
بذلك^(٤) اما البحور القصيرة والخفيفة فقد راج استعمالها وكثر بعد حياة
الاستقرار والترف التي عاشها العرب ♦

فقد ذهب « كرنكو » الى ان اقصر العروض ظهر في الحجاز في ازمة
متأخرة ورد عليه بروكلمان بقوله « ولكن لا يؤيد زعمه - اي كرنكو -

(١) ما جاء على البحر الطويل :

عفا رسم سلمى واصبح المنزل منزاح ولعبت بدارس رسمها هوج الارباح
وعلى الكامل :

تأبى عن الطمع الزهيد نفوسنا وفروجا تأبى عن الفحشاء
وعلى الوافر :

أرى سلمى تطاولني غناها تعاتبني وتجهر في عتابي

(٢) تاريخ الادب العربي ص ٥٣ - بروكلمان ♦

(٣) تاريخ الادب العربي ص ٥٣ - بروكلمان ♦

(٤) فن النظم - فرايتاج ♦

ما استعمله عمر بن ابي ربيعة من العروض^(١) وسواءً أصح ذلك أم لا فاننا نتجراً على القول بان للترف الذي اصاب العرب في حياتهم بعد الاستقرار اثراً واضحاً في ميلهم الى اختيار الاوزان القصيرة وتفننهم في ابتداعها حتى برزت في العهود المتأخرة الموشحات قمة في هذا النوع من الاوزان • والموشح المشهور ••• ما للموله ••• من سكره لا يفيق ••• ياله سكران • من غير خمر ••• الخ الذي يذكره ابن خلدون خير دليل على ذلك^(٢) • فمجالس الشراب والغناء كانت تتطلب رقة وعذوبة تتناسب وحياتهم المترفة الجديدة التي الفوها فسلست الالفاظ وعذبت وجاءت الاوزان قصيرة راقصة تتناسب وما يتطلبه الغناء والموسيقى ، كما وان بعض الشعراء عرف بصداقته لبعض المغنين فكانت هذه الصحبة تدعو الشاعر الى ان يضع شعره في اوزان تجرى مع اللحن^(٣) •

هذا في الوقت الذي كان فيه الشاعر البدوي يحيا حياة خشنة قاسية في صحرائه فمجالسها كانت مجالس فخر وحاسة وانسه طعن وحرب لذا جاءت الفاظه خشنة واحتاج الى البحور الطويلة كي تساعده على ترك الاثر القوي في نفوس سامعيه مما لا يتأتى للبحور القصيرة ان تفعله •

وكلنا يعلم انه في الوقت الذي كان فيه جرير والفرزدق والاخلطل يرغون بشعرهم البدوي الجزل كان ابن ربيعة والعرجي تنضح اشعارهما رقة وعذوبة •

وليس الشاعر البدوي اليوم بأفضل من سابقه البدوي سواء في الجاهلية ام في الاسلام •

-
- (١) هامش الصفحة ٥٣ من تاريخ الادب العربي « بروكلمن » •
 (٢) مقدمة ابن خلدون ص - ٥٨٥ •
 (٣) تاريخ الشعر العربي ص ١٤٥ •

مواضيعه :

يمتاز القصيد بمواضيعه التي يطرقها ♦♦ فالدائح والمرائي ،
والحربيات والمفاخر والحماسيات بانواعها ومراسلات الامراء والنقائض
والمعارضات تدخل ضمن نطاق هذا النوع لذا وجدناه يستحوذ على أكثر
الشعر البدوي ومن هنا على ما اعتقد جاءت تسميته بالقصيد ♦

نماذج منه :

نورد فيما يلي بعض النماذج التي توضح لنا بعضا من مواضيعه التي
يطرقها هذا النوع من شعر البدو ♦

أ - نموذج *:

رسالة تتحمل معنى التهديد من ابن الرشيد الى ابن سعود^(١)
يَا نِدِيمِي عَلِيٍّ مَن شَامِخٍ نَابُهُ
نَازِحَ الدَّارِ مِرْوَاحُهُ يَقْرِبُهَا^(٢)
قُلْ لِعَبْدِ العَزِيزِ يَعْلَمُ اصْحَابُهُ
الحَرَائِبُ تَرَانَهُ مَا نَمِلُ بِهَا^(٣)

(*) كل حرف « ق » ورد في هذه القصيدة يلفظ كالجيم المصرية أو
كحرف (G) بالانكليزية .

(١) أكثر الرواة الذين ردوا هذه القصيدة اجمعوا على انها لابن
الرشيد ما عدا الشيخ حواس الصديدي رئيس قبيلة الصائح من شمر فقد
نسبها لاحد آل سعود ممن كانوا مع ابن الرشيد .

(٢) شامخ الناب - أي الجمل ، مرواحة : وقت رواحه مساء .
(٣) الحرايب : الحروب . ترانه : ترانا ، تجدنا . ما نمل بها -
لا نمل منها .

انْ مِشِينَا بِجَمْعِ تَقِيلُ سُورَابَهْ
مِزْنَةَ اَلْهَلَّتْ اَلْمَا مِنْ سَحَابِيهَا (١)

وَلَا نَقَلْنَا سَيُوفَ اَلْهِنْدِ نَصَابَهْ
اَتْرَكَ اَلْحَى نَقَلَهَا وَمَا يَخْضَبُّهَا (٢)

وَقُلْ لَهْ وَاَللهِ التَّوْمُ مَا يَتِهَنَّابَهْ
طَوْلَ مِحْنًا عَلَى اَلدُّنْيَا نَدُوجِ بِهَا (٣)

نموذج آخر :

من قصيدة لعبدالعزیز بن عبید في مدح احد مشايخ شمر من آل

الجربا :

يَا الزَيْرُ يَا الزَحَّارُ يَا النَّمِرُ يَا الذَيْبُ
يَا اللَّيْثُ يَا اللَّايُوثُ يَا الشَّبِيلُ يَا الدَّابُّ (٤)

نَطَّاحٌ طَابُورُ الْعَسَاكِرِ اَلْحَى هَيْبُ
بِاَلْسَيْفِ لِرُقَابِ الْمَنَاعِيرِ قَصَّابُ (٥)

(١) تقل : تقول - الهلت : التي هلت . الما : الماء . سحاب :

سحاب .

(٢) نصابه : نصابون والمراد هنا التظاهر دون الفعل . نقلنا :

حملنا .

(٣) ما يتهنا به : لن يهنا به . محنا : ما نحن .

(٤) الزير ، الزحار ، والليث واللايوث والشبيل كلها من أسماء

الاسد عندهم . الداب : الافعى .

(٥) نطاح صيغة مبالغة في نطح فهو ناطح ونطاح أي مبارز ، طابور :

كوكبه . المناعير : الشجعان .

عَيْبُهُ إِلَى مَنْ قَالُوا النَّاسَ بِهِ عَيْبٌ
لِلسَّمِينِ فَوْقَ مِفْطَحِ الْحَيْلِ صَبَّابٌ (١)

نموذج آخر :

من قصيدة لمشعان بن هذال يفخر بها بقومه :

حِينَا شِبَابَةُ الْحَرْبِ وَإِنْ شَبَّتْ النَّارُ
وَتَفَازَاعَتَ بَيْنَ الْجُمُوعِ الْمَشَاهِيرِ (٢)
وَحِينَاهَلَّ الْجَمْعُ الْمُسَمَّى إِلَى سَارِ
مِرْكَاضِنَا يَشْبَعُ بِهِ السَّبْعُ وَالطَّيْرُ (٣)
وَرَفَاقَتُهُ وَاللِّي حِدَانَا لَهُمْ جَارُ
وَحِينَا عَلَيْهِمْ نِحْمِي الْجَارُ وَنَجِيرُ (٤)

طريقة أداء هذا النوع :

يقرأ هذا النوع من الشعر في مجالس الامراء او الشيوخ حيث يطيب
لهم عرض المفاخر والقصص عن غزواتهم وایامهم مع القبائل الاخرى
وما قيل في فرسانهم وابطالهم ♦

والشاعر عادة يختار احد طريقتين في ادائه لهذا الشعر ♦

-
- (١) الى من : اذا ما • مفتح : عجز ، الحيل الغنم وتأتي الابل والتي
لم تحمل سنه أو سنتين • صَبَّابٌ صيغة مبالغة من صب •
(٢) حنا : نحن • شبابة الحرب : حدها • تفازعت : نظرت •
المشاهير : الكبار المشهورة •
(٣) الجمع المسمى : الجمع المشهور ، مركاضنا أرض المعركة
ومركض خيلنا •
(٤) رفاقته : رفاقه وجماعته • اللّي حداننا : الذي حولنا أو بجانبنا
أو المحاذين لنا •

الاولى : هي ان يغنيه غناء بمصاحبة الرباب فيمد صوته عاليا لسمع جميع من في المجلس ويحاول ان يكون صوته عذب الجرس مؤثرا ذى انغام مشجية تفعل فعلها في النفوس والقلوب فتجد الحاضرين جميعا في صمت مطبق متجهين بحواسهم جميعا الى المنشد • وهذا الانشاد يؤدي بنغمين الاول وهو النغم العادي والثاني ويسمونه « هالالي » نسبة الى بني هلال •

والثانية : هي ان يعرضه على طريقة القراءة العادية بدون مصاحبة الرباب وبدون غناء وانما يقرأه ببطء مع تجسيد لمعاني الالفاظ وتضخيمها ويحاول المنشد جاهدا ان يظهر شعره بمظهر القوة والسمو •

النوع الثاني

الحدااء

والحدااء معروف في البادية منذ ان كانت البادية وكانت للعرب قبائل تجوب هذه الصحارى والقفار وراء الكلاّ ومساقط المياه •• وطلباً للحرب والغزو والطعان •

والحدااء يأتي على شكل مقطوعات قصيرة تتألف في الغالب من بيتين وتلتزم كل قطعة قافية • وتتغير هذه القافية بتغير المقاطع وهذا ما كان عليه سابقا في الجاهلية فالشاعر كان يقول البيتين والثلاثة او نحو ذلك من الرجز^(١) وكانوا يطلقون عليه اسم المقطعات يذكر صاحب الاغانى عن اجتماع بعض الشعراء وكان بينهم ابو النجم والفرزدق عند عبدالمك بن مروان فقال لهم من صبغني بقصيدة يفتخر فيها وصدق فله هذه الجارية

(١) بلوغ الارب ص ٧ •

فقاموا على ذلك ثم قالوا ان ابا النجم يغلبننا بمقطعاته - يعنون الرجز^(١) وعن رؤبه وأبيه قولهم ♦♦♦ لقينا جرير فقال يا بني ام العجاج والله لو وضعت كلكلى عليكما ما اغنت عنكما مقطعاتكما^(٢) ♦

والحذاء في العادة يرتجل ارتجالا اثناء المعارك والعودة منها او الذهاب اليها ومما يساعدهم على ارتجاله وزنه السهل المستحب وهو الرجز ويبدو ان الرجز كان في الجاهلية يلبي حاجة الارتجال^(٣) ومجىء هذا النوع اعني الرجز على شكل مقطوعات قصيرة وقوله ارتجالا في مواقف معينة دفعهم الى التفريق بينه وبين الشعر ♦ كتب عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الى المغيرة وهو على الكوفة ان استنشد من قبلك من شعراء مصرك ما قالوا في الاسلام فارسل الى الاغلب الراجز العجلى فقال له انشدني فقال^(٤) ♦

أرجزا تريد ام قصيدا لقد طلبت هينا موجودا

وقيل ليونس : من اشعر الناس ؟ قال : العجاج ورؤبه ♦ فقيل له ولم ؟ لم نعن الرجاز ♦ فقال : هم اشعر من اهل القصيد^(٥)

بل ان بعض علماء العروض ينكرون عد الرجز من الشعر وهذا ما هو عليه بدو زماننا لان كل واحد منهم يقول هذا النوع وانما الشاعر عندهم هو الذي يقول جميع الانواع ♦

أوزانه :

يمتاز هذا النوع من الشعر البدوي بانه يلتزم وزناً معيناً واحداً وهو

- (١) الاغانى ج ١٥٣/٩ ♦
- (٢) الاغانى ج ١٨ ص ٢٩١ ♦
- (٣) تاريخ الادب العربي ج ١ ص ٥١ - بركلمان ♦
- (٤) الاغانى ج ١٤ - ص ٢١٩ ♦
- (٥) الاغانى ج ١٨ - ٢٩١ ♦

الرجز المعروف • واستعمال الرجز في الحداء قديم جدا • قال ابن حبيب^(١)
كانت العرب تقول الرجز في الحرب والحداء والمفاخر وما جرى
هذا المجرى •

بل ان كلمة رجز وحداء كاتتا مترادفتين اذ انهم يطلقون على الحداء
اسم الرجز فهما اسمان لمسمى واحد •

يذكر صاحب الاغاني في رواية عن داود المكي قوله عن اجتماعهم
في حلقة ابن جريج وكان عنده عبدالله بن المبارك وعدة من العراقيين ومرو
بهم ابن تيزن المغنى ثم يروى كيف غنى لهم تحت الحاح بن جريج اصواتا
غادرهم بعدها ابن تيزن الى ان يقول : فالتفت ابن جريج الى اصحابه فقال :
لعلكم انكرتم ما فعلت ؟ فقالوا انا لننكره عندنا في العراق • قال فما
تقولون في الرجز ؟ - يعني الحداء - قالوا لا باس به عندنا قال فما
الفرق بينه وبين الغناء^(٢) •

مما تقدم يظهر لنا بجلاء قدم هذا الاقتران بين الرجز والحداء وقد
تحدث الى بدو زماننا مع ما تحدث اليهم من اسلافهم وان كانوا حاليا قد
ابقوا على كلمة حداء واهملوا كلمة رجز •

وهم باستعمالهم لهذا البحر يميلون الى استعمال المجزؤ في الاكثر
وان كانوا يستعملون في احوال اخرى هذا البحر كاملا •

والخلاصة انهم يستعملون هذا البحر بجميع اقسامه الا انهم كما
قلنا سالفًا يستعملون المجزؤ اكثر مما يستعملون الاقسام الاخرى لانه
يساعدهم على ما اعتقد على الارتجال بسهولة وبالسرعة التي يفرضها الموقف •

(١) الاغاني ج ١٨ - ٣٨٢ •

(٢) الاغاني ج ١ ص ٤٠٨ •

مواضيعه :

هذا النوع من الشعر يقال في العادة على ظهور الخيل وهي في طريقها الى الحرب وخوض المعارك لذا جاءت مواضيعه قاصرة على الفخر والحماسة وما يتطلبه الكر والفر من استنفار وتحفيز للمهم واثارتها والتشجيع على خوض المعارك وارخاص الارواح في سوق المتايا •

وهذه هي مواضيعه قديما قبل ان يصنع منه رؤيه والمعجاج المطولات وينحوا به مناحي بحور الشعر الاخرى ويطلقا به اغراضها • يذكر الالوسي في كتابه بلوغ الارب نقلا عن ابي عبيده ان الشاعر كان يقول من الرجز البيتين والثلاثة ونحو ذلك اذا فاخر او حارب او شاتم^(١) •

فمواضيعه اذا مرتبطة ارتباطا كلياً بظروفه التي يقال فيها وهي ظروف المعركة وما تتطلبه من حماس وبذل وفخر وتشجيع وذلك واضح كل الوضوح في كتب التاريخ التي تبحث في حروب ومغازي وايام العرب اذ اتنا نلاحظ استعمالهم لهذا النوع بكثرة على لسان الفرسان ابان المعركة وبعدها ففي معركة احد كانت هند بنت عتبة زوجة ابي سفيان تشجع قومها بقولها :

ويها بنى عبد الدار ويها حماة الادبار
ضربا بكل تبار^(٢)

وقولها :

ان تقبلوا نعانق ونفرش النمارق
او تدبروا نفارق فراق غير وامق

وهناك امثلة كثيرة غير ما ذكرنا مما يؤيد ما ذهبنا اليه في تحديدنا لمواضيعه والظروف التي يقال فيها ومن كونه يقال ارتجالا •

(١) بلوغ الارب ص ٩٠ •

(٢) الاغانى ج ١٤ - ص ٣٣ •

نماذج منه :

١ -

يا ربنا ما من صديق
والله لفوج لها الطريق
جمعين والثالث بحر
لعيون براق النحر (١)

٢ -

بنت الشرابي صيحت
والدقة الصارت عليه
شقت جديد ثيابها
تسوى الجزيرة ومابها (٢)

٣ -

من دور سالم والشريف
حنا كما غش العراق
ما حنا للجاسي ليان
نلحق على طول الزمان (٣)

طريقة أداء هذا النوع :

هذا النوع يقرأ عادة على ظهور الخيل وهي في طريقها الى الغزو او في عودتهم متصرين لذا جاء على انغام متعددة تنسجم والحالة التي هم فيها • والحداء عادة لا ينشد بمصاحبة الرباب على عكس الانواع الاخرى •

فالحالة الاولى :

وهي الحالة الطبيعية في ذهابهم الى المعركة يقرأ بنغم بسيط ويقطع

(١) يقول يا ربنا لا صديق معنا ، نحن محصورون بجمعين و خلفنا البحر فلا طريق لنا ولكن سافتح لفرسي الطريق كما يفوج السابح في النهر كل ذلك من أجل حبيبتني ذات النحر البراق •

(٢) صيحت : صاحت • الدقة : المصيبة أو النازلة • تسوى : تعادل - واثمن •

(٣) حنا : نحن • والجاسي : القاسي الظالم • ليان : لينون خانعون
غش العراق : نوع من الحشرات •

تقطيعاً يشبه تقطيع العروض • وهذه الطريقة في الغناء قديمة وكانوا يسمونها الركبانية • قال ابو جعفر اذا قال احدهم الشعر بالركبانية اكفاً والركبانية ان يتغنى به ويقطع كما يقطع العروض^(١) وما زال عرب العراق يطلقون على الحداء اسم الركبانية وهو نغم مشهور عندهم يردده حتى سكان المدن •

الثانية :

عند الاشتباك في المعركة وتكون نغمته سريعة تتداخل كلماته فلا تفهم الا بصعوبة ويسمى في هذه الحالة الحواراب اي الحربي •

الثالثة :

عند العودة من المعركة منتصرين ويكون نغمه ممطوطا متكسرا ينسجم مع حركة التمايل التي يقومون بها على ظهور الخيل بتحريك اجسامهم الى اليمين والى الشمال ويسمونه في هذه الحالة التطويح او الطواح •

النوع الثالث

السامري

وهذا الاسم مشتق من السمر والسامر لان هذا النوع في الغالب لا يقرأ الا ليلاً حيث يجتمع القوم للسمر ويعتبر هذا النوع من اغنى انواع الشعر الاخرى بانغامه وممن اشتهر به لكثرة ما ادخل عليه من تفضن وابتكار لالحانه الشاعر ابن لعبون اذ يعتبر المجلي فيه « من حيث ابتكار

(١) شرح النقائض ١ : ٥٦ •

الادوار المرقصة وجودة الغزل ورقته وسلاسته ويأتي بعد ابن لعبون
ابن فرج (١) •

الا ان هذا التفنن والتنويع النغمي يكاد يكون محصورا في الجزيرة
العربية وفي نجد على الاخص لان اكثر القبائل قد استقرت في المدن ونالت
شيئا من المدنيه والتحضّر وأصبح هذا النوع من الطاعني على الجزيرة
والخليج العربي وهو نفسه الذي تقدمه الاذاعات على انه اغاني الخليج
وجنوب الجزيرة •

هذا في الوقت الذي حافظت القبائل الاخرى التي ما زالت تجوب
الصحراء على انغام معينة واوزان معينة لهذا النوع كما هو ملاحظ في
بادية الشام وبوادي العراق والاردن •

أوزانه :

يلتزم هذا النوع من الشعر وزنا واحدا هو الرمل واقسامه وهذا
هو الثابت بالنسبة لكل ما جمعه من نماذج لهذا النوع ، على اني لاحظت
بعض التغيير في هذا الوزن في بعض النماذج النجدية التي ذكرها الاستاذ
عبدالله بن خميس في كتابه « الادب الشعبي في جزيرة العرب » وذلك
راجع على ما اعتقد للتطور الذي اصاب هذا النوع في نجد والخليج
فكثرت انغامه مما دفعهم بالاخير الى ايجاد بعض الاوزان التي تتناسب مع
هذه الانغام الجديدة الا ان الغالب هو بحر الرمل وحتى الاوزان الاخرى
يمكن ارجاعها الى الرمل باضافة سبب أو نحوه مثال ذلك •

سقى صوب الحيا مزن تهامي على قبر بتلعات الحجاز
ابو زرق على خده علاما تحلاها كما نقش بغازي
.....
.....

(١) الادب الشعبي في جزيرة العرب ص ٣٢٢ •

فهذه القطعة تلتزم « الواقف » بتسكين « لام » « مَفَاعَلَتُنْ ° » فتصبح
 « مَفَاعَلَتُنْ ° » ويكون الوزن هكذا •

مَفَاعَلَتُنْ ° مَفَاعَلَتُنْ ° فعُولُنْ °

فاذا اضفنا في اول الصدر سيبا وفي اول العجز سيبا اخرآ أصبح البحر
 رملا ، كآن تقول :

..... (هل) سقى صوب الحيا مزن تهامي

(يا) ابو زرق على خده علاما (قد) تحلاها كما نقش بغازي

..... فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

مواضيعه :

قلنا انه مشتق من السمر لانه يقال في الليالي حيث يجتمع
 السمار في حلقات لذا كان هذا النوع قاصرا على المواضيع التي تتسجم
 وهذه المناسبات ، وهل هناك غير حديث القلب وما يستحوذ على قلوب
 الجميع في سمرهم لذا كان الغزل والنسيب والشكوى من الهجر والجوى
 والحنين والشوق الى الاحباب مواضيع هذا النوع من اشعر الغالبه عليه
 بل تكاد تكون المواضيع الوحيدة التي يطرقتها •

نماذج منه :

النموذج الاول :

يا عَيُونَ الْخِشْفِ يَا رُكْبَةَ الْغَزَالِ

جِيْزَةَ الْفَيَّانِ عَليْكَ مِنْ الْفِشِيْدَةِ (١)

(١) الخشف : ابن الغزال • حيزة الفايين : زواجك من الرديء ،

الفشيلة : الفشل ، والمراد ان زواجك هذا غير مشرف وهو فاشل •

أَشْتَكِي لَكَ مِنْ هَوَانِجِلِ الْعِيُونِ
يُوسِفِيَاتِ الْمَهَا حُمُرِ الشِّفَاةِ
سَالِيَاتِ لِمَلَا تِلْعِ الرَّقَابِ
خَرَدَاتِ بِالْبِيُوتِ امْخَفَّرَاتِ
قَاصِرَاتِ الطَّرْفِ عَنْهُنَّ الْبِدُورِ
لَوْ تَبَيَّنَ جِنِحُ لَيْلٍ كَاشَفَاتِ
عَنْبَرِيَّاتِ الرُّوَايِحِ بِالْكَمَالِ
فِي جَمَالِ قَائِمَاتِ قَاعِدَاتِ
عَدَبَنِّي بِالْمَطَاطِلِ وَالْوَعُودِ
كَاذِبَاتِ مَاهِرَاتِ بَاطِلَاتِ

طريقة ادائه :

عندما يجتمع القوم في مجالس السمر ويتحلقون حول عازف الرباب حيث يبدأ بالعزف والانشاد بانغام راقصة عذبه حيث يستخفهم الطرب فيرددون معه أو يرافقونه وهذه هي الطريقة المعروفة في بوادي الشام والعراق على حين يذكر عبدالله بن خميس طريقة أخرى لاداء هذا النوع في نجد يقول ♦

في حالة غناءه يتقابل فريقان ، جثوا على الركب وينطلق الصوت الاول من احد الفريقين ، بشرط البيت أو بالشطر مرتين أو بالبيت كذلك أو بالشطر واعادة جزء منه ليتلقفه الفريق الثاني على نحو ما بدأ هذا الفرد ثم يتلقفه فريق البادية وهكذا مرتين أو ثلاثا لينقلهم هذا البادية الى آخر بتلقينه لفريقه في حالة اداء اولئك البيت الذي معهم ♦

والطبول هنا لها المكان الاول • فلا بد من ايقاعها على نغمات كل دور ولا بد ان يكون في يد كل فريق جزء منها ، وقد تأخذهم نشوة الطرب فينحنون الى الارض في ميلان واهتزاز^(١) •

أقول هذه الطريقة غير معروفة في بوادي الشام والعراق ولا يقومون بها اذ ان القبائل البدوية المنتشرة في هذه البوادي لا تستعمل الطبل مطلقا وانما الرباب فقط •

النوع الرابع

الهجيني

تسميته مأخوذة من الهجن ومفردها هجان أي الابل لانه ينشد في العادة على ظهور الابل ومن الجدير بالذكر ان الابل تتأثر به تأثرا محسوسا فتصيها نشوة واضحة قد تستغريها من حيوان اعجم • وقد روى لي كثير ممن صادفتهم من البدو عن الاثر الذي يصيب الابل عند سماعها انشادهم لهذا النوع وهم على ظهورها •••

يقولون انه عندما يأخذ التعب مأخذه من الركب وتبدأ الابل بالتفرق عن بعضها كل يسير على هواه فيرفع احدهم صوته منشدًا ويجاوبه الآخر ويردد آخرون وهنا تلاحظ الابل المتفرقة هنا وهناك تتجه صوب مصدر الصوت وتتدفع في سيرها شاء راكبوها أم ابو حتى تتجمع وتلتئم وتتلامس جنوبها وتطس الارض بمشافرها وتلعب باعناقها وتأخذ بالسرعة في مشيها حتى ليشعر راكبها انه على سفينة وليس على ناقة •

(١) الادب الشعبي في جزيرة العرب - ٣٢٢ •

أوزانه :

ليس لهذا النوع من الشعر أوزان محددة معروفة كما هي الحال بالنسبة للحداء والسامري وانما مثله مثل القصيد الذي لاحظنا سابقا عدم وجود أوزان محددة له قائمة على تفعيلات معينة •

وكذلك الحال بالنسبة لهذا النوع اعني « الهجينى » وكل الذي تقدر على قوله هو انه يأتي في الغالب على أوزان أقصر من أوزان القصيد الذي يمتاز بأوزانه الطويلة النفس •

مواضيعه :

يتطرق هذا النوع الى أغراض ومواضيع مختلفة ولا يقتصر على موضوع واحد معين •• فمنه الغزل والشكوى من صدود الحبيبة ولوعة الحب ••• ومنه الفخر والمباهات ومنه في وصف الابل وجوب الصحراء •• ومنه ما يقال في وصف المعارك وحوادث الغزو والقتال ومنه في المدح وهو في العادة يأتي على شكل مقطوعات ليست بالطويلة كالقصيد ولا هي بالقصيرة جدا وانما تكون في العادة متوسطة الطول •

نماذج منه :

النموذج الاول :

الْقَلْبُ وَرَدَّ عَلَيَّ دَبْلَهُ

مَارِ الْبِلَاءَ أَنْكَانَ تِنْحَانِي (١)

(١) ورد : اتجه ، جاء • دبله : اسم امرأة • مار : لكن • البلاء :

البلاء • تنحاني : نحاه ، قصده ، اتجه نحوه •

مَا هِيَ خَفِيفَةٌ وَلَا خَبْلَةٌ
 يَا لَيْتَهَا عَقِبَ عَمَّانِي (١)
 مِبْسَمِ التَّرْفِ بِهِ قَبْلَهُ
 وَأَنَا مَا جِئْتُهُ وَلَا جَانِي (٢)
 وَنَهَيْدَهَا يُومَ تَقْرَبُ لَهُ
 لُونِ الزَّبِيدِي بَرِيضَانِي (٣)
 يَا لَيْتَنِي طَائِرٌ جَبْلُهُ
 وَأَحْطَهَا فَوْقَ جِنْحَانِي (٤)

نموذج آخر :

يَا رَاكِبِ اللَّيِّ بَعِيدِ الْخَدِ يَطْوَنَهُ
 بِوَاطِنٍ مِنْ ضَرَايِبِ جَيْشِ ابْنِ ثَانِي (٥)
 وَمِنْ التَّمِيلَةِ لِدَارِ الشُّوقِ يَمْسِنَهُ
 لِي رَوْحَنَ بِالْوَصَايِفِ جَوْلَ غَزْلَانِ (٦)

- (١) خفيفه : هوجاء ، عكس الوقورة • خبله : ثقيلة الظل ، أو مصابه بخبل • عقب : بعد ، خلف ، ضناً •
- (٢) الترف : البنت اللينة الاعطاف الجميلة المترفة • ما جئته ولا جاني : ما جئته ولا جاءني •
- (٣) نهيدها : تصغير نهد • تقرب له : تقترب منه • الزييدي : نوع من الكمأة • الريضان : جمع روضه •
- (٤) جبله : قبله ، ناحيه الجنوب • واحطها : واضعها •
- (٥) اللي : بمعنى التي واللواتي • بعيد الخد يطونه : بعيد المدى يقطعنه ويطوبنه بسرعة • بواطن : من بطين عمان •
- (٦) التمييلة : اسم مكان • دار الشوق • دار الحبيبية • لي : اذا • بالوصايف بوصفهن • جول غزلان • سرب الضباء •

تَكْفُونَ يَا هَلْ أَلْبِضًا سَجُّوا عَيْهِنَّ°
 سَجُّوا وَلِجُّوا وَسِيرِ الْعُمُرِ فَأَنِي (١)
 لَأَبْدُ مِنْ خِرْقَةٍ بِيضًا عَلَيَّ السِّنَّةُ
 وَالْمَوْتُ مِنْ قَبْلِنَا مَا عَافَ رَاكَانَ (٢)

نموذج آخر :

من قصيدة للشيخ نوري الشعلان شيخ الرولة :

رُدُّهُ° عَالِمَنْعٍ يَا غَيْبِي
 قَبْلَ الْحَنَاتِيرِ° يَطَنَّكَ (٣)
 بَعَثَ الْعَهْدَ لِيهِ° يَا شَيْبِي
 مَا تَحْسِبِ الْإِيَامِ يِرْمَنَّكَ° (٤)
 جَوْلَكَ° عِيَالَ الشَّعَالِينِي
 مَا صَدَّقُوا يَوْمَ شَافَنَّكَ° (٥)

(١) تكفون : دعاء بان يكفيهم الله كل شر . أهل النضا : أهل
 الأبل . سجوا عليهن : امضوا عليهن في السير . لجوا : ارفعوا اصواتكم
 بالحداء والغناء .

(٢) خرقه بيضا : المراد هنا الكفن . على السنة : على الشريعة .
 ما عاف راكان : لم يترك راكان بن حثلين الفارس والشاعر المشهور .
 (٣) رده : رد الاسلاب . غيبي : المراد ابن غيب زعيم عشيرة
 الفدعان . الحناتير جمع حنطور والمراد هنا السيارات . يطنك : بطأن
 عليك ، يطنك .

(٤) بعث العهد : نقضت العهد . ليه : لماذا . الشين : الرديء ،
 العيب المهلك . تحسب : تظن . يرمك : ترميك .

(٥) جولك : جاؤوك . عيال الشعاليني : قوم ابن شعلان ، الرولة
 شافنك : رؤوك .

بُمُوزَرٍ ضَرَبَهَا شِينِي
 وَبَارِضِ الْبِسَاتِينِ بِرِمْنَكٍ^(١)
 أَنْتَ يَا طَالِبَ الدِّينِي
 بِصَاعِ الْوَفَا الْيَوْمَ كَالنَّكَ^(٢)

طريقة ادائه :

ينشد هذا النوع عادة على ظهور الابل وهي في طريقها الى حيث يقصد راجبها ••• وطريقة ادائه تكون كما يلي :

يبدأ الشاعر بشرط البيت أو بتكراره أو بالبيت كله فيجأوبه الآخرون ثم يعود الشاعر بتكرار ما بدأ به ويشترك الآخرون معه في هذا التكرار ثم ينتقل الى الشطر الثاني من البيت أو الى البيت الثاني فيرده منفردا ثم يجأوبه الآخرون وهكذا حتى نهاية القصيدة ••• كل ذلك بصوت مرتفع شجي ونغم جميل ••• ومن الطبيعي ان لا يكون في هذه الحال بمصاحبة الربابة وانما ينشد بدون مصاحبة أية آلة •

★ ★ ★

هذا الذي ذكرناه بالنسبة للانواع التي عددناها للشعر البدوي حول طريقة ادائه هو المتبع عند جميع قبائلنا البدوية المعروفة • ولكن لا يعنى ذلك ان هذه الانواع لا تؤدي الا بالطريقة المذكورة وانما قد تروى رواية دون غناء مثلها مثل النوع الاول « القصيد » •

والنوع الرابع أعني الهجيني قد ينشد بمصاحبة الرباب ولكن في

(١) موزر : نوع من البنادق الالمانية • ضربها شين : ضربها مؤذي مهلك •

(٢) الصاع : مكيال • الوفا : الوفاء وتأتي وفاء الدين • كالنك : كالوك من كال يكيل كيلا •

المجالس فقط اما انشاده الطبيعي فهو كما ذكرنا اذ يكون على ظهور الابل
وبدون رباب •

ولا بد لي قبل ان انتهي من هذا الباب ان اذكر استكمالا للبحث انواعا
اخرى غير ما ذكرت مما يردده البدو في أفراحهم وحفلاتهم وان كانوا
لا يعتبرون هذه الانواع شعرا ذا قيمة كما انهم لا يعتبرون قائله شاعرا وانما
الشاعر عندهم قائل الشعر بجميع أنواعه وخاصة القصيد •

من هذه الانواع ما يردده الراقصون في الرقصة البدوية المشهورة
« الدحة » اذ يقف احدهم ويبدأ بالقول مستحفا الحاضرين على الرقص
ويطلب من الفتيات النزول الى الحلبة ولا تقبل الفتاة الا اذا اعطاها ثمنها
وثنمها أبيات من الشعر يرتجلها في وصفها والتغزل بها عند ذلك تنزل ويدها
السيف حيث تبدأ بالرقص ويبدأ هو بترديد أبياته وهي في العادة تكون
رباعيات تلتزم الاشطر الثلاثة الاولى قافية والشطر الرابع قافية ثم ثلاثة
أشطر على قافية واحدة والشطر الرابع يعود الى نفس قافية الشطر الرابع
من الرباعية الاولى وهكذا مثال ذلك •

يَا امَّ الثِّمَانِيَّ الْعَذَابِ
خُمِّي حَيَاةَ الشَّبَابِ
قَبْلَ غَيْثِ التَّرَابِ
يَجْبُرُ عَلَيَّ وَعَلَيَّ
يَا امَّ الثِّمَانِيَّ الرَّهَافِ
لَا بَدَّ لَكَ مِنْ قَبْرِ وَاْفِ
عَنكَ الضَّعَائِنِ مَجَافِي
بَسَّ أَنْتِ بَارِضِ الْخَلِي

وهناك نوع آخر يسمى « الحماشي » وهذا النوع يكون حوارا ما بين اثنين وعادة يكون بين فتى وفتاة ويكون الحديث شعرا بدل الكلام العادي وتكون هذه المحاورات على شكل ثلاثيات يلتزم الشطران الاولان قافية والشطر الثالث قافية وتكون قافية الشطر الاخير أي الثالث هي القافية التي يلتزمها المتساجلان الى نهاية المساجلة مثال ذلك محاوراة جرت بين فتى وفتاة اشتهرت بسلاطة لسانها ♦

هي : يا راعي الذود اقهر ذودك اشوف اليوم تناحيني ^(١)
هو : شفت نهودك تحت عضودك غدا قلبي قطيني ^(٢)
هي : انا حباره بارض قفاره حس الرعيان مجزيني ^(٣)
هو : انا حرك مذكور لك مدعوج العين بلاني ^(٤)
هي : انا حيه تحت صفيه يقتلك السم ما تجيني ^(٥)
هو : انا القرأى ابن القرأى اقهر سمك ما يسيني ^(٦)

ومما يلفت النظر ان هذا النوع اعني « الحماشي » مشابه تماما للمحاورات الشعرية المبثوثة في ثنايا تفريية بني هلال مثال ذلك :

هو : يا ماريًا بحياتك طليعي نهيداتك حتى تطيب السهره
هي : صنصيل يا صنصيل بطل كلام القيل بابو لحيه الشقرة

- (١) اقهر : امنع ، ارجع • اشوف : ارى • تناحيني : تتحرش بي •
(٢) شفت : رأيت • قطيني : قطعاً •
(٣) حباره : الحبارة طائر بري كبير الحجم وهو سريع الحركة • قفاره : مقفره • حس : صوت • مجزيني : يفزعني ، ويجعلني حذرة •
(٤) الحر : من جوارح الطير وهو الصقر وقوله انا حرك يعنى انا الصقر الذي سيصطادك • مدعوج العين : ادعج العين • بلا نيل : بدون نيل والنيل نوع من الاصباغ •
(٥) الحجة : الافعى • صفيه : صخرة •
(٦) انا القرأى : انا القارئ صاحب التعاويذ التي تبطل مفعول سمك • يسيني : يسئ لي •

الباب الرابع

خصائص الشعر البدوي

يمتاز الشعر البدوي بمميزات وخصائص يمكن استخلاصها بشيء من
التتبع والاستقراء • وقد تمكنت من تسجيل بعض الملاحظات حول هذا
الموضوع تتعلق بلقته ومعانيه وبعض خصائصه الأخرى •

١ - لغته :-

لغة البادية ، هي اللغة التي يقال بها الشعر البدوي ، وأهل البادية
لا يجدون في فهمها صعوبة كالتي يجدها من هو بعيد عن البادية وعن
مخالطة أهلها فهي سليمة لا غبار عليها بالنسبة لهم لأنها اللغة الدارجة على
السننهم ووسيلة التفاهم فيما بينهم •

ومن الجدير بالذكر ان لغة الشعر هذه ليست بلغة قبيلة معينة وانما
هي لغة خاصة به ، فهي بمثابة لغة فصحي بالنسبة للهجات القبائل المختلفة
ينظم بها الشعراء اشعارهم وتكون مفهومة عند جميع القبائل •

فهي والحالة هذه لغة أدبية - اذا جازت لنا التسمية - كما هي الحال
بالنسبة للغة الشعر الجاهلي ، الذي اعتبره الدكتور طه حسين موضوعا في
أكثره معتمدا بذلك فيما اعتمد على اختلاف لهجات القبائل العربية مع
اتفاق الاشعار التي تروى عنهم ، فلو خالط الدكتور طه حسين القبائل
البدوية اليوم ورأى كيف تختلف لهجاتها ثم سمع الاشعار تروى بلسان
واحد وكل ينطقها بلهجته الخاصة لغير رأيه هذا • اذ لو طبقنا قوانينه على
هذه الاشعار لحكمنا عليها بالوضع • وطبعي ان هذا امر لا يقبله العقل
ولا يرضاه المنطق •

وانا هنا لا اريد ان ارد على الدكتور طه حسين اذ لا علاقة لذلك
بموضوعنا وانما اردت ان اقرر حقيقة ثابتة هي ان القبائل البدوية الحاضرة
المنتشرة في صحارى الجزيرة العربية وبوادي العراق والشام والاردن
تختلف لهجاتها اختلافا واضحا ومع ذلك نسمع الشعر الصادر عن شعرائها

فنجده واحدا ، يروى بلسان واحد ، ويتناقله الرواة ويرددونه في مجالسهم
وأسمارهم •

فالشاعر البدوي اليوم لا ينظم شعره بلهجته الخاصة وإنما بهذه
اللهجة العامة التي دعوناها « لغة الادب أو لغة الشعر » كما هي الحال في
لغة الشعر الجاهلي القديم والتي لم تكد تكون لغة جارية في الاستعمال
العام • بل كانت لغة فنية قائمة فوق اللهجات وان غزتها جميع اللهجات^(١)
وهذا هو نفسه الذي لاحظناه في لغة الشعر البدوي المعاصر •

ولغة البادية الآن قد جانبت الكثير من قواعد اللغة العربية فالدارس
لهذا النوع من الشعر عليه ان لا يحاول تطبيق قواعد النحو والصرف في
قراءته لانه ان فعل فسوف يخرج بشيء بعيد كل البعد عن الشعر من تحطيم
للوزن وافساد له •

ولا أرى في هذه المجانبة سببا يكفي لمهاجمته والتجني عليه فهذه
المهاجمة وذلك التجني نابعان - على ما اعتقد - من الافتراض المسبق بان
الشعر لا يكون شعرا الا اذا كان بلغة عربية فصحي • وممن عاب على
الشعر البدوي مجانبته للفصحى الدكتور منير العجلاني الذي هاجمه بعنف
وبشكل لا يتركز على أي أساس علمي مبني على النقد والتحليل مما يفترض
بالباحث العلمي ان يلتزمه في كل ما يكتب^(٢) ، والاستاذ وصفي زكريا حيث
يقول فالشعر عند بدو زماننا ليس فيه على الجملة مزايا ما سلف ولا وضاحة
ما مضى وانصرف لانه يقال بلهجة مشوهة بالحوشى والغريب من الكلام
طافحة باللحن محرومة من الاعراب بعيدة بعدا كبيرا عن الصورة الناصعة
ورقة اللفظ وحلاوة الجرس التي للشعر البدوي القديم •••^(٣)

(١) بروكلمان - تاريخ الادب العربي - ص ٤٢ •

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق - ج ٢ المجلد ٢٨ •

(٣) عشائر الشام - وصفي زكريا - ص ٣٤٧ •

فلاستاذ وصفي زكريا يطلب من الشاعر البدوي ما لا يقدر عليه مما هو فوق طاقته ومداركه وأنا لا أرى ما يراه الأستاذ أو غيره من انتقاص الشعراء البدو أو بخسهم شعرهم لشيوع العامية والمدحج فيه ، فما كان شعراء الجاهلية لينطقوا بغير لغتهم الشائعة والمتداولة في أيامهم •

ثم ان الذي يقرر كون هذه اللهجة مشوهة بالحوشى والغريب من الكلام هو مالك ناصيتها والواقف على دقائق معانيها • فلو ان بدويا وصفها بذلك لقبته منه باعتبارها ادري بها اما ان يصفها حضري بذلك فهذا امر غير مقبول مطلقا لان عدم فهم لغة لا يعني ان هذه اللغة مليئة بالغريب والحوشى من الكلام • وقد تنبه علماء العربية لذلك اذ يذكر السيوطي نقلا عن الشيخ بهاء الدين السبكي قوله في عروس الافراح :

« ينبغي ان يحمل قوله « والغرابة » على الغرابة بالنسبة الى العرب العرباء لا بالنسبة الى استعمال الناس » (١) •

وما كان - ولن يكون - من الانصاف ان نطالب ابن هذه الصحراء اناحلة - اعني بدوي اليوم - بالتعبير عما يجيش في صدره بلغة غير لغته التي تلقاها من امه وابيه وعشيرته واهله ••• (٢) • فاشاعر البدوي اليوم في قوله للشعر لا يخرج عن لغته التي الفها فليس من الصحيح ان يتساءل الدارس منا عند قراءته للشعر البدوي : لم هذا ؟ أو ليس هذا بصحيح أو غيرها من الاعتراضات التي تجوز لدارس الشعر العربي لا لدارس هذا الشعر •

فالشاعر البدوي كثيرا ما يحاول اخضاع كل شيء من أجل استقامة الوزن والقافية فيحذف من الكلمة ما يشاء ويزيد ما يشاء • والبدوي لا يعنيه من كل هذا الا ان يكون الشعر الذي يسمعه سليم الوزن مؤديا

(١) المزهري - ج ١ ص ١٨٧ •

(٢) خيرالدين الزركلي - ما رأيت وما سمعت •

للمعنى كما يفهمه ، وان كان يعجب ويهتم باللفظ الغريب ويحتفى به ويهزه المعنى المتكرر لذا نرى الشاعر يتدع الكثير من الالفاظ الغريبة ليحصل على اعجاب السامعين •

ومجانبة هذه اللغة للفصحى لا تعني انها مجانية مطلقة اذ اننا نجد فيها الالفاظ والاساليب السليمة أو التي ترجع الى أصل سليم كما واننا نلاحظ فيها البعض من ظواهر الاعراب ، وكثيرا ما نجد أبياتا شعرية يمكن قراءتها بلغة عربية فصحة فتستقيم لنا لغة ووزنا تماما كما لو قرأناها بلغتها الاصلية • مثال ذلك قول محسن الهداني :

خليلي قم لي في دجا الليل بعدما
جفا النوم عيني والبرايا هواجع

وقول راشد الخلاوي :

مقام الفتي في منصب العز ساعة
ولا الف عام يصحب الذل صاحبه

وقول أبي حمزة العامري :

تأبى عن الطمع الزهيد نفوسنا
وفروجا تأبى عن الفحشاء

فشهرت رأس الرمح ثم ركزته
في المهرة المقذولة الشقراء

وهناك الكثير من هذه الامثلة مبثوثة في طيات القصائد البدوية كآيات وكمقطوعات •

وهذه اللغة رغم وجود بعض ظواهر الاعراب الصحيحة فيها الا انها

على العموم قد فقدت الاعراب • فنلاحظ ميلهم الى تسكين أواخر الكلمات ، وهذه الظاهرة ليست وقفا عليهم وانما هي عامة في لهجاتنا العامية كما وانها ليست حديثة ، اذ ان علامات الاعراب قد تلاشت منذ أجيال سواء على لسان العامة في القرى والمدن أم في شتى أساليب الكلام الجاري على ألسنة الطبقات المثقفة بل وفي لهجات البدو انفسهم^(١) •

قلنا انهم يميلون الى التسكين الا انهم ان أرادوا أو احتاجوا الى تحريك أواخر الكلمات فكثيرا ما تكون الحركة خطأ من الوجهة اللغوية •• فهم عندما ينونون أواخر الكلمات يميلون الى التثوين بالكسرة غالبا ان لم نقل دائما مهما كان موقع النون من الاعراب •

يقول محمد العبدالله القاضي :

بِالطَيْفِ طِفْلٍ زَارِنِي مِنْهُ مَشْعُوبٌ
جِنْحَ الظَّلَامِ وَفِزَتْ بِوَصَالِ الحَبَابِ

ويقول العوني :

دِيَارِ لَكُمْ مِنْ عَقْبِكُمْ طَبَّهَا الشَّيْنِ
تَبْكِي اِرْجَالِ وَمُكْرِمَاتِ الْأَصَائِلِ

ويقول غزالان :

وَاتُوا شِيُوخِ مِنْ جَدِيْمِ الزَّمَانِ
مَارَ اَنْكِصَمَ مُفْرَاكَهَا وَالسَّعْدَكْنَ

فـ (طفل) و (ديار) و (شيوخ) لغة يجب ان يكون محلها الرفع في حين نرى هؤلاء الشعراء جاءوا بها مجرورة •

(١) العربية - دراسات - يوهان فك - ص ٢ •

فمن الملاحظ انهم يميلون بشدة الى الكسرة فهي محببة لديهم ينونون بها ويحركون بها بغض النظر عن موقع هذا المحرك من الاعراب • والقوافي على الاكثر تكون مجرورة •• بل انهم يذهبون الى اكثر من ذلك فيجرون الفعل ايضا •• يقول احدهم وهو من قبيلة الرولة :

مَدَّ الْمِدِيدَ وَزَاعَ مَا صَحَّ لِيْ وَدَاعِي
ف (زاع) فعل ماضي بمعنى أسرع ومع ذلك جاءوا به مجرورا رغم ان علامته الفتح في اللغة • ويقول نمر بن عدوان :

زَايِرُ هَلَّةٍ يَعْقَابُ فِي سَاعَةِ غِيَابِ
هَلَّ حَيْنَ يَلْفِي وَالْمَحَبَّةَ تَزِيدِ

ف (تزيد) فعل مضارع مرفوع الا ان الشاعر جاء به مجرورا •
كما واننا نلاحظ عندهم ميلا شديدا الى تخفيف الهمزة والتخلص منها ولا يأتون بها الا مضطرين •

فكلمة الأبل ينطقونها هكذا أَلْبِلْ •
فهم يظهرون الهمزة الاولى ويحذفون الثانية هذا اذا نطقوا بالكلمة مفردة اما اذا اضافوا اليها كلمة اخرى فالهمزة الاولى تصبح همزة وصل والثانية تحذف كأن يقولوا ••• « راعي أَلْبِلْ » و « بين أَلْيَابِ » •• النخ •

كما في قول الشاعر محمد العبد الله القاضي :

هَلَيْتَ وَإِسْتَرَيْتَ بِوَصَالٍ مَحْبُوبِ
بِتِنَّا نَعِلَ الشَّهْدِ مَا بَيْنَ أَلْيَابِ

وكقول العليمي (١) :-

(١) العليمي شاعر عُمان • من قدامى شعراء البدو عاش في القرن العاشر الهجري •

خَوَاضُ جَمْعِ الْعِدَا فِي كُلِّ هَيْزَعَةٍ
خَرَسًا يُجَاوِلُ فُرْسَانَ الْبَطَالِ

وقول لآخر (١) :-

الْبَارِحَةَ يَوْمَ الْمَلَأَ نَائِمِينَا
كَشَرَتْ عَلَيَّ مِنْ التَّفَاكِيرِ الذِّكْرَ

واحسرتي مالي صديح يعينا
الا انت يلخلاق علام الاسرار

فهم يريدون الأنياب ، الأبطال ، الأذكار ، الأسرار .

ويميلون كذلك الى حذفها من أواخر الكلمات كما في سماء ، ماء ،

علياء ، مريء ، سوء . . . الخ فيقولون : سما ، ما ، عليا ، مري ،

سو . . . الخ يقول عبدالله بن سبيل (٢) :-

علمي بهم باقٍ مِنْ السَّبْعِ ثِنْتَيْنِ
قَدَمَ الشِّتَاءِ وَالْقَيْضِ زَلٍ مَحْسُوبِهِ

يريد الشتاء ، ويقول تركي بن حميد :-

كَمْ خَيْرٍ يَجْلِي الصِّدَا عَضَهُ الْبَلِي
تَضْحَكُ لَهُ الدُّنْيَا وَتَخْفِي رِطِينَهَا

يريد الصداً ، ويقول القاضي :-

(١) وهو أحد أمراء آل سعود والبيت من قصيدة قالها اثناء وفوده على الكويت في عهد الشيخ جابر العبدالله الصباح المعروف بجابر العيش عام ١٢٥٠ هـ .

(٢) من الشعراء المتأخرين توفي عام ١٣٥٧ هـ عن عمر يناهز الثمانين وهو من قبيلة باهله كان أميراً لقرية « نفي » في عالية نجد .

ولا يدرك العلياً صحيح ولو صطا
الا اذا أرخص الحال والمال

يريد العلياء ، وقول عامر السمين :

وِنْتَ بَدْرٍ فِي سَمَا الْاَفِقِ طَالِعِ
لَهَا حَمَى حَجَبٍ عَن دَجَى السُّوْجَالِي

جزيل العطا ازكى قریش مناسب
وَوَرَّثَهُمُ لِلرُّسُلِ وَالصَّحْبِ وَالْآلِ

يريد العطاء والسماء والسوء ♦

أما اذا كانت الكلمة مهموزة الاول فهم يلفظونها كما هي الا اذا
سبقتها حرف عطف فتحذف حيثذ ♦ يقول الامام فيصل بن تركي بن
عبدالله السعود :

وَنَا أَحْمَدَ اللَّيِّ بِالْعُقُوبَةِ لَهُمِ عَاقِ
وَنَزَلَ لَهُمْ بِأَسُهُ سَرِيعٍ لَهُمِ زَيْرِ

وقول الامام تركي بن عبدالله السعود :

وَنَا أَحْمَدِ اللَّيِّ جَابُ لِي مَا تَجْرًا
وَذَهَبُ غَبَارِ الذُّلِّ عَنِّي وَطَارِي

وقول البديوي :

وِنِ جِغْتِكَ الْاَدَارُ اَوْ مَالِ الْاَزْمَانِ
لَا تَعِيشِ بِنَادِرٍ ذَلِ اَوْ هَوَانِ

يريدون : وأنا ، وأذهب ، وانزل ، وإن

ونراهم في مواطن أخرى يبدلون الهمزة « ياء » وأكثر ما يكون ذلك عندما تقع الهمزة بعد الالف الساكنة وتكون حركة الهمزة الكسرة مثال ذلك قول الشاعر :

حِنَّا هَلَّ الْحَرْبُ لِي مَنَّا نِينَا
وَالْحِرَايِبِ نُوَلَّعَهَا وَنُطْفِئُهَا
وقول الآخر :

يوم جتنا الركائب قمت اهلي
قمت اهلي يوم جتنا الركائب
وقول العوني :

مَا عَادَ بِالرَّاضَةِ سُدَادٌ مَلْزُومٌ
وَالْعِزْمُ بِهِ بَتَعَ الْحَوَائِجُ وَالْأَشْكَالُ
وقول محسن الهزاني :

قَلَايِصُ يَامَا حِضْنُ بِالْغَنَائِمِ
حَدَبُ الظُّهُورِ مَذَكِرَاتِ عِلَاقِيمِ
وقوله أيضا :

أَنَا الَّذِي مِنْ حَرِّ فَرْقَاكَ فَرَيْتُ
نَابِجٍ كَالْبَهْلُولِ فِي وَسْطِ الْأَسْوَاقِ

وقول سعود بن عثمان بن نحيط :

رَاضٍ بِرَدِّ الْعَيْشِ عَنْ طَائِلِ الْعِلَا
دَائِمٌ ذَلِيلٌ لِلْمَعَادِي امْصَاعِ

والاصل في كل ذلك ان يقال : الحرائب والر كائب والحوائج والغنائم
ونائح وطائل ودائم •

أما اذا كانت الهمزة ساكنة وما قبلها متحرك قلبت الهمزة الى صوت
لين من جنس حركه ما قبلها • فان كانت حركه ما قبلها الفتح قلبت
« الفاء » مثال ذلك :

قول بن لعبون :

قم لا رعى الله بَارِدَ الْجَاشِ بَايِدُ
عمره مَضَى مَا بَيْنَ ذَلِ وَتَسْكِيدِ

وقول محمد آل على العرفيج :

يَسْتَقِينُ كَاسٍ فِيهِ مِثْلُ الْبَرْدِصِينِ
كَالْجَوْهَرِ الصَّافِي عَلَى رَسِيمٍ شَاهَا

وقول الآخر :

لا مَشَى بِالْمَرْجَلِهِ وَيَالْعِيَالِ
ولا رَقَى قَدَامَهُمْ رَأْسَ الطَّوِيلِهِ

وقول الشاعر :

رِجَايَةٌ بِالْعَمْرَلَنِّ فَاتٌ حُدِّي
وَأَلَا بَأْسٌ مَا قَالُوا عَن وَضْحَةٍ بِلَوْصَافِ

والاصل فيها ان يقال : جَاشٌ ، وَكَأْسٌ ، وَرَأْسٌ ، وَبَأْسٌ

أما اذا كانت حركه ما قبلها الكسر. فأنهم يبدلونها « ياء » مثال
ذلك قول العزري :

يَا الزِيرِ يَا الزَحَّارَ يَا النَّمْرَ يَا الذِّبَّ
يَا اللَّيْثَ يَا اللَّيْثُوثَ يَا السَّبْعَ يَا الدَّابَّ

وقول الآخر :

يَا نَمِرَ وَيُنِ اللَّيِّ حُفْرَ بَيْرٍ غَدِّي
من يومِ ابنِ زَقِيطٍ عَالِبَابٍ وَقَافٍ

وقول العوني :

والى جيتِ سوقِ العَصْرِ يَاتِكِ غَلِمَه
تَخْشَعُ بَرَبَاتِ الْبَرِّ يَسْمُ نَعَالَهَا
يريدون بذلك ، الذئب والبئر وجئت •

ويقلّبونها الى واو اذا كانت حركه ما قبلها الضم مثال ذلك قول
البدوي :

خُذْ نَصَائِحَ مَا حَوَاهَا بُو نَوَاسٍ
مِثْلُ نَظْمِ الدُّرِّ وَاللُّوْلُو الْاَصِيلِ

أما اذا كانت الهمزة متحركة وما قبلها متحرك فيقلّبونها عموما الى
حرف مد يتناسب والحركة الاقوى فان كانت مفتوحة وما قبلها ضم قلبت
الى واو كقولهم لا تؤاخذني • يريدون لا تؤاخذني •

وقول البدوي :

خُذْ نَصَائِحَ مَا حَوَاهَا بُو نَوَاسٍ

.....

واذا كانت الهمزة مفتوحة وما قبلها مكسور قلبت الى ياء مثال ذلك
قول ابن ربيعة :

بِئْسَ لَهُمْ وَرَدَ الرِّيَاسَةَ بِتُصْدِيرِ
حَلَوِينَ عُلُقْمٌ لِلَّذِي بِهِ مَرَارَهُ

• يريد الرئاسه •

أما اذا كانت الهمزة متحركة وقبلها واو ساكنة مسبوقة بضم قلبت الهمزة الى واو وادغمت بالواو الاصلية فتتطق الكلمة حينئذٍ بواو مشدده كما في قول البديوي :

حَيْثُ هَمَّ أَهْلَ الْمَرْوَةِ وَالنَّسَبِ
وَأَتْرَكَ الْأَسْفَلَ مَا مِنْهُمْ حَصِيلٌ

وأما اذا كانت الهمزة متحركة وقبلها ياء ساكنة مسبوقة بكسر قلبت الهمزة الى ياء وادغمت بالياء الاصلية وتنطق الكلمة حينئذٍ بياء مشدده كما في قول محمد صالح القاضي :

سَامِحٌ يَسَامِحٌ لَكَ كَثِيرَ الْخَطِيَّاتِ
لَا تَكْتَرِبُ تَطْمَعٌ بِقَلْبِي ثِبَاتِ

ونراهم يقلبون همزه أين الى واو وكذلك همزة أن - من الاين - وهمزة أكد وهمزة الارث فيقولون على التوالي : وين : ون ، وكند ، ورت •

يقول ابن الرشيد :

وَيْنَ الطَّنَايَا وَيْنَ شَرَّابَةَ الْهَيْلِ
وَيْنَ الْحَيُودِ اللَّيِّ تَشِيلِ الثَّقَايِلِ

ويقول ابن عنگه :

وَنَيْتِ وَأَنَا مِنْ غَفِيلِهِ
وَنَّةَ عَجُوزٍ وَقَقَّتْ بِالْمَتَارِيسِ

ويقول العاصي :

يا صغرة ربتها ، من عكب اخو شاما فساد
بوه الحميدي والدويش واعضيب خال امه وكاد

قوله وكاد أي اكيد •

وقد وردت جميع هذه الحالات تقريبا من تخفيف الهمزة وحذفها
وابدالها في لغة العرب ، فتخفيف الهمزة والتخلص منها موجود في اللهجات
العربية القديمة فقريش كانت تذهب هذا المذهب حيث ان قواعد رسم
المصحف تدل على ان مكة قد تحررت من تحقيق الهمز^(١) •

قال ابو زيد : اهل الحجاز وهذيل ومكة والمدينة لا ينبرون : وقف
عليها عيسى بن عمر فقال ما آخذ من قول تميم الا بالنبر وهم اصحاب النبر
واهل الحجاز اذا اضطروا نبروا • قال وقال ابو عمر الهذلي قد توضحيت
فلم يهمز وحولها ياء وكذلك ما أشبه ذلك من باب الهمز^(٢) •

وقد تحدث ابن سيده عما همزه بعض العرب وترك همزه بعضهم^(٣)
وذكر ايضا ما يقال بالهمز مره وبالواو أخرى^(٤) • ويذكر لنا ابن جني
ابدالهم الهمز على غير قياس^(٥) • وتحدث ابو عبيده عن بعض ما تركت

(١) العربية دراسات - يوهان فك ص ٤

(٢) لسان العرب ج ٢٢ ص ٢٢

(٣) « قالوا : عطاءه وعظايه ، وصلاه وصلايه ، وعباءه وعبايه ،
وسقاءه وسقايه ، وامرأة رثاء ورثايه » • (المخصص ج ٤ ص ١١) •

(٤) نحو اكدت العهد ووكدته ، وارخت الكتاب وورخته وأسن

الرجل ووسن : اذا غشي عليه من نتن ريح البئر (المخصص ج ٤ ص ١٢) •

(٥) فأما الابدال على غير قياس فقولهم : قرئت ، واخطيت ، وتوضيت

(الخصائص ج ٣ ص ١٥٢) •

العرب همزة واصله الهمز^(١) ♦

وقد ورد ذلك في اشعارهم أيضا جاء في شواهد الالفية قول الشاعر^(٢)

بأن ذا الكلب عمرا خيرهم حسبا

بطن شريان يعوي حوله الذيب

فهي قد أبدلت الهمزة ياء ونحو ذلك قول ابن هرمة^(٣) ♦

ليت السباع لنا كانت مجاوره

واننا لا نرى ممن نرى احدا

ان السباع لتهدنا عن فرائسها

والناس ليس بهادٍ شرهم ابدا

وقول عبدالرحمن بن حسان^(٤) :

وكنت اذل من وتد بقاع

يشجج رأسه بالفهر واجي

يريد واجيء ، كما أزداد الاول ليس بهادى ♦ ومما ورد فيه حذفها

إذا كانت متطرفة قول اعشى همدان^(٥) :

(١) « قال : تركت العرب الهمز في اربعة اشياء لكثرة الاستعمال :

في الخابية وهي من خبأت والبريه وهي من برأ الله الخلق ، والنبي وهو

من النبأ ، والذرية وهي من ذرأ الله الخلق » • المزهر ج ٢ ص ٢٥٢

وقارن بالخصائص ج ٣ ص ١٥٣ وبالجمهره لابن دريد •

(٢) البيت لحنوب اخت عمرو ذي الكلب ، شرح ابن عقيل ج ١

ص ١٠٤ •

(٣) الخصائص ج ٣ ص ١٥٢

(٤) الخصائص ج ٣ ص ١٥٢ ، وانظر شرح شواهد الشافية ٣٤١ ،

الكتاب ١٧٠/٢

(٥) شرح ابن عقيل ، ج ١ ص ٤٧٩

يمرون بالدهننا خفافاً عيا بهم
ويرجعن من دارين بجر الحقائب

وقول الشاعر^(١) :

تقاذفه الرواد حتى رموابه
ورا طرق الشام البلاد الاقاصيا

أراد الاول : الدهناء ، واراد الثاني : وراء طرق الشام • ومن ذلك
قول ابي النجم^(٢) :

قد حيرته جن سلمى وأجا

اراد وأجاً فخفف واما قوله :

مثل خنازيد أجا وصخره

فانه ابدل الهمزة قلبها حرف عله •

قال ابو العباس : والناس كلهم يقولون اذا كانت الهمزة طرفاً وقبلها
ساكن حذفوها في الخفض والرفع واثبتوها في النصب^(٣) •

بقيت ظاهرة أخيرة من ظواهر ابدال الهمزة عند بعض بدونا المعاصرين
وهي ابدالهم الهمزة « عينا » كما في قولهم قرعان ، ومسعله ، وقراعه ،
وسعال يريدون بها : القرآن ، ومسأله ، وقراءه ، وسؤال • وهذا الابدال
قديم فهو لغة قيس وتميم واسد يقولون « عَن » ويريدون « أن » ويقولون :
اشهد عنك رسول الله • وفي حديث قيله : تحسب عني نائمه اي تحسب
أنني نائمه^(٤) • ومن ذلك قول ذي الرمة :

(١) الخصائص ج ٣ ص ١٥٣

(٢) لسان العرب ج ١ مادة أجا ص ٢٤

(٣) لسان العرب ج ١ ص ١٨

(٤) اللسان مادة « عنن » : ج ١٣ ص ٢٩٤ طبعة بيروت •

أعن توهمت من خرّقاء منزلة
ماء الصبايه من عينك مسجوم^(١)

وقبول جران العود :

فما ابن حتى قلن ياليت عننا
تراب وعنّ الارض بالناس تخسف^(٢)

ومن ذلك ما جاء في شواهد اللسان :

فلا تلهك الدنيا عن الدين واعتمل
لآخره لا بد عن ستيرها^(٣)

ومنه قول ابن هرمة :

أعن تغت على ساق مطوّقه
ورقاء تدعو هديلا فوق اعواد^(٤)

وهم يدعون ذلك بـ « العننه » وقد اختلف فيها ، فصاحب اللسان يحدد وقوعها على همزة أن المفتوحة فقط حيث يقول : تميم وقيس واسد ومن جاورهم يجعلون ألف أن اذا كانت مفتوحة عينا^(٥) . أما السيوطي فلا يشترط الفتح ولا يحددها بهمزة ان وانما يعمم ذلك فيقول :

ومن ذلك « العننه » وهي في كثير من العرب ، في لغة قيس وتميم

(١) اللسان مادة عنن ، ديوانه ص ٥٦٧ ، والخصائص ج ٢/١١

والصاحبي ص ٥٣

(٢) اللسان ماجدة « عنن » ح ١٣ ص ٢٩٤ طبعة بيروت .

(٣) اللسان مادة « عنن » .

(٤) مجالس ثعلب ص ١٠١ والخصائص ج ٢ ص ١١ وانظر

الخزانة أيضا .

(٥) اللسان مادة « عنن » .

تجعل الهمزة المدوّء بها عيناً • فيقولون في أنك عنك ، وفي أسلم عسلم ،
وفي أذن عذن (١) •

وقد ورد ابدال الهمزة عيناً في غير العنقه ومن ذلك قولهم : أدبته
على كذا ، واعديته : اي قويته واعتته • وكنا اللبن وكشع وهي الكشاة
والكثعه ، وهي ان يعلو دسمه وخنورته على رأسه في الاثناء وموت ذؤاف
وذعاف ، والتمى لونه والتمع ، والساف والسعف وهو شعر الذئب ،
والاسن وبعضهم يقول العسن وهو قديد الشحم (٢) •

والابدال عند بدونا كثير ولا يقتصر على الهمزة فقط بل يتعداها الى
الحروف فمنهم من يبدل « الفين » « قافاً » فيقولون : صمق ، قزال ، قرب
قناء ، رقد • ويريدون به على التوالي : صمغ ، غزال ، غرب ، غناء ، رغد
ويبدلون « القاف » « غيناً » فيقولون : شرخ ، غرد ، رغم ، الفرعان ،
سغف ويريدون به : شرق ، قرد ، رقم ، القران ، سقفت •

ويبدلون احيانا « السين » « صاداً » فيقولون : صخا ، صطر ، صلخ
ويريدون : سخاء ، سطر ، سلخ • مثال ذلك قول القاضي :

جنتي سهوم الموت يوم وقفت لي
قلبي غدا مسماراً وخذوده الماص

يريد : الماس • وقول المعوني :

عرق الصخا ، بحر الندى ، رهق العدا
لا اشتبت الهيجا تعرفه جمالها

يريد : السخاء • وقوله ايضاً :

(١) المزهر ح ١ ص ٢٢٢

(٢) المزهر ح ١ ص ٤٦٢

تَسْهَابٌ صَطْوَتَكُمْ وَيُرْجَى نَوَالِكُمْ
وَصُدِّدَ كُمْ دَائِمٌ يَحْسِبُ خَطُورَهَا

يريد : سطوتكم • وقول راشد الخلاوي :

قوي وسَاعِ الصَّمْطِ فِي كُلِّ مَسْفَبَةٍ

تعدادا بها نسل القيام الولايد

يريد : السمط جمع سماط •

وبعضهم يدل « القاف » « جيماً » فيقولون : جاعد ، ثجيل جديد ،
عجيد ، ويريدون : قاعد ، ثقيل ، قديم ، عقيد ، ومنه قول ابن تعبون :

دارٍ بها معنا جديم العوايد

رَفَعَ الْوَضِيعَ وَضَعَهَا لِلصَّنَائِدِ

يريد : قديم ، ومنه قول ابن الرشيد :

اي بالله عيبٍ وَمِنْ جَدِيمٍ لَنَا عَيْبٌ

مِستَارٌ ثِينُهُ عَنِ جَدُودِي عَمَامِي (١)

ويريد : قديم ايضا ، ومنه قول راشد الخلاوي :

على ما فجئنا حالي وما شقَّ مُهْجَتِي

وما هَجَّ بِابِ الْجَيْلِ مِنِّي وَهَاجَ بِهِ

وقوله ايضا :

وَهُوَ عَجِيدُ الرِّكْبِ لَوْلَاهُ مَا غَزَا

وَلَا نَسَّقُوا بِكُوَارِهِنَّ الْجَوَاعِيدُ

(١) ويروى البيت روايه ثانية هي :-

قلت ان هذا من جديم لنا عيب

مستارثينه من خوالي وعمامي

يريد : بالجبل القيل ، وهو قول الشعر ، وعجيد : اي عقيد وهو
الذي يقود جمعهم الى الحرب •

ومنهم من يبدل « الجيم » « ياء » فيقولون : ريبال ، وييه ، شيره
ديايه ويريدون بها على التوالي : رجال ، وجه ، شجره ، دججاه •
وقد ورد ذلك في لهجات العرب يقول ابن سيده : يار لفه في جار كما قالوا
الصهاريج والصهاري ، وصهريج وصهري لغة تميم وكما قالوا شيره
لشجره وحقروه فقالوا شيره ، قال الرياشي : قال : أبو زيد كنا يوما عند
المفضل وعنده اعراب فقلت انهم يقولون شيره فقالوها فقلت لهم كيف
تحقرونها فقالوا شيره^(١) •

ويحدثنا ابو الطيب عبدالواحد بن علي اللغوي الحلبي ان ابا حاتم
السجستاني قال : قلت لام الهيثم هل تبدل العرب من « الجيم » « ياء »
في شيء من الكلام ؟ فقالت نعم • ثم انشدتني :

اذا لم يكن فيكن ظل ولا جنى

فأبعدكن الله من شيرات^(٢)

ومنهم من يبدل « عين » اعطى « نوناً » فيقولون : انطى وينطي
وانطينك ويريدون بها : اعطى ، ويعطي ، واعطينك ، وهي لهجة عربية
فالانطاء : الاعطاء بلغة اليمن^(٣) وهذه اللهجة تعرف بالاستنطاء وقد قرأ
« انا انطينك الكوثر » وهي قراءة مرويه عن الرسول (ص) ومن كلامه (ص)
اليد العليا المنطيه واليد السفلى المنطاة^(٤) •

(١) المخصص ج ١٤ ص ٣٤

(٢) كتاب الابدال ج ١ ص ٢٦١

(٣) اما السيوطي فيقول : الاستنطاء في لغة سعد بن بكر وهذيل

والازدوقيس والانصار • المزهر ج ١ ص ٢٢٢ •

(٤) لسان العرب • وانظر البحر المحيط ص ٥١٩

هذا الابدال الذي لاحظناه عند بدونا ليس جديدا وانما هو قديم
فالرجوع الى كتب اللغة ومعاجمها سنجد الكثير منه وهذه الكثرة دفعت
علماءنا اقدمى الى ان يفردوا لها ابواباً واسعة في كتبهم بل ويؤلفوا كتباً
خاصة بها^(١) .

على ان بعض علماء اللغة رفضوا ان يعتبروا ذلك ابدالاً وانما اعتبروه
لغات مختلفة لمعانٍ متفقه ، قال ابو الطيب :

ليس المراد بالابدال ان العرب تتعمد تعويض حرف من حرف ،
وانما هي لغات مختلفة لمعانٍ متفقه ، تتقارب اللفظان في لغتين لمعنى واحد ،
حتى لا يختلفا الا في حرف واحد .

قال : والدليل على ذلك ان قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طورا مهموزة
وطورا غير مهموزة ولا باصدا مره وبالسین أخرى ، وكذلك ابدال لام
التعريف ميماً ، والهمزة المصدرية عيناً ، كقولهم في نحو « أن » « عن » ،
لا تشترك العرب في شيء من ذلك انما يقول هذا قوم وذاك آخرون^(٢) .
ومن هذا الباب (أعنى الابدال) لاحظنا انهم يبدلون الحرف الثاني
« ياء » في الافعال المضاعفة فيقولون : شديت ، وحليت ، ونطيت ويريدون :
شددت ، وحللت ، ونططت .

يقول الشاعر :

نَطَيْتَ أَنَا رَجْمًا مَا بَيْنَ بَقْعًا وَعَطَّاشٍ
بَيْنَ النَّفْوَذِ وَبَيْنَ سَلْمَى وَحَايِلِ

(١) انظر كتاب الابدال لابن الطيب عبدالواحد بن علي اللغوي
الحلبي وهو في جزأين وكتاب القلب والابدال لابن السكيت وقد نشره
المستشرق هفتر في الكنز اللغوي (بيروت) أضف الى ذلك الفصول المعقودة
في الخصائص لابن جنى والمزهر للسيوطي ٠٠٠ الخ وما يذكره اصحاب
المعاجم عند شرحهم الكلمة باختها مخرجا ومن أراد التوسع فيما كتب عن
ذلك فلينظر مقدمة كتاب الابدال لمحققه العلامة التوحي والمزهر للسيوطي .

(٢) المزهر ح ١ ص ٤٦٠

يقول ابن عقالج :

فَالِي بُغَيْتَ اجْنِي الزَّهْرَ وَالْوَرْدَ
حَرَكَتٌ بِالْفَاضِي لِفُصْنِكَ وَهَزَيْتَ

يريد : هزرت

من عِنْدِ بَابِ مُورَدِ الخَدِينِ مَرَّيْتِ
وَنَارِي الحَيْبِ شَافِنِي حِينَ مَرَّيْتِ

يريد : مرت

وهذه الظاهرة ليست جديدة ايضاً فقد وردت في كلام اسلافنا ، يقول ابن سيده : كل فعل مضاعف ، كحسّ وذنّ وتظنّ يجوز أن يبدلوا من أحد الحرفين المضاعفين ياءً ، فيقال من حسست ومددت وظننت : حسيت ومديت وظنيت (١) .

وليس ما في هذه القاعدة بمطرد عند سيويه فقد قال مفسراً لهذه القاعدة ما يلي : هذا باب ما شذ فابدل مكان اللام ياءً لكرهية التضعيف وليس بمطرد ، وذلك في قولك تسريت وتظنيت وتقصيت من تسرر وتظنن وتقصص ♦♦♦♦ وهذا كله شاذ لانا لا نقول في تحب تحبي ولا في تحسس عحسي (٢) .

اما اللهجة العامة في نطق القاف والتي تسود غالبية القبائل البدوية وحتى المستوطنة والريفية نهي نطقها كالجيم المصرية وهذا النطق قديم فبنو تميم يلحقون « القاف » باللهة حتى تغلظ جيداً ، فيقولون « الكيِّوم » فتكون بين الكاف والقاف قال الشاعر :

(١) المخصص ح ١٣ ص ٢٨٢

(٢) الكتاب ح ٢ ص ٤٠١

ولا اقول لكدر القوم كد نصحت
ولا اقول لباب الدار مكفول^(١)

وقد ذهب بن خلدون الى انها لغة مضر الاولين حيث يقول : « فانهم لا ينطقون بها من مخرج القاف عند اهل الامصار ، كما هو مذكور في كتب العربية بل يجيئون بها متوسطة بين القاف والكاف . وهي موجودة للمجمل اجمع حيث كانوا من غرب او شرق حتى صار ذلك علامه عليهم من بين الامم^(٢) » ثم يقول : « وهذه اللغة لم يتدعها هذا الجيل ، بل هي متوارثة فيهم متعاقبة ويظهر من ذلك انها لغة مضر الاولين ولعلها لغة النبي صلى الله عليه وسلم بعينها ، ادعى ذلك فقهاء اهل البيت وزعموا : من قرأ في ام القرآن اهدنا الصراط المستقيم بغير القاف التي لهذا الجيل - (يقصد القاف التي نحن بصددها) - فقد احن ، وافسد صلاته^(٣) . »

فابن خلدون يرى انها لغة مضر الاولين ولغة الرسول ايضا وهذا يدل على أن غالبية العرب كانت تنطقها كذلك وانها كانت السائدة في نطقهم أما القاف المعروفة والمتعارف على انها الصحيحة فيبدو انها كانت من مظاهر اللغة النموذجية^(٤) التي جرت على السنة الخاصة منهم قبل الاسلام وسادت بعد الاسلام لتزول القرآن بها .

(١) الصحابي ص ٤٥ ولسان العرب ، وجاءت رواية اللسان للبيت مخالفة بعض الشيء لرواية الصحابي . والبيت في اللسان منسوب لابي الاسود السؤلي ، وهذه رواية اللسان :
ولا اقول لكدر الكوم كدغليت

ولا اقول لباب الدار مغلوگ

(٢،٣) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٥
(٤) راجع اللهجات للدكتور ابراهيم انيس ص ٣٤ وفقه اللغة للدكتور صبحي الصالح ص ٥٠٥ حيث يذهب الى ان الخاصة من العرب في الجاهلية كانت لديهم لغة نموذجية أو مثالية مضطمة .

اما « الكاف » فينطقونها بين « التاء » و « الشين » اي « CH » بالانكليزية وهذا على ما اعتقد بقية مما كانوا يسمونه « بالكشكشه » ، وهي لغة لربيعة^(١) ، فهم يجعلون الشين مكان الكاف وذلك في المونث خاصة فيقولون : عlish ومنش وبش ، وينشدون :

فعايش عيناها وجيدش جيدها

ولكن عظم الساق منش دقيق^(٢)

وانشد ايضا :

تضحك مني أن راتني احترش

ولو حرشت لكشفت عن حرش^(٣)

يريد : عن حرك

وقرأ بعضهم : « قد جعل ريش تحتش سريا » لقوله تعالى : « قد جعل ربك تحتك سريا »^(٤) .

ومنهم من يزيد الشين بعد الكاف فيقول : عليكش ، وبكش ، واليكش ومنكش وذلك في الوقف خاصة فاذا وصلوا حذفوا ، ومنهم من يجري

(١) في الصحاح انها لغة لبني أسد ، وكذلك في الصحابي لابن فارس اما في فقه اللغة للثعالبي فهي لبني تميم ، وفي المزهري لربيعة ومضر ، والذي ذكرناه اخذناه عن اللسان ماله كشش .

(٢) هكذا ورد البيت في اللسان ، أما رواية الصحابي فهي كالأتي :-
فعايش عيناها وجيدش جيدها

ولونيش الا انها غير عاطل

(٣) هكذا ورد البيت في اللسان ، وقد ورد البيت في كتاب الحيوان

ج ٦ ص ١١١ باختلاف بسيط ورواية الحيوان كالأتي :-

تسخر مني أن رأنتني احترش

ولو حرشت لكشفت عن حرش

(٤) فقه اللغة للثعالبي ص ١٠٩

الوصل مجرى الوقف فيبدل فيه أيضا^(١) •

الوصل مجرى الوقف فيبدل فيه أيضا^(٥) •

قال ابن سيده :

قال بن جنبي وقرأت على ابي بكر محمد بن الحسن عن ابي العباس

أحمد بن يحيى لبعضهم :^(٢)

عني فيما ابتغي ابيضش

بيضاء ترزيني ولا ترزيش

وتطبي ود بني ايشش

اذا دنوت جعلت تنيشش

وإن نأيت جعلت تدنيشش

وان تكلمت حثت في فيشش

حتى تنقي كنيق الديشش^(٣)

ابدل من كاف المؤنث شيئاً في كل ذلك ، وشبه كاف الديك لكسرتها

• بكاف المؤنث

وقد توسع البدو في اخضاع الكافات لنطقهم ولم يقتصروا على كاف

المؤنث فقط بل تعدوه الى غالبية الكافات وهذا اتوسع مرجعه على ما اعتقد

امتزاج الكشكشه بالشنشنة وتداخلها في كلامهم ، والشنشنة في لغة اليمن

(١) لسان العرب ما كشش ، المزهر ج ١ ص ٢٢١ ، الخصائص

ج ٢ ص ١١ ، الصاحبي ج ٥٣

(٢) لسان العرب •

(٣) وردت هذه الابيات في مجالس ثعلب ج ١ ص ١٤١ مطابقة

لرواية اللسان الا أن روايه الخزانه تختلف بعض الاختلاف عن روايتي

المجالس واللسان ففي الخزانه « انعيش » بدلا من « ابيضش » وكذلك

بالنسبة للشطرين الرابع والخامس فقد وردا كما يلي :

اذا دنوت جعلت تدنيشش وان نأيت جعلت تنيشش

تجعل الكاف شيئاً مطلقاً كليش اللهم ليش^(١) وقد جاء هذا الامتزاج ،
بين اللهجتين ، نتيجة اختلاط القبائل ، واتصالها بعضها ، وعن طريق
المجاورة في المواطن . فتلاقت اللهجتان وتمازجت فكان ما نراه الآن عند
البدو من توسع في اخضاع غالبية الكافات لنطقهم .

ويبدو لي ان اصحاب الكشكشه والشنشنة ، لم يكونوا في نطقهم
للشين المبذله عن الكاف ، يتوخون مخرجها الصحيح . وانما كانوا
ينطقونها بين التاء والشين « CH » ، كما يفعل بدونا المعاصرون ، بدليل
الحرف الذي يحدثنا عنه ابن فارس وهو الحرف الذي بين الشين
والجيم والياء^(٢) . وهذا الحرف في مخرجه مطابق في النطق « CH »
اي انه نفس ما ينطقه البدو اليوم . ومما يرجح رأينا في أن هذا الحرف
كانوا ينطقون به الشين المبذله عن الكاف ، ان ابن فارس لم ينسب هذا
الحرف الى قبيله ، ولم يجعله لهجه لاي من العرب ، تضاف الى اللهجات
الاخرى . وفي المثال الذي ذكره لهذا الحرف تأكيد لما ذهبنا اليه . يقول:
يقولون في المذكر غلامج وفي المؤنث غلامش^(٣) ولا أرى في هذا المثال
الا صوره للكشكشه والشنشنة التي حدثونا عنها .

وقبل ان انتقل الى جانب آخر اود أن اذكر انهم تركوا بعضا من
الكافات دون ابدال ككاف المذكر وغيره حيث ما زالوا ينطقونها كما هي .
ومما يدخل في هذا الباب الابدال الذي يقع على « قاف » الفعل
« قَتَلَ » وتصريفاته ، وفيه لغتان :

الاولى : وهي ابدالهم « القاف » « كafa » فيقولون : كَنَل ، يَكْتَلُ
والمصدر كَتَلَ وَكَتِلَ . وقد ورد ما يشبه ذلك في لغة العرب كقولهم

(١) المزهر ج ١ ص ٢٢٢

(٢) الصاحبى ص ٥٤

(٣) المصدر السابق

قَرَبَان و كَرَبَان ، قارب ان ، و كرب أن (١) .

واثنية : وهي ان يبدلوه حرفا بين التاء والشين كالذي لاحظناه في نطقهم للكاف فكأنهم ابدلوا القاف كافا ثم ابدلوا الكاف الى هذا الحرف الذي ذكرناه فيقولون : **چَتَل** ، **يِچَتِيل** والمصدر **چَتَل وچَتِيل** والعتان متساويتان تقريبا في الاستعمال عند البدو .

ومما لاحظناه أيضا تفخيمهم اللام بعد الصاد ، والضاد ، والطاء ، والطاء (٢) ، بصورة مطردة تقريبا ، وتفخيمه كذلك ، في بعض الكلمات دون ان يكون مسبوقا بأي من الحروف السابقة . كقولهم : **خَل** ، و**نِگَل** ، و**ينگل** ، و**انگل** أي : **نَقَلَ** ، **ينقل** ، **انقل** ، و**خَمَل** أي : **أَي** : **خَمَل** وهو هذب القטיפه (٣) و**صَخَل** أي : **سَخَل** (٤) ، و**نَخَل** . . . الى لير ذلك .

وكسرهم اوائل الافعال المضارعة بصورة مطرده تقريبا ، يقولون : **نِركض** ، **نِمشي** ، **نِستعين** ، **تِفعل** ، **تِشرب** ، **تِعلم** . وهذه الظاهرة ليست وفقا عليهم . وانما هي في غالبية لهجاتنا العامية كما وانها ليست جديدة ، ولا ناتجة عن الفساد الذي اصاب اللغة بل على العكس فهي قديمة ، وقد اطلق عليها علماء اللغة - اصطلاحا - **انتلتله** ونسبوا أخرى

(١) الخصائص ج ٢ ص ٨٦

(٢) وبذلك جاءت رواية ورش في قراءة نافع .

(٣) جاء في اللسان ، والخمل مجزوم : هذب القטיפه ونحوها مما ينسج وتفضل له فضول كخمل الطنفسه .

(٤) جاء في اللسان عماده « والسنحله ولد الشاة من المعز والضأن ذكرا كان أو انثى آه » غير ان البدو الآن يطلقونها على ولد الماعز فقط ويذكرون ويؤنثون فيقولون : **صخل** ، و**صخله** .

(٥) لسان العرب مادة تلل . والمزهر ج ١ ص ٢١١ . والخصائص

ج ٢ ص ١١

من كتبهم حتى شملت الجميع عدا قريش واسد^(١) فابن سيده يؤكد بأن ذلك معروف في لغة جميع العرب الا أهل الحجاز^(٢) ويذهب ابن منظور هذا المذهب حيث يقول : وتقول انت تتقي الله وتنتقي الله على لغة من قال تَعَلَّم وتَعَلَّمَ ، وتَعَلَّم بالكسر : لغة قيس وتميم واسد وربيعه وعامة العرب ، وأما أهل الحجاز وقوم من اعجاز هوازن وازد السراة وبعض هذيل فيقولون تَعَلَّم والقرآن عليها ، قال : وزعم الاخضس ان كل من ورد علينا من الاعراب لم يقل الا تَعَلَّمَ ، بالكسر^(٣) .

الا ان بدونا المعاصرون لم يكتفوا بكسر أوائل الحروف في الأفعال المضارعة فقط بل تعدوها الى بعض الأفعال الماضية وكسروا أوائل حروفها فقالوا : مَشَى ، وَرَكَّضَ ، وَضَرَبَ ، وَذَبَحَ ، وَنَبَحَ ، وَشَرَبَ . . . وغير ذلك .

ويقولون في لعلك ، لعنك وهي لغة مسموعة عن العرب فهم يقولون الانك ورنك ولعنك ، وهذه الأخيرة لبني تميم^(٤) .

ويقولون : بَعِير ، وَشَعِير ، وَسَعِيد ، وَرَعِيد ، وَرَغِيف ، وَفَهِيم وَنَعِيم ، وَسَلِيم ، بَكْسَر أوائلها والمعروف ان الأصل فيها الفتح . وهذه الظاهرة أيضا قديمة يقول ابن جنبي : « ومن ذلك تقريب الصوت مع حروف الحلق ، نحو شَعِير ، وَبَعِير ، وَرَغِيف . وسمعت الشجري غير

(١) المزهر ح ١ ص ٢٥٥ . الصاحبى ص ٤٨ وعنده عدا قيس وأسد . وفي القراءات الشاذة ص ٨ (ايك نعبد) بكسر النون . وقد علق عليها العكبري بقوله « لغة فاشيه في العرب يكسرون حرف المضارعة » . صورة شمسية لمخطوطة الكتاب بالمجمع العلمي بدمشق رقم ٥٩ . « تعليق العكبري اخذته عن كتاب فقه اللغة للدكتور صبحي الصالح » .

(٢) انظر المخصص ج ١٤ ص ٢١٦ وما بعدها .

(٣) لسان العرب مادة وقى .

(٤) لسان العرب مادة عنن .

مرة يقول زهير الاسد يريد الزهير ، وحكى ابو زيد عنهم : الجنة لمن
خاف وعيد الله « (١) » .

وإذا تركنا الابدال وما اليه جانباً وجدنا ان هنالك عوامل اخرى
خضعت لها لغتهم كالقلب والحذف والنحت .

والقلب في اللغة عبارة عن تقديم او تأخير احد حروف اللفظ الواحد
مع حفظ معناه او تغييره تغييراً طفيفاً وهو أقل وقوعاً من الابدال ومن
امثله عند البدو قولهم ، سجد ويقصدون جسد ، وجواز ويقصدون
زواج ، وجضيع في ضجيع ، ومجضع في مضجع ، وحنأ في نحن وقد وقع
في هذه الاخرة حذف وقلب ، وصاقعه وصواقع في صاعقه وصواعق^(٢)
ودحق في حدق ، وأجر في رِجل . وقد ورد ذلك في اشعارهم يقول
ابن لعبون :

حَنَّا هَلَّ الوَادِي وَحَنَّا الْمَنَاعِيرَ
وَحَنَّا وَدِينًا جَارَنَا عَنِ جِدَارِهِ

ويقول فيصل بن تركي :

حَنَّا حَمِينَا نَجْدٌ مِنْ كُلِّ فُسَّاقٍ
مِنْ حُمُرٍ مَصْرٍ وَالْوَجُوهِ الْمَنَاكِرِ

ويقول مشعان بن هذال :

حَنَّا شَبَابَةَ الْحَرْبِ وَإِنْ شَبَّتْ النَّارُ
وَتَفَازَعَتْ بَيْنَ الْجُمُوعِ الْمَشَاهِيرِ

(١) الخصائص ج ٢ ص ١٤٣ .

(٢) يقول ابن فارس (الصاحبي ص ٤٩) : ومنه الاختلاف في التقديم
والتأخير نحو صاعقه وصاقعه . ويقول المبرد في (الكامل ج ٢/ ١٩٨) :
تقول العرب صاعقه وصواعق وهو مذهب اهل المجاز وبه نزل القرآن وبنو
تميم صاقعه وصواعق .

ويقول نمر بن عدوان :

جابت غريرين ثم جابت غريرين
ولاكنهم يعقَابُ طبوا سجدَها

ويقول راشد الخلاوي :

يقوم بها عن مجضع الليل منتون
ذبحه اسمان عن لقاح الجلاعيد

ويقول ابو حمزة العامري :

نعم الجضيع الى ما ذيب احجره
صب الجليلد وغطا الذيل الاذيال

ويقول الشاعر :

باعيون الخشف يارقبة الغزال
جيزة الفايين عليك من الفشييه
كم ردي جوزة كثر الحلال
ورثة الجدين جابت له حليله

ويريدون بها على التوالي : نحن ، جسد ، مضجع ، ضجيع ، زيجه ،

زوجه .

وهذا الذي رأيناه كثير في لغة العرب يقول بن فارس « ومن سنن العرب القلب وذلك يكون في الكلمة وفي القصة . كقولهم جذب وجذب ، وبكل ولبك ، وهو كثير قد صنفه علماء اللغة »^(١) ومنه قولهم اضمحل الشيء وامضحل وشفنت اليه شفنا وشفنت شفنا - نظرت^(٢) وانشد :

(١) الصاحبي ص ٢٠٢ ، المزهر ح ١ ص ٤٧٦ وما يليها .

(٢) المخصص ح ١٤ ص ٢٧

وقربوا كل صهميم مناكبه
إذا تداكأ منه دفعه شنفنا

وقولهم بتلت الشيء وبلته - قطعته وانشد :

وان تخاطبك تبلت (١)

ومنه اهذب في مشيته وأهبد وعلى هذا قالوا مهابذ ، قال ابو خراش :

يبادر جناح الليل فهو مهابذ

يحث الجناح بالتبسط والقبض (٢)

وقولهم ضمراز وضمارز وهو الصلب الشديد الغليظ • قال الراجز :

وشعب كل باجح ضمراز (٣)

اما الحذف ، فهو كثير في لهجات البدو المعاصرين ، حيث خضعت له أكثر الالفاظ سواء في ذلك الاسماء ، والأفعال ، والضمائر ، والحروف • والمراد بالحذف هنا ما أطلق عليه ابن فارس اسم « القبض (٤) » وهو النقصان من عدد الحروف ، في غير مواضع الترخيم والاستعانة التي يقع الحذف فيها عادة ، على آخر الاسم المنادي • اما هنا ، فيقع على أول الكلمة ، كما يقع على آخرها ، ويقع على أي كلمة ، اسما كانت او فعلا منادي او غير منادي • فمن ذلك :

(١) المخصص ح ١٤ ص ٢٧ ، وقد ورد البيت تاما في اللسان

والصحيح منسوبا الى الشنفرى كالآتي :

كأن لها في الارض نسيا تقصه

على امها ، وان تحدثك تبلت

(٢) المخصص ح ١٤ ص ٢٨

(٣) المزهر ج ١ ص ٤٧٨ • وقد روي : سنحب كل ناجح ضمراز •

وروي ايضا : وشعب كل بازل ضمراز

وصدر البيت هو : ترد شعب الجمع الجوامز •

(٤) الصاحبى ص ٢٢٨

تضل منه ابلي بالهوجل

في لجة امسك فلانا عن فل (١)

اي فلان ، ومنه قول لبيد :

درس المنا بمتالع فأبان

فتقادت بالحبس فالسويان (٢)

وقد ذكر شاعر آخر « المنا » يريد « المنايا » :

ولبس العجاجة والخافقات

تريك المنا برؤس الاسل (٣)

ومنه :

بسم الذي في كل سورة سِمْه (٤)

أراد اسمه • ومنه قول ذي الاصبع العدواني :

لاه بن عمك لا أفضلت في حسب

عني ولا أنت ديّاني فتخزوني (٥)

(١) اللسان ، فلن • وهو من شواهد سيبويه (ج ١/٣٣٣ ،
ح ١٢٢/٢) •

(٢) ديوان لبيد ص ٦١ ، الخصائص ٤٣٧/٢ ، الصاحبى ٢٢٨ ،
شرح ابن عقيل •

(٣) الكامل ح ١ ص ٢٤٥

(٤) النوادر لابي زيد ص ١٦٦ ، الانصاف ص ٦ ، الكشف
للزمخشري ح ٤/١ ، اللسان مادة سما • وقائله رجل من كلب وقد نسبه
بعضهم الى رؤبه •

(٥) المفضليات ص ١٦٠ ، الخصائص ح ٢/٢٨٨

أراد لله ابن عمك •

للحقيقة ان شواهد كثيرة ، وردت في كتب التراث ، تبرز هذه الظاهرة مما أربك النحاة ، وجعلهم في حيرة لا يدرون كيف يعللونها فهي ليست من الترخيم الذي ضبطوا قواعده ، ولا هي من الامور التي تأتي في مواضع معينة ثابتة تمكنهم من ضبطها بقاعده كما فعلوا في غيرها • فمنهم من أرجع بعضها الى قطعة طيء التي كانت تميل الى قطع اللفظ قبل تمامه ، وابن جنى يرجع قسما منها الى باب « زيادة الحرف عوضا من آخر محذوف »^(١) ويرجع قسما آخر الى التحريف الذي يقع في الاسم والفعل والحرف^(٢) • أما ابن فارس فلم يجهد نفسه في التعليل وايجاد المبررات بل اكتفى بالقول : ان ذلك من سنن العرب^(٣) •

والراجح لدينا ان ذلك أمر راجع الى طبيعة النطق عند البدو عامة حيث انهم يميلون الى السرعة في النطق وهذا يضطرهم الى تلمس أيسر السبل فيدغمون الاصوات بعضها في بعض ويسقطون منها ما يمكن الاستغناء عنه دون اخلال بفهم السامع^(٤) وهذا أمر فرضته عليهم طبيعة البدايه والحياة التي يحيونها • وبهذا يمكننا أن نفسر قولهم « خير الكلام ما قل ودل » وميلهم الى الايجاز ونفرتهم من الاطناب حتى عدوه من العيوب التي لا تليق بالفصيح •

ومما يدعم رأينا هذا ، ما نراه عند بدونا المعاصرين من سرعة في النطق ، سرعة تدفعهم الى قطع اللفظ وقبض لحروف الكلمة ومن أمثلة ذلك الفعل « ابتغى » فهم يقولون : « أبي » في المضارع و « بغيت » في

(١) الخصائص ج ٢ ص ٢٨٥ وما بعدها •

(٢) الخصائص ح ٢ ص ٤٣٦ وما بعدها •

(٣) الصحابي ص ٢٢٨

(٤) ذهبنا هنا الى ما ذهب اليه الدكتور ابراهيم انيس في كتابه

« في اللهجات العربية » ص ١٢٠ •

الماضي • يقول الشاعر خلف الضاحي :

تركت رُكْبَ الدَّوَجِ هَوَّ الزَّغِيرِي
أَبِي ادْوَرِّ لِي مِّنَ الْهَجِينِ عِرْمَاسِ

وقد مرَّ بنا أن قسما منهم يبدلون « عين » اعطني « نونا » • الا ان القسم الآخر منهم يحذف الحرف الاول من اعطني فيقولون : عطني ، عطيتك ، عطيته ويريدون بها : اعطني ، اعطيتك ، اعطيته • يقول الشاعر :

تخيّل ، تميل يعويد الخيزران

عطيته رضيته يمين الله جانبي

أما الاسماء الموصولة : الذي ، التي ، اللذين ، الذين ، فقد أختصرت جميعها وعبروا عنها بقولهم : « اللي » • يقول ماجد الحشربي :

اللي كساني الثوب الاسودّ ونا شوف
خلّه يقعّ في سهرّ عيني ونا نام

يريد : الذي كساني ، وقول ابن الرشيد :

يا هل الديرة اللي طاب مناها

عمروا سورها واحموا تواليها

يريد : التي طاب مناها ، وقول مشعان بن هذال :

أفاقته وّاللي حدّانّا لهم جار
وحنّا عليهم نحمي الجار وّنجير

يريد : الذين يحاذوننا •

الا انهم احيانا قليلة جدا يلفظون الذي كما هي • من ذلك قول
محسن الهزاني :

وان كان عمال البرايا يشحون
فأنا الذي ما مرة عنك شحيت

فان كان في الغدّ المقاييس يوضون
فأنت الذي نورك يقدر هل البيت

ويحذفون اللام والالف من « على » اذا وليها ساكن فيقولون :
عالباب ، عالخيل ، عالفرس • ويريدون : على الباب ، وعلى الخيل ، وعلى
الفرس^(١) يقول ابن ناعم :

قبل الجزيره ، يوم نجد سكرنا
وامواتنا تطارد بها عالفراس

يريد : على الافراس •
أما اذا جاء بعدها متحرك فينطقونها كما هي • يقول الشاعر :
حلفت لو أعطى الحسام خراجه
على بيان الحضير ما يصكون

والبعض - وهم اهل القصيم - يحذفون ياء المتكلم ويكتفون بنون
الوقاية فيقولون عطون ، وقتلون ويريدون : أعطوني وقتلوني يقول
محمد العبد الله القاضي :

مالي بحالي عقب ما شفت مطلوب
وانعون يا من لي شفيق وحباب
يريد : وانعوني • وقوله ايضا :

وبقيت مشفوف هيل وخلون
مثل الطريح اللي تدالت له الاسباب

(١) نسب الى قبيلة بلحارث انها كانت تذهب هذا المذهب (في

اللهجات العربية ص ١٢٤) •

يريد : وخلوني •

وتحذف الهمزة وياء المتكلم من كلمة « أبي » في حالة النداء ويستعاض عنها « بهاء » ليست في الواقع « هاء » وإنما هي امتداد التنفس بما قبل الياء المحذوفة من صوت لين قصير (الفتحة) فيقولون « يابه » فيخيل للسامع انها « هاء » وان ابدالاً قد وقع • وقد سمع ذلك عن بعض العرب • « قال أبو زيد : سمعت أعرابياً يقول : يا أب أقبل ، وياب أقبل ، ويابه أقبل »^(٢) وعند اضافة هذه الكلمة الى غير ياء المتكلم يقولون « يا بَلْخَلَا » بحذف الهمزة الاولى والالف المتأخره ومنه قول اشاعر :

يا بَلْخَلَا ذرِّبْ جِوابك

يا شينٍ ما حِنَّا عييد

ومما يشابه ذلك قول رؤبه :

وأنت يا بامسلم وفتيا^(٣)

هذا اذا كانت الكلمة المضاف اليها تبدأ بالالف واللام أما فيما عدا ذلك فان كلمة اب ينطقونها « أبو » في جميع الحالات الاعرابية فيقولون « ابوك » ، ورأيت « ابوك » ، ومررت « بابوك » وكذلك في حالة النداء فيقولون « يابو فلان » وذلك بحذف الهمزة الاولى مثال ذلك قول راكان ابن حنلين :

يا بو هلا طير الهوى خبثَ البَال

طَبَعُهُ حَيْثُ والجباري جليله

ويبدو انهم انما ذهبوا هذا المذهب في « أب وأخ أيضا ، بقاء على الاصل لان الاصل في أب : أبو بالتحريك فالناقص منه واو لانك تقول

(٢ ، ٣) اللسان ح ١ ص ٢٠ - ٢١ •

في التثنية أبوان^(١) •

والنحت كثر عندهم أيضا يدفعهم الى ذلك محاولة الاختصار في
النطق للاقتصاد في الوقت والجهد، فنراهم ينحتون من كلمتين او أكثر
كلمة واحدة • مثال ذلك قولهم :

هسه - ويريدون هذه الساعة

هالحين - ويريدون هذا الحين

وشو - ويريدون وأي شي هو

ايش - ويريدون اي شيء

يقول الشاعر جري الجنوبي :

أناجيك° او ماجيك° ويشر تقول° لي

أو انت على ما قد نويت بخيل

ويقول ابن جعيثين :

أسلا بذكراهم عن انهم ساعه

عساهم لحاجاتي على هدهرعون

ويقول نمر بن عدوان :

زاير° هلّه يعقَاب° في ساعة غياب

هالحين يلفي والمحبه تزيد

ومما لاحظناه ايضا عدم استعمالهم صيغة المبني للمجهول في الافعال
المضارعة والماضية ، وانما يأتون به على وزن « انفعل » دائما • وهو يعني
عندهم الانتقال من حالة الى أخرى فيقولون :

(١) اللسان مادة أبي •

انْقَتَلَ ، يَنْقَتِلُ فِي قَتِيلٍ ، يُقْتَلُ
انشرب ، ينشرب في شرب ، يشرب
انهزم ، ينهزم في هزم ، يهزم

اما الفعل الاجوف مثل ، باع ، وقال ، وقام ، ونام والذي تقضي
القاعدة الصرفية بحذف عينه في فعل الامر ، فان قسما منهم لا يعترف بذلك
فيقولون في الاعم الاغلب ، قوم ، وقول ، وبيع ، ونام • بدلا من قم ،
وبع ، ونم ، وقل ، مثال ذلك قول بديوي الوقداني :

لا تعمرِ الدارَ والْقَالَاتِ تِخْرِبُهَا
بيعِ الرِّدِي بالخساره واشترِ الغالي
وقوله ايضا :

صون عرضك عن ملاقاته السفيه
واترك الكذبان سودان الوجيه

وهم لا يستعملون « اذا » مطلقا ، ويستعيضون عنها بـ « الى » و « الي »
بالالف المقصوره أو بالياء • ومنهم من يحذف الالف فيكتفي بـ « لي »
وينطقونها « Lai » ومنهم من يثبت الالف بعد الياء فينطقونها « ليا » وقد
وردت جميعها في اشعارهم ، يقول راكان بن حثلين :

وَكُنْهُ اِلَى مِثْهِ زَوَاهَا الْجِفَالِ
قرناس اهوى من رفيع المواكير
ويقول محسن الهزاني :

ولي كان عمال البرايا يشحون
فانا الذي ما مرة عنك شحيت

ويقول العوني :

الله على قلبٍ ليا هو دَّ اللّيل
عليه غِدَنّ الدِّقايقُ جلايل

وكذلك نجدهم يستعيضون عن « لكن » بكلمة « مار » وبعضهم
ينطقها « مير » يقول محمد بن سعود الملقب بـ « غزالان » :

وانتو شيوخٍ من جديم الزمان
مارٍ انكصمّ مغراكتها والسدّ كنّ

ويقول ناصر العريني :

من شوقني غِرِّو على شوقه اشفيت
انا مُصِدِّ ، مير الاقدار ميالات

ويبدو أن من نطق « مار » « مير » والى « « الي ولي » انما
ينحو في ذلك الى الاماله وهي كما نعلم لغة عامة اهل نجد من تميم وقيس
واسد . فاذا عرفنا ان من ينطق هذه الكلمات مماله انما هم اهل العارض ،
وضحت امامنا اسباب هذا النطق لان معظم سكان نجد يدعون انهم من
تميم^(١) . وكذلك قبائل عنزه فهي تذهب هذا المذهب في النطق ، فاذا
علمنا ان عنزه واسد كانتا متحدتين ومتجاورتين كل التجاور في شرقي
وادي الرمه^(٢) رجح لدينا أن عنزه اخذت ذلك عن اسد .

ويستعملون كلمة « ترى » بمعنى ان واعلم وهي كثيرة الورد في
شعرهم يقول صقّار :

ترى الخوي والضيّف والثالث الجار
مثل الصلاه ما بين فرضٍ وسنّه

-
- (١) دائرة المعارف الاسلامية مادة بلاد العرب
(٢) دائرة المعارف الاسلامية مادة بلاد العرب

ويقول العوني :

ترى مركب الاخطار هُوَ مصعد العلي
ولا يدرك العليا غيورٍ شكي لها
وقوله وتروى لابن الرشيد :

غلبا ترى بلدانكم ليست النيل
تنخي الرجال ومكرمين الاصيل

وترد في اشعارهم كلمة « لاشك » على غير معناها اللغوي وانما معناها عندهم « لكن » يقول العوني :

الايام هي الايام ما زاد عددها
سنيها هذي وهذي شهرها
لاشك غيركم هماليح مبغض
وذل حشا لباتكم في صدورها

يريد لكن غيركم ، والهماليح بمعنى الوسوسة .
وتأتي باشعارهم وعلى ألسنتهم كلمة (ياما) بمعنيين . الاول : بمعنى
ما التعجب كقول مشعان بن هذال :

يا ما حلا وقت الضحى طق شوباش
وقامت تنازاً بالمناكير جلعود

والثاني : بمعنى كم مرة . كقول أبو نهيه :

يا ما سفكنا فيك من ساخن الدما
ويا ما وطنيا بالمداس صريع

ويا ما انجلا عن روسنا فيك غبوه
لكنها غيم السحاب نقيع

٢ - معانيه :-

اما معانيه فهي مستمدة من بيئته التي نشأ فيها وهي نفس البيئة التي نشأ فيها الشعر الجاهلي • لذلك فاتنا نشاهد لهذه البيئة أثرها الواضح في المعاني المطروقة فهي تحاكي معاني الجاهليين فالصحراء برمالها وفدافدها ووحشتها والابل والخيل والحروب والكرم والبسالة والماء والكلاء والمطر والبرق والسيول واضحة في هذا الشعر الذي استمد معانيه منها وأخذ تصويراته وتشابيهه من بيئته التي تحيط به فما زالت المرأة كالريم والعيون كعيون الظباء والابتسامة والاسنان كالبرق ورائحة المرأة كالخزامى وساق الجمل أو الجواد كساق النعامه الى غير ذلك من التشبيهات المستمدة من البادية •

فالمعاني هي هي معاني الجاهلية فلا ابتكار ولا تجديد وانما تكرار لتلك المعاني التي عهدناها في شعرنا الجاهلي • وهي محدودة وبسيطة كبساطتهم •

٣ - الخصائص الاخرى :

ومن الخصائص الاخرى التي لاحظناها في هذا الشعر هي ملازمته للغناء اذ انه من النادر ان يقرأ بدون غناء ومصاحبة للرباب وانبدو يطربون للرباب كثيرا فتستولى على مشاعرهم ويهتزون للشعر الذي يعني طربا • والالحان التي يؤدي بها هذا الشعر الحان ثابتة معروفة لدى الجميع لا تتغير ولا تتجدد^(١) •

وهناك ميزة اخرى لهذا الشعر وهي مرافقة القصة له • فمن النادر جدا ان تجد قصيدة بدوية الا ولها مناسبة معينة قيلت فيها • وقد تطول هذه المناسبة حتى تصبح قصة طويلة يروونها في مجالسهم واسمارهم

(١) يذكر ابن خلدون في حديثه عن هذا الشعر ان البدو في زمانه « كانوا يلحنون فيه الحاننا بسيطة لا على طريقة الصناعة الموسيقية ثم يغنون به ، ويسمون هذا الغناء بالخوراني نسبة الى حوران من اطراف العراق والشام » • تاريخ ابن خلدون ج ١ ص ١٠٩ •

وقد تتخلل القصة الواحدة عدة قصائد لتعدد المناسبات فيها والمنشد عادة يروي القصة ومن ثم ينشد القصيدة وكثيرا ما يكون الشعر شرحا لحوادث بعض هذه القصص •

والبدو يحبون هذا النوع من القصص المطرز بالشعر • ينصتون اليه وينسجمون مع حوادثه ومن اشهر قصص البادية قصة نمر بن عدوان وهو من امراء قبيلة عدوان في الاردن وله شعر رائع في زوجته وضحا وهناك قصص اخرى عن فرسان وامراء البادية وايامها •

والشاعر او الراوي قبل ان يذكر لك القصيدة لابد له من ان يروي لك قصتها ومن ثم يبدأ براوية القصيدة •

ومن الخصائص التي لاحظناها ايضا صدق عواطفه • والبدوي بطبعه صادق لا يعرف الرياء ولا الكذب • فحياتهم القائمة على اصدق وصفاء يشتمهم ، امدتهم بصفاء ونقاء اثرا في انفسهم وطبعها بهذا الطابع • فبساطة هذا الشعر وسداجته احيانا دليل على صدقه وعلى ان الشاعر انما يعبر عما يحس بدون تكلف وبأمانة واخلاص • فهو ان احب فالى الابد وان مدح فلأنه اكرم وان هجا فلأنه اهين • وهم حتى في هجائهم ذووا نفوس ابية تمنعهم من الانحدار الى البذاءة والفحش في القول • ولا يهجون لمجرد الهجاء مطلقا ولا يلصقون بالمهجو صفة غير التي هي فيه • كل ذلك من وحي حياتهم واحساساتهم فالعاطفة هي التي تملئ في الغالب على الشاعر البدوي خلجات قلبه وتأثره بما يرى وبما يسمع •

الفصل الثاني

القصيدة وخصائصها

ما زالت القصيدة البدوية في خصائصها وبنائها في الغالب مشابهة للقصيدة العربية الجاهلية في بنائها وخصائصها • فأصورة التي جاءت بها القصيدة الجاهلية من ابتداء بالغزل أو وقوف على الاطلاع ثم الانتقال الى وصف الابل والصحراء والمقارن المخيفة التي اجتازتها فالانتقال الى الغرض الاصلي ، من مدح أو فخر أو غيره ، ما زالت واضحة كل الوضوح في غالبية القصائد البدوية المعاصرة •

يقول الدكتور طه حسين : والقصيدة العربية الشعبية الآن كالقصيدة

العربية القديمة تبدأ بالغزل البسيط المؤثر ثم تنتقل الى وصف الابل وتطيل في ذلك ثم تصل الى غرضها^(١) •

ونحن نتفق وهذا الذي ذهب اليه الدكتور طه حسين لان ذلك واضح

كل الوضوح فيما بين ايدينا من شعر بدوي •

يقول محمد العيد الله القاضي :

يَا مَالِ قَلْبِ حَنْ عَقْبِ الْوَلَّافِ
مَا هُوبٌ مِنْ فَرَقَا الْمُحْبِينَ صَبَّارِ

جَرَحِ بَلَاجِي مَحْمَلِ الرُّوحِ خَافِي
وَهَجَرَ فِجَرَ قَلْبِي وَبِهِ مَا صَارِ

وَضَيْقِ غَمِيقِ بِالْحِشَالِهِ مَهَافِي
وَيْلِ طَوِيلِ جَاشِ بِالْجَاشِ كَانَارِ

(١) الحياة الادبية في جزيرة العرب - ص ٢٤ •

مما جرى جفني عن النوم عاف
قد حارت أفكاري وضاعن الأفكار

خشف دواي ودأي بشفاه شافي
ومن الأشافي سأل ما كاس عصار

ويمضي هكذا في تغزله ووصف حبيته وما يلاقيه من وجد وانين
وحين ولهفه ثم ينتقل الى الخطوة الثانية وهي اركاب الركب ووصف هذه
الابل ، والمفاوز التي تقطعها :

هذا ويا من فوق حمرا عساف
تدني ريا زيم الفيافي والقفار

وكنه اذا ما طال جذب الفيافي
تقدي مع البيدا كما يوم بحار

والا ظليم حين بالعين شاف
ومن الونس قفا مع الدو مند ار

ما فوقه غير الكور طفح الظلاف
وخرج ومعلوق على الكور وعدار

ويستمر هكذا في وصف هذه الابل السريعة وقطعها للمسافات البعيدة
الى ان يصل الى غايته :

ملفك ابو زيد حجا من يخاف
مطفي لظا الهيجا الى مدخن نار

هو ريف اهل هجن تلافن تلاف
مستقي العدا سم الاعي والمرار

ويستمر في مدحه وتعداد صفات الممدوح ثم يسأله ما يريد ♦
وقد تبدأ القصيدة بالوقوف على الاطلاع والبكاء عليها ووصفها وتذكر
الايام الخوالي ، يقول عبدالعزيز المحمد القاضي :

عَفَّارَ سِمِّ سَلْمَى وَأَصْبَحَ النَّزْلَ مَنَزَّاحَ
وَلَعِبْتَ بَدَارِ سِرِّ سِمِّهَا هُوجَ الْارْيَاحِ

وكفوله :

سَلَامٌ عَلَى مَا بَانَ مِنْ طَلَلٍ بِالسِّي
وَرَسْمٍ بَرَبَعِ الدَّارِ بَعْدَ الْأَنْسِ خَالِي

ومثال ذلك قول ابي حمزة العامري (١) :-

حَيَّ الْمَنَازِلَ مِنْ قَادَاتِ الْأَطْلَالِي
مِنْ حَيْثُ مَا يَنْقَادُ سَيْلِ الْمَا إِلَى سَالِي
سَيْلِ الْبَرَاعِيمِ يَوْمَ الدَّارِ جَامِعِهِ
إِلَى خَلَّتْ عَنْهَا وَشَاةَ السُّوِّ غَفَّالِي

إِيَّامَ أَنَا أَمْشِي بِعَجَّاتِ الصَّبَا فَرِحَ
وَأَسَاحِبُ مِنْ ثِيَابِ الْغَيِّ الذِّيَالِي

وقول عامر السمين (٢) :

لَمَنْ طَلَلِ بَيْنَ الْخَمَائِلِ وَالْخَالِي
خَلَا وَخَوَا وَاخْتَلَا مَنَزِلُهُ الْخَالِي

(١) وهو من قدامى شعراء البدو عاش في أواخر القرن التاسع
الهجري وأوائل القرن العاشر .

(٢) من معاصري بركات الشريف . الفارس والشاعر واحد اشرف
مكة وهو من شعراء القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين .

دِرْيَسٍ مُنِيَسٍ لَا وَنِيَسٍ بَرَّ بَعُهَا
خَلَّتْ مَا سِوَى السَّرْحَانِ وَ التَّرِيلِ وَ التَّرَالِ

عِفَّتْ مِنْ كَثْرٍ وَ دَقَّ السَّحَابِ وَ السَّفَا
إِلَى اسْجَعَتْ فِي سَفْحَهَا الرِّيعُ ذِيَالِي

انها نفس افتتاحيات القصائد الجاهلية نفس الروح ونفس التعابير *
وقد يفتتحونها بالشكوى والابتن * وما يلاقه قلب الشاعر وذكر صروف
الدهر وتقلبات الايام *

يقول العوني :

اللَّهُ عَلَيَّ قَلْبٌ لِيَا هَوْدَ اللَّيْلِ
عَلَيْهِ غَدَنٌ الدَّقَائِقُ ثِقَائِلُ

اغراضُ بِي كَثْرَ الْقُرَى وَ التَّعَالِيلِ
تَذْكَارٌ وَ ذِكَارٌ وَ قِيلٌ وَ قَائِلُ

العينُ كَنَّ بِمَوْقَهَا يُوَلِّجُ المَيْلُ
هَائِضٌ عَلَيْهَا مِنَ اللَّيَالِي غَلَائِلُ (١)

عَلَى عِيَالٍ عَمِّي سَنَادِي غَنِّ المَيْلِ

اقفوا كما مزن ثِقِيلِ المِخَائِلِ

ثم ينتقل الى الركب ووصف الابل ويتدرج هكذا الى اخير القصيدة *
وقد تبدأ القصيدة بذكر الله والدعاء والتوسل اليه او بذكر النبي (ص)
كقول الشاعرة دكيس :

(١) وروي البيت كما يلي :

العينُ كَنَّ بِمَوْقَهَا يَدْرُجُ المَيْلُ عِيَّتْ تَطِيقُ النُّومَ مِنْ فُورِ جَائِلِ

يا الله يا عايدٍ على كل ديرة
يارب يا منشي مزن مصاد ير
يا الله عني ما تكره النفس خيره
يا والي الدنيا عليك التداير

وكقول عبدالله بن سبيل :

يا الله يا عالم خفيات الاسرار
يا عالم ما يطرق المود ماني
تفك حبل اللتي من العام بوسار
وتمحي مودة صاحب كندراني

وكقوله ايضا :

بديت بذكر الله بكل ما طرا
مجبب الدعامعطي العطايا الحيز ايل

وفي احيان كثيرة تبدأ القصيدة بمخاطبة راكب الناقه الذي يحمل
عاده رسالة الشاعر الى حبيته او ممدوحه فتبدأ عادة بقولهم (يا راكبا)
أو (راكب اللى ♦♦♦♦) أو (يا نديمي) ♦

يقول راكان ابن حثلين :

يا راكب حر تدرّب سنامه
ني على ني جديد وما العام

ولمحسن الهزاني قوله :

قم يا نديمي فوق حر هجينا
ممشاه يوم للهجا هيج عشرين

وقول ابن رشيد :

يا نِدِيمِي عَلَيَّ مَنْ شَامَخَ نَابَهُ
نَازَحَ الدَّارَ مِرَّ وَاحَهُ يُقَرَّبُهَا

وقول الآخر :

رَاكِبِ الحَمْرَةِ لَهَا الكُورُ شِدِّي
قَمُّ يَا وَلِيْفِي وَاعْتَلِي فُوقَ هِيَّافِ

ومن ثم ينتقل الشاعر الى وصف هذه الابل ومجاهل الطريق ثم ينتقل الى الغرض الذي يريده وهم في انتقالهم من الغزل الى وصف الابل الى المدح او الفخر يتوخون ان يكون تخلصهم حسنا فيهيئون ذهن السامع للانتقال معهم الى الغرض الثاني الا انهم كثيرا ما ينتقلون فجأة وبدون مقدمة فترى الشاعر يصف الابل ومجاهل الطريق وسرعة هذه الابل واذا به فجأة ينتقل بقوله (من بعد ذا) او (وخلاف ذا) او (هذا و . . .) وهي تتكرر بكثرة في اشعارهم وهي مشابهة الى حد بعيد لبعض انتقالات شعرائنا الجاهلين مثال ذلك انتقال زهير بن ابي سلمى من معنى سابق الى مدح هرم بن سنان حيث يقول :

دع ذا وعد القول في هـرم

خير البداة وسيد الحضـر

ومنه ايضا قول لبيد :

لا سماء اذ لم تفتنا ديارها

ولم نخش من اسبابها ان تجدما

فدع ذا وبلغ قومنا ان لقيتهم

وهل يخطئن اللوم من كان الوما

ف « دع ذا » هي نفسها « وخلاف ذا » فالمعنى واحد • يقول راكان بن حثلين :

وَخِلَافٌ ذَا يَا رَاكِبٍ فَوْقَ هَيْأَفٍ
بِتَيْلٍ سَاجٍ وَمُقْتَفِيهِ الْوَلَامِي

بعد قوله :

عَسَىٰ لَهُمُ بَأْيَاتٌ مِّنْ حَجٍّ وَطَافٍ
عِزٍّ لِّحَاضِرِهِمْ وَلِلْحَيِّ دَامِي

اما خاتمة القصيدة فعلى الاكثر تكون نهاية عادية تماما كما تنتهى القصائد العربية الا انهم قد يختمونها احيانا بالصلاة على النبي (ص) او بالدعاء الى الله يقول عبدالله بن ربيعه :

وَصَلَاةٌ رَبِّي عَدَّ مَا زَايَلٍ زَالَ
عَلَىٰ نَبِيٍّ خَصَّنَا بِالرِّسَالَةِ

وكقول محسن الهزاني :

خَتِمٌ هَذَا الْقَيْلُ وَالْمَكْتُوبُ قِلْتُ
مَرَّجَا مَنُ غَرَّقَ بِرَاقٍ بِمَاهِ

ثم صلى الله على خير الانام
ما حدا الحادي وما رجَّع غنائه

وكقوله ايضا :

وَصَلَاةٌ مِّنْ يَحْيَىٰ رَمِيمِ الْعَظَائِمِ
عَلَىٰ الَّذِي شَرَفَ بِقَدْرِهِ بِتَعْظِيمِ

وكقول محمد عبدالله القاضي :

ختم القوافي في صلاة لمنسوب
• اشرف نبي بين الحق بكتاب

هذا الذي ذكرناه هو الغالب في بناء القصيدة من حيث الابتداء والتدرج من غرض الى غرض والانتهاء منها •

الا ان هناك قصائد لا تلتزم شيئا مما ذكرناه ، غير انا ذهبنا في تحديدها هذا على ما وجدناه في الغالبية العظمى من شعرهم اما الباقي نلقلته لا يقاس عليه •

ونخلص من كل هذا الى القول بان القصيدة البدوية تسير القصيدة العربية الجاهلية في أكثر نواحيها فهي تكاد تكون صورة من القصيدة العربية في سابق عهدها •

وقبل ان انهي الحديث عن القصيدة وبنائها أرى من المفيد أن اشير الى أن الطريقة التي يذكرها ابن خلدون^(١) في ابتدائهم للقصيدة باسم الشعراء البدو امثال راشد الخلاوي وابي حمزة العامري والشريف جري والشريف بركات وعرعر بن دجين ••• وغيرهم مثال ذلك قول راشد الخلاوي^(٢) :-

يقول الخلاوي البذي ما يكود

جديد السن من غاليات القصايد

وقوله :

يقول الخلاوي حاضر الراي صايبه

مصاب الحشا مادها بادها مصايبه

(١) تاريخ ابن خلدون ج ١ ص ١١٢٥ •

(٢) وهو من شعراء القرن التاسع الهجري يعد من أقدم شعراء البدو فقدت أكثر أشعاره ولم يبق الا القليل مما يرويه البدو • وقد كان ملما بالنجوم وهبوب الرياح ومواسم الامطار • وقيل انه صليبي نسبة الى قبائل صليب •

وقوله :

يقول الخلاوي والخللاوي راشد
لِلنَّاسِ مِيلَانِ وَأَنَا لِي لِسَانِيَه
وقول الشريف جري (١) :-

يَقُولُ جَرِيٌّ وَأَشْرَفِ الْيَوْمَ مَرَقَبٌ
طَوِيلَ الدَّرَا لِلرَّيْحِ فِيهِ زَلِيلُ
وقول الشريف بركات :-

قَالَ بَرُكَاتِ الْحُسَيْنِيِّ وَالَّذِي لَهُ
جُودٌ مَا تَدَنَا لِلْمَيْعَةِ
وقول عرعر بن دجين :

يَقُولُ الْعَرِيرِيُّ الَّذِي بَاتَ مَالَهُ
هُوَ غَيْرُ طَلَبِ الطَّيْلَاتِ هُوَاهُ
وقول ارشيدان (٢) :

يَقُولُ ارشيدان التميمي مَثَائِلُ
تَرَاهِنٌ لِأَخْيَارِ الرِّجَالِ اثْيَابُ

(١) وهو من شعراء القرن الحادي عشر الهجري .

(٢) هو ارشيدان بن غشام التميمي من آل بو سعيد بطن من تميم

عاش في أواسط القرن الحادي عشر الهجري .

الفصل الثالث

الاوزان والقوافي

الاوزان :

ان الدراس لهذا الشعر يجد صعوبة جمّة في حصره باوزان محددة خاضعة لتفعيلات معينة يمكن للدارس ان يحدد على ضوءها عدد البحور التي ينظم فيها هذا الشعر ، وان يتمكن عن طريق اتقان هذه التفاعيل ان يلم بأوزانه •

لقد حاولت جاهدا ان احصر اوزان هذا الشعر فلم اصل الى نتيجة وكان نصيبي كنصيب ابن سناء الملك الذي حاول ان يقيم للموشحات عروضاً « يكون دفترا لحسابها وميزانا لاوتارها واسبابها فعز عليه ذلك لخروجها عن الحصر »^(١) ولان هذا القسم من الموشحات لا مدخل لشيء منه في شيء من اوزان العرب • وهذا القسم هو الكثير والجم الغفير والعهد الذي لا ينضب^(٢) •

ولقد حاول قبلي الاستاذ عبدالله بن خميس ولكنه فشل على الرغم من طول باعه وعلمه الوافر بالشعر البدوي ، يقول : عمدت الى مجموعة واحدة لاحد الشعراء البدو وهو ابن جعيثين وهو من المكثرين وممن يتلاعبون باوزان هذا الشعر ويتقنون في ضروبه فوصلت الى ما يقارب العشرين وزنا ولما اقارب نهاية الديوان فكيف بجميع الديوان ثم كيف بجميع شعرهم قديما وحديثا^(٣) •

(١) دار الطراز ص ٣٥ •

(٢) نفسه •

(٣) الادب الشعبي في جزيرة العرب ص ٦٠ •

الا انا رغم فشلنا في ايجاد بحور معينة له قد لاحظنا ان الوزن في هذا الشعر خاضع لمقاطع صوتية كما هي الحال في اوزان الشعر العربي لذا نراه قد جاء على اوزان لا يحصرها عد كما في الزجل حتى قيل ان صاحب الف وزن ليس بزجال •

وهذه المقاطع الصوتية يختلف عددها بين قصيدة واخرى ، ولما لم يكن هناك ضابط او عدد متعارف عليه لهذه المقاطع الصوتية في كل وزن وانما الشاعر حر في اختيار العدد الذي يخضع له قصيدته لذا تعددت الاوزان وكثرت حتى لم يعد في الامكان حصرها او تحديدها •

وقد ذهب السيد أحمد حسن الخطيب الى ان النغمة هي الضابط الاول والاخير للوزن • وان هناك أنغاما معروفة هي كالثالب للشعر يصاغ هذا الشعر ويصب ضمن اطارها • فالوزن يتبع النغمة وكل نغمة تختلف عن الاخرى بطريقة غنائها ، تماما كما هي الحال في الحاننا الشعبية اذ عندما يريد الشاعر ان ينظم زجلا لكي يعني على لحن من تلك الالحن يرصف الكلام الذي ينطبق على ذلك اللحن^(١) •

الا أننا لا نتفق مع الاستاذ فيما ذهب اليه • صحيح ان كل نغمة تختلف عن الاخرى بطريقة غنائها فلكل نوع من أنواع الشعر البدوي نغم خاص يعني به • ولكن ليس صحيحا ان هذه الانغام كالثالب للشعر يصاغ ويصب ضمن اطارها • فلو كان الحال كذلك لجاء الشعر البدوي على اوزان معدودة بعدد انغامه التي لا تتجاوز الاربعة أو الخمسة أنغام ، ولما جاء هذا الخضم اللاطم من الاوزان التي لا تحصر •

قد يصح هذا القول الى حد ما بالنسبة للهداء والسامري الذي يلتزم كل منهما وزنا معيناً ونغماً يساعد على تحديد هذا الوزن لان كلا من هذين النغمين خفيف وادأؤه يشابه التقطيع العروضي ، ولكنه لا ينطبق في حال

(١) الشعر عند قبائل الدولة - بحث لم يطبع •

من الاحوال على القصيد الذي يعتبر أهم أنواع الشعر البدوي وغالبية هذا الشعر تدخل ضمن نطاقه • وقد جاء غنياً بالاوزان التي لا تحصى لكثرتها • فلو كان النغم هو القلب الذي يصب فيه لوجب ان يأتي على وزن واحد كما في الالحان الشعبية التي تكلم عنها • اذ أننا نعلم ان الانغام الشعبية في مصر وسورية والعراق ولبنان هذه الانغام الشعبية المشهورة تلتزم الاشعار المغناة بها اوزاناً ثابتة لا تتغير فلكل نغم وزن معين لا يتغير هذا الوزن بتغير الاشعار وانما يحافظ على عدد من التفعيلات أو المقاطع الصوتية في كل بيت فالنغم الصعيدي المشهور (سَلَّمَ عَلَيَّ •• لَمَّا قَابَلَنِي وَسَلَّم عَلَيَّ) أو نغم (آه يا زين) ونغم (الابودية) العراقية أو نغم (النليل) ونغم (على دلعونه) السوري أو (على اوه مشعل) ونغم (يابو انزلف) اللبناني وغيرها وغيرها الكثير من الانغام الشهيرة تلتزم الاشعار المغناة بها وزناً واحداً معنا لكل نغم في حين ان ذلك غير وارد بالنسبة للقصيد الذي تتغير مقاطعه الصوتية أو تفعيلاته من حيث عددها ونوعها من قصيدة الى أخرى خذ مثلاً قول الشاعر :-

الْبَارِحَةَ وَأَنَا بَطِيبٌ رَقَادِي
اسْتَارَقَتْ عَيْنِي وَطَالَ سَهَادِي

وقول الشاعر :-

بِاللَّهِ يَا أَهْلَ الْهَجِينِ عَوْجُوا رُؤْسَهَا
وَاصْحُوا لِمَسِّ أَحْبَابِهَا بِحَلُوسَهَا

أو قول آخر :-

رَوَّحِ الرَّايِحِ مِنْ دَيْرَةِ الْعُوجَا يَخْيَلُونَهُ
بَارِقَةً لايِحِ وَبَلُّهُ كَمَا دَرَجِ يَصْبُونَهُ

فالتباين واضح في عدد التفعيلات أو المقاطع الصوتية في حين ان النغم

واحد • وعلى هذا يمكننا القول بان النغمة ليست بالضابط الاول والاخير ولا هي بالقلب الذي يصب هذا الشعر في اطاره وانما قد تكون مساعدا لهم في ستر عيوب بعض الابيات المفككة البناء والمخلخة الوزن وهذا ليس بالامر الجديد « ذلك ان القوم كانوا يجبرون بنغمات يسمعونها مواضع من الشعر لا يستوى بها الوزن » (١) •

هذا الذي قلناه لا يعني ان الشعر البدوي جميعا لا يخضع لاوزان محددة معينة وانما كلامنا هذا يصحح على قسمين مهمين من اقسام هذا الشعر وهما القصيد والهجيني وهما يشكلان وخاصة القصيد الجزء الاعظم ان لم نقل غالبية هذا الشعر في حين ان القسمين الاخرين وهما السامري والحداء يلتزم كل منهما وزنا معيناً • اذ اتنا ذكرنا في بحثنا عن انواع الشعر البدوي ان الحداء يلتزم بحر الرجز بكل ضروبه وان كان الاعم الاغلب منه يأتي على مجزؤه •

مستفعلن مستفعلن مستفعلن

وقلنا أيضا ان السامري يلتزم - الا النادر واقليل منه - بحر الرمل

فاعلاتن فاعلاتن فاعلات

وقد لاحظنا خلال محاولتنا لايجاد بحور وأوزان لهذا الشعر ان هناك قصائد تخضع برمتها أو مع تعديل بسيط في بعض أبياتها الى أوزان الشعر العربي المعروفة مثال ذلك قصيدة للشاعر محمد عبدالله القاضي ومطلعها :

غريم بالهوى روعي على طفل قصف روعي

ومنها :

عبير المسك خاتمه وريح فاح به روعي

(١) الهوامل والشوامل ص ٨٣٢ - التوحيد ومسكويه •

وروحى راح برياحي كفت الدمع برياحي
وهب الهجر برياحي ليفشي سر منضوحى
فقد جاءت هذه القصيدة على :

مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن

وقصيدة عبدالعزيز المحمد القاضي ومطلعها :

الصَّدَقَ أَجْمَلُ مَا تَنْطِقُ بِهِ
وَأَشِينِ الْكِذْبِ وَرَاعِيهِ

ومنها :

عِلْمٌ مَبْدِيهِ وَقَصْدِي بِهِ
جَلَى الشُّبُهَةِ عَنِّي فِيهِ
وَاللِّي رَامِيْنِي قُمْتَ اِطْلُبْ
رَبِّي بِلِسَانِهِ يَرْمِيهِ

وهذه القصيدة تلتزم البحر المتدارك :

فعلن فعلن فعلن فعل فعلن فعلن فعل

وقصيدته التي مطلعها :

رَفِيعٌ مَنَّا لَكَ ، بَعْضُ مَضَى لَكَ
وَكُلُّ شَفِيقٍ تَمْنَى وَصَالِكَ

ومنها :

وَبنتِ جَمِيلَةً وَعَيْنِ كَحِيلَةٍ
تَصِيْبِيْنَ قَلْبَ الْفَتَى فِي غَزَالِكَ

ونابي رِدْ وَفِكَ وَسَابِحْ زِلْوْفِكَ
وعالى وَصَوْفِكَ وصافي جمالك

وهذه القصيدة تلتزم البحر المتقارب :

فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن

وقصيدة نمر بن عدوان التي مطلعها :

عِلْمِي بِشَوْقِي نَائِمًا فَوْقَ أَشْعَلِ
إِمْتَسَمْرِخِ السَّاقِينَ شِلْعِ بِشَوْلَعِ

وهي تلتزم بحر الرجز :

مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن

وهناك قصائد أخرى عديدة لشعراء آخرين أمثال العوني وابن لعيون
وحميدان الشويعر وراكان بن حثلين وغيرهم تذهب هذا المذهب وقد جثا
بتلك على سبيل المثال لا الحصر :

وقد وجدنا علاوة على ذلك أبياتا كثيرة جاءت على أوزان الخليل فكثيرا
ما نجد في بعض قصائدهم البيت والبيتين أو أكثر تجري مجرى الابيات
الفصحى في التزامها للمعروض العربي •

وها نحن نورد بعضها على سبيل المثال فقط • يقول عبد العزيز
انقاضي :

ولي من جميل الصبر درع عن الخنا
ولو حبها ما هوب عن خطري ما حى

فقد جاء هذا البيت على البحر الطويل وهو من قصيدة مطلعها :

عفار سم سلمى واصبح النزل منزاح
ولعبت بدارس رسمها هوج الارياح

وهو يلتزم البحر الطويل أيضا وكذلك عدد لا يستهان به من أبيات
هذه القصيدة وقد جاء على البحر الخفيف لمحمد العبدالله القاضي قوله :

شَوْقُهُ وَشَافِ الشُّوقِ وَالشُّوقِ قَنَازِ
بِالْبَعْدِ وَالْأَصْدِ مَا عَادَ يَعْتَازِ

وعلى الوافر لابن لعبون :

الَا يَا وَيْلَ مَنْ جَفَنُهُ عَلَامَا
مُضَى لَهُ عَنْ لِيذِيهِ النَّوْمُ جَازِي

وعلى الرجز - وهو كثير في شعرهم - قول رميزان :-

مَخْمُوصَةٌ أَقْوَامٌ ضَامِرَةٌ الْحَشَا
كَتَّفِ وَرِدْفِ وَالْهَفَا بِخُصُورِهَا

وعلى المتدارك لحميدان الشويعر قوله :

الارنبُ ترقدُ ما توذي
وَلَا شِفَتْ النَّاسِ تَخَلِّيَهَا
وَالسَّبْعِ الْمُؤْذِي مَا يَرْقُدُ
مَا يُوْطَأُ بَارِضٍ هُوَ فِيهَا

وعلى البسيط للبديوي :

ولا تطعُ من ضعيفاتِ عزائمه
فكلُّ طبعٍ الى راعيه ميَّال

وعلى الكامل للمعاصري :

وشهرت راس الرمح ثم ركزته
في المهرة المقذولة الشقراء

وعلى المتقارب لعبدالعزیز المحمد القاضي :

فآهٍ على ما مضى لي وآهٍ
على كل يومٍ بدأ لي وغاب

وهو من قصيدة مطلعها :

هوَى النَّفْسِ لَوْ طَابَ يَازِي عَقَابِ
وَمَنْ لَا يَذُودُهُ بِإِلْيَمَانِ خَابِ

وفي هذه القصيدة عدد لا يستهان به تلتزم هذا البحر - المتقارب •

القـوافي :

قبل ان ابدأ الكلام عن القوافي في الشعر البدوي أرى من المفيد ان أتعرض الى نشأة القافية وتطورها وبعض مظاهرها بشكل موجز لما له من علاقة في هذا الشعر البدوي موضوع البحث •

فقد نشأت القافية نشأة موسيقية كما هي الحال في الاوزان نهى في أول أمرها كانت سبعة • والسبعة اقدم القوالب الفنية العربية^(١) • ومن ثم ترقى السجع الى بحر الرجز ومنه نشأت الابحر الاخرى^(٢) •

حيث التزم الشعراء بالقافية في آخر الشطر الثاني من البيت ، بعد ان كانت القافية الواحدة ملتزمة في آخر الشطر الاول والشطر الثاني على السواء وهذا واضح فيما بين ايدينا من الرجز ، فالالتزام بالقافية في اخر الشطر الثاني من القصيدة انما يمثلها وهي في طورها الاخير الذي نراه فيها الآن •

ونرى أن التزام القافية في آخر الابيات انما جاء تمشياً مع الغناء • لانها قوية الشبه بوقفات المغنين وسكنات الناقرين بالدف والمصفيق بالاكف

(١) بروكلمان - تاريخ الادب العربي - ص ٥١ •

(٢) بروكلمان - المصدر السابق •

نهى نهاية النفس في البيت واستراحة من البيت الى البيت ، ولانها - مضافة الى الوزن - تكسب الشعر رنينا وتزيده موسيقى (١) .

ويذهب الدكتور مصطفى عوض الكريم الى القول بأن القافية كانت في بادىء الامر صوتيه (٢) ، معتمدا في ذلك على ما لاحظته في قوافي الرجز كما في قول الراجز :-

ما تبغني الحرب العوان مني بازل عامين صغير سني
لمثل هذا ولدتني أمي

وقول الراجز الآخر (٣) :-

يا قبح الله بني السعلات عمر بن يربوع شرار النات
ليسوا بأحرار ولا أكيات (٤)

أراد شرار الناس واكناس . وقد زعموا انها لهجة من لهجات العرب تبدل (السين) (تاء) (٥) . الا أنهم لم يؤيدوا زعمهم هذا بشيء من الشعر اقرىض ، وكل الذي ذكره صاحب الأمالي قوله قال الاصمعي : يقال : الكرم من سوسه ومن توسه ، أي من خليقته . ويقال : رجل حفيصاً وحفيئاً ، اذا كان ضخم البطن الى المقصر ما هو . ثم يذكر هذه الأشطر الثلاث من الرجز نقلا عن الفراء (٦) . وطبيعي ان هذا لا يكفي لاعتبارها لهجة خصوصا وانهم لم ينسبوا هذه المهجة الى قبيلة من العرب كما كانوا يفعلون عادة حين يذكرون هذه اللهجات . ويبدو أن علماءنا السالفين

-
- (١) الفن ومذاهبه في الشعر العربي - شوقي ضيف ، الحياة العربية من الشعر الجاهلي - أحمد محمد الحوفي .
- (٢) فن التوشيح - مصطفى عوض الكريم .
- (٣) وهو علباء بن الارقم كما جاء في اللآلي .
- (٤) وروي : ليسوا اعفاء وروي أيضا غير اعفاء .
- (٥) الامالي : ج ٢ ص ٦٦ - ٦٧ .
- (٦) نفس المصدر السابق .

— عفا الله عنهم — قد أَرْضاهم هذا التفسير غير أنهم وجدوا أنفسهم في غمٍ من هذه الأبيات التي تختلف قوافيها في القطعة الواحدة ، فاختاروا في تعليل هذه الظاهرة ففسروا قسماً منها على أنها لهجات وافترضوا أنها تقرأ بروي واحد كما في الاشطر السالفة ، وفسروا القسم الآخر بأن عيباً قد اصاب الروي واطلقوا عليه اسم « الاكفاء » وهو عندهم اختلاف حرف الروي فيأتي مرة « نوناً » ومرة « ميماً » ومرة « لاماً »^(١) . مثال ذلك قول امرأة من خثعم في رجل من عقيل كانت قد عشقته :

ليت سماكياً يحار ربابه يقاد الى أهل الغضا بزمام
فيشرب منه جحوش ويشيمه بعيني قطامي أعز يمانى^(٢)

ومنه قول ابنة ابي مسافع :

فما ليث غريف ذو اظاير واقدام
كحيمي اذ تلاقوا ووجوه القوم أقران
وانت الطاعن النجلاء منها مزبد أن
وبالكف حسام صارم ابيض خذم
وقد ترحل بالركب وما نحن بصحبان^(٣)

وقول ابي سليمان الغنوي :

يا ربهما اليوم على مبينٍ على مبينٍ جرد الفصيم^(٤)

غير أننا لا نرى رأيهم ، وإنما نعتقد أن هذه الظاهرة بقية من بقايا كون القافية صوتية في طورها البدائي . قد يقال ان هذه الظاهرة راجعة الى تقارب مخارج هذه الحروف وقد أدى هذا التقارب الى وقوعهم في هذا الغلط^(٥) . وهذا صحيح الى حد ما ، واقتراب من الرأي الذي ذهبنا اليه ،

(١) الموشح للمرzbاني .

(٢) و (٣) و (٤) نفس المصدر السابق .

(٥) نفس المصدر السابق .

لان غلظهم انما هو نتيجة للتقارب الحاصل في حكاية اصوات هذه الحروف •
غير أن هنالك أبياتاً اختلفت قوافيها ولم تكن ضمن هذه الدائرة التي تحدث
عنها المرزباني • مثال ذلك قول جواس بن هريم :

قبحت من سالفه ومن صدغ
كأنها كشيّة ضب في صقع

ومنه :

إذا ركبت فاجعلوني وسطا اني كبير لا أطيق العندا^(١)

وعلى هذا يمكننا القول بأن هذه الظاهرة لم تقتصر على الحروف
المقاربة في مخارجها وانما تعدتها الى الكلمات المتشابهة في توافقها الموسيقي ،
وجرسها وحرركات حروفها • فكلمة « صدغ » و « صقع » • وكلمة
« وسطا » و « عندا » • واحدة في توافقها الموسيقي • وهذا يؤكد ما ذهبنا
اليه في كون القافية قد نشأت نشأة صوتية • وقد ساعد على ذلك كون الشعر
يؤدى منغوماً •

وما زالت هذه الظاهرة موجودة في الشعر البدوي حتى الآن • حيث
لاحظنا ذلك خلال دراستنا للنصوص الشعرية البدوية التي بين أيدينا مثال
ذلك • قول العوني :

وَيْنِ الطنَايَا وَيِّنْ شَرَابَةَ الْهَيْلِ
وَيْنِ الْحَيُودِ اللَّيِّ تَشِيْلِ الثَّقَايِلِ

ديارِ لَكُمْ عَقْبُكُمْ طَبَّهَا الشَّيْنِ
تَكِي اِرْجَالُ وَمَكْرَمَاتِ الْاَصَايِلِ

(١) جاء البيت في اللسان في مادة « عند » • وفي الموشح للمرزباني •

وَقَوْلِ ابْنِ سَيْلٍ :

هَآ فِي الْحَشَى كَنَّهُ عَنِ الزَّادِ مَحْرُومٌ
وَالثُّوبُ يَشْكِي مَا نَبَا مِنْ رَدُّوفِهِ
وَالزَّيْنُ فِي مَقْرَنٍ حَجَاجِيهِ مَقْرُونٌ
رَشْمَةٌ مَهْرُورٌ شَيْخٌ شَبَعٌ فِي مَضُوفِهِ

وَقَوْلِ نَمْرِ بِنِ عَدْوَانَ :

أَمْرٌ جَرَى لِي بِالتَّقَادِيرِ وَأَسْبَابِ
غَضَبِ عَنِ اللَّيِّ يَرِيدُ وَالْمَا يَرِيدُ
الْبَارِحَةَ يَعْقَابُ حِينَ الْقَمَرِ غَابَ
وَحِينَ الثَّرِيَا كُوكِبَتُ عَالِغِيْبِ

وَقَوْلِ أَبِي حَمْزَةَ :

قَالَ أَبُو حَمْزَةَ وَهَيْضُ مَا بِهِ
فَوْقَ النَّضَا مِتْمَائِلِ تَعْبَانِ
كَمْ مَجْلِسِ عَلَّتَّهُمْ بِرَبَا بَتِي
شُمَطُ اللَّحَى وَغَطَارِفُ الصَّبِيَانِ
عَلَّتَّهُمْ وَأَشْبَعْتَهُمْ تَعْلِيْلَهُ
لِيْمَا غِدَوُ مِثْلِ الْهَشِيمِ الْبَالِي

وَقَوْلِهِ فِي نَفْسِ الْقَصِيْدَةِ :

قَالَتْ يَبُو حَمْزَةَ وَشَ هَالْمَجِيْبِكَ
وَالِيْتُ مَلِيَانَ وَعَلِيْلِهِ اِرْجَالِي

فعلی الرغم من اختلاف الحرف الأخير الذي هو روي القافية بين :

الْهَيْلُ و الشَّيْنُ
مَحْرُومٌ و مَقْرُونٌ
يَرِيدُ و مَغِيبٌ
♦♦♦♦ و ♦♦♦♦
 الخ

نراها مقبولة عندهم ولا تثير أي انتباه وذلك راجع الى ما قرناه سالفاً من توافق موسيقي ، وتقارب في مخارج الحروف ، وتشابه في حكاية الاصوات ♦ وعلى هذا يمكننا القول بأن الذي رأيناه انما هو بعض بقايا المظاهر التي تدل على نشأة القافية نشأة صوتية ، وبالتالي تفسير لوجود مثل هذه القوافي في الشعر البدوي المعاصر ♦

ونخلص الآن الى الحديث عن القوافي في الشعر البدوي محاولين في ذلك اعطاء صورة شاملة وواضحة عنها ♦

القافية عندهم تسمى « القاف » ♦

قال شاعرهم :-

قال الميضي بِالضَّحَى يَبْدِعُ الْقَافَ

فِي دَارِ سَمْحِينَ الْوَجُوهِ كَرَامٍ

والقصيدة البدوية مبنية - عادة - على قافيتين ، قافية في الصدر وقافية في العجز يلتزم بهما الشاعر الى نهاية القصيدة - وهذه الطريقة معروفة في الشعر العربي ويسمونها أهل البديع « التشريع » - مثال ذلك قول بن سبيل :-

يا من قلب طَارَ عَنْهُ الْيَقِينُ

من يوم قُضِنَ الضَّعَائِنُ زِهَازِيمٌ

وَذَكَرْتُ مَنْزِلَهُمْ عَلَيْنَا قِطِينُ

ايامَ عِنْدِي بَيْنَ شَدَادٍ وَمَقِيمُ

ويقول عبيد العلي الرشيد :

يا قلب من كثر الهواجيس هولاس
والنفس ما تطرب بلياً دوايك
والخلق حكمه عند قرآن الأنفاس
حيناً تحت حكمه عبيد مماليك

وقد لفت نظري ان القافيتين المتين تبنى عليها القصيدة تكونان من حرف واحد وقد قمت باحصائية فتين لي ان غالبية القصائد المتوفرة لدي تنحو هذا المنحى • اذ تكون قافية الصدر وقافية العجز مبنية على حرف واحد الا انهما تختلفان في الحركة فتكون الاولى مكسورة والثانية مرفوعة أو منصوبة أو بالعكس ، أو ان يسبق احدهما انف والثاني واو أو ياء أو بالعكس • كان تكون القافية في الصدر (انشاد) وفي العجز (نشيد) أو (ساق) و (سوق) ••• الخ

يقول محمد العبدالله القاضي :

يأمل لقلب كل ما التم الأشفاق
من عام الأول به دوايك وخفوق
كنه مع الدلال يجلب بالأسواق
وعامين عند معزل الوسط ماسوق
يجاهد جنود في سواهيح الأطراق
ويكشف له اسرار كتمها بصندوق

ويقول عبيد العلي الرشيد :

يا الله يالهي تبدي الخلق وتعيد
والى بغيت امسر قضيت المراد

يألوأحدِ اللّٰي تَرَجَّأَكُ مَا تَعِيدُ
ومِن هُوَ بَحْرَزَكُ لَا يَنْدِي مَا يَصَادِي
ويقول ابن ربيعة :-

جُودِيهِ شَكَّتْ عَيْنِ الزُّورِ وَحَوَارِ
أَقْفُوا بِهَا كَوْعٍ عَنِ أَحْوَارِهَا زُورِ
مَا وَجَدَهَا وَجَدِي وَعَلَامِ الْإِسْرَارِ
لَا شَكَّ لَا حِيلَةَ إِلَى حُلِّ مَقْدُورِ
ويقول العوني من قصيدة: (١)

شَمَّرَ مَجَابِسِ الْمُنَايَا هَلَّ الْخَيْلِ
عَصْمِينَ الْأَرِيَاءِ مَجِيحَمِينَ الْقُبَايِلِ
وَيَنْ أَلْطُنَايَا وَيَنْ شَرَّابَةَ الْهَيْلِ
وَيَنْ الْحَيُودِ اللَّيِّ تَشِيلِ الثَّقَايِلِ
دِيَارِ لَكُمْ مِنْ عُقْبِكُمْ طَبَّهَا الشَّيْنِ
تَبْكِي رَجَالِ وَمُكْرَمَاتِ الْأَصَايِلِ
وَيَنْ الْأَسْيُوفِ اللَّيِّ تُعَدِّلُ عَنِ الْمَيْلِ
وَيَنْ السَّرْمَاحِ اللَّيِّ نَحَتْ كُلَّ عَايِلِ

هذا الذي ذكرناه هو الغالب الأعم في طريقة التقفيه عندهم • وهناك طرق أخرى للتقفيه وهي قليلة نسيباً في شعرهم إذا قيست بالطريقة التي

(١) ورويت هذه القصيدة لمحمد بن رشيد أمير حائل آنذاك هكذا رواها لي كثير ممن صادفتهم إلا أن الاستاذ عبدالله بن خميس يثبتها للعوني في كتابه الأدب الشعبي في جزيرة العرب « وكذلك السيد خالد بن محمد الفرج في مجموعته ديوان النبط » •

ذكرناها سابقا • ومن هذه الطرق اتباع الطريقة المعروفة في القصيدة العربية أي انها مبنية على قافية واحدة تلتزم آخر البيت ولا ينسى الشاعر ان يخضع المطلع لحلية التصريع حيث يلتزم صدر المطلع فقط نفس القافية التي عليها القصيدة (١) •

يقول العوني :-

بالله عوجوا يا رقيب رقيبها
 ما دمت عجل واحترف بأسبابها
 وانتم على فجع التحور هو ارب
 ما تقصر اراضه متون او جابها
 والى قضيت وقلت دوكم حاجتي
 ارخو حبال ارقابها تقدا بها
 وله أيضا من قصيدته المشهورة باسم الخلوج :

خلوج تجذ القلب بتلا عوالها
 تكسير بعبرات تحطمن اسلاها
 تهيج مفجوع الضمير بحسها
 الى طوحت حسه تزايد هجالها
 له قلت انا ياناق كفي عن البكا
 لا تبحين النفس عما جرى لها

(١) يذكر عبدالله الزامل ان هذه الطريقة هي الاصل وكان البدو ينضمون شعرهم عليها حتى جاء الشاعر محسن الهزاني وابتدع الطريقة التي عمت الشعر البدوي واصبحت غالبية عليه وهي التزام القافيتين في الصدر والعجز • أقول : ان ما بين أيدينا من شعر لقدامي البدو يؤيد ذلك غير أننا لا يمكن ان نجزم بأن محسن الهزاني هو الذي ابتدع الطريقة المعروفة الآن لاننا لا نملك دليلا قاطعا •

ومن قصيدة لمحمد عبدالله القاضي :

عن الدارِ دَارَتِي رَحَا أَلِينُ بِتَفَالِي
والأقدارِ دَارَتِي عَنِ الشَّمَلِ بِشِمَالِي

تَنَاعَتِ بِنَا أُنْيَاتُ بِالبَعْدِ وَالنِيَا
وَلَا طَارِشٍ يَأْتِي بِعِلْمٍ عَنِ الغَالِي
زِهَالِي زِمَانِي قَدْرُ عَشْرِينَ حِجَّةً
بِهِنَّ نِلْتُ غَايَاتِي وَقَصْدِي وَأَمَالِي

أما الطريقة الثالثة والأخيرة فهي معروفة أيضا في القصيدة العربية وهي الرباعيات وطريقة التفقيه المتبعة فيها هي أن تكون الأشطر الثلاثة على قافية واحدة ويكون الشطر الرابع على قافية أخرى مغايرة تبنى عليها جميع الأشطر الرابعة في القصيدة وترجع إليها في حين تتغير قافية الأشطر الثلاثة • مثال ذلك قول محسن الهزاني :-

سَأَلْتُ مَدَامَ نَاطِرِي فَوْقَ خَدِي
وَأَبْدَيْتُ لِلجَهَالِ مَكْنُونَ سَدِي
نَهَارُ عَايِنْتُ الحَنَايَا تَشْدِي
عَلَى ظُعُونِ التَّرْفِ مِيَّاسِ الأَرْدَانِ

فهنا جاء الشطر الرابع على قافية النون لذا وجب أن لا يفارقه إلى آخر القصيدة • ويستمر محسن الهزاني في قصيدته فيقول :

طِفْلٌ سَلَبَ عَقْلِي بِجِيْدٍ وَقُصَّةً
وَأَمِيْسِمُ يَا حَظَّ أَبُو مَنْ يَمِصُّهُ
وَقَرِيْدَةٌ فِيهَا الرَعَايِفُ وَحِصَّةُ
وَمِغْزِلَاتٍ غَزِيلٍ حِينٍ يَنْعَانُ

وهكذا الى آخر القصيدة ♦♦♦

وهذا مثال آخر لمحمد العبدالله القاضي :

يَا أَهْلَ الْمُنَاجِبِ الْعِجَالِ الْهَجَانِ
قِفُوا تَرَى لَدَى الْكُرَى مَا جَانِي
تِحْمَلُوا يَا رَكِبَ مِمَّا فِجَانِي
أَبْدِي غَرَامَ بَيْنِ الْأَظْلَاعِ مَكْنُومِ
يَا هَلَّ الْهَرَبِ الْمَوْجَفَاتِ
يَقْدَنْ دِوَانِي بِهَ الْمَوْجِ فَاتِ
تِقَهَقَرُوا يَا رَكِبَ مَا دِمَّتْ أَقَاتِي
غَرِيبَ مَلْفُوظِ التَّوَالِيفِ مَنْظُومِ

هذه هي طرق اتقفيه عندهم استخلصناها من اشعارهم والملاحظ انها جميعا معروفة في شعرنا العربي ، وقبل ان تترك الحديث عن القوافي نريد ان نقول اننا لاحظنا عندهم في بعض اقصاد آياتنا تشتمل على قواف داخلية مما يسميه ابن رشيق « التسهيم » ويسميه قدامه « التوشيح » وهذه الظاهرة معروفة في اشعر العربي منذ العصر الجاهلي ومن اقدم امثله قول امرىء القيس :

اناد ، فساد ، وقاد ، نزاد وساد ، فجاد ، وعاد فانضل

وقواه أيضا :

كحلاء في برج صفراء في نعب كانها فضة قد مسها ذهب

وقواه أيضا :

واوتاده ماذبة ♦ وعماده ردينية ♦ فيها اسنة قضب

وقول الخنساء :

حمال الوية • هباط اودية • شهاد اندية • للمجيش جرار
نحار راغيه • ملجأ طاعية • فكاك عانية • للعظم جبار

وقولها أيضا :

المجد حلتة • والوجود علتة • والصدق حوزته • ان قرنه هابا
خطاب محفلة • فراج مظلمة • ان هاب معضلة • سنّي لها بابا
وقد ورد مثل هذا في اشعار الهذليين امثال حنوب الهذليه وابي المثلّم
الهذلي وابي صخر الهذلي وكذلك في شعر ابي دؤاد الايادي :
أقول لقد لاحظنا في هذا الشعر البدوي كثيرا من هذا الذي ذكرناه
آنفا مثال ذلك قول محسن الهزاني :-

واغتماز • واقتراز • والتراز • واهتزاز قد ودّهين المايسات
واجتماع • والتماع • وامتناع • واستماع للحكايا المطربات
وقول بركات الشريف :

عزيز الحجا • بدر الدجى • ركن من لججا
اليه صدوق الواو والعين والبدال

ومنه أيضا قول مخلد الحتامى :

يا مال قلب تاق • من عقب الفراق • ويومي كما المسباق • بين المعاليق
بين عليه سهيل • مع تالي الليل • ياويل عيني ويل • حلو المذاويق

ومنه قول عبدالعزيز المحمد القاضي :

فلولا اللحدود • ونار الوقود • وبعث الرقود • وطول الحساب
وعيني تشوف • ونحن وقوف • لربي ضيوف • ورا كل باب

وكقوله ايضا :

تصدين عيد • ومتلاع جيد • وظبي عيد • يجولن° بجالك
وختاما لهذا الفصل نذكر اننا لاحظنا عند بعض شعرائهم تغننا وترفا
في نظم قصائدهم وخاصة الرباعيات فمن ذلك انهم قد بينون القصيدة على
حروف الهجاء فيخسون كل حرف « بقفل » الى آخر الحروف الثمانية
والعشرين التي تتألف منها حروف الهجاء ويكونون بهذا قد اضافوا قافية
اخرى في اول شطر من كل قفل مثال ذلك قول العوني :

انف° أو لَف° من حلاما يَفِرًا

بين الكياتب° والسيارف° يَلِيْرًا

نظم° نِظْمْتُهُ° من زمردٍ وِقْرًا

وَلَفَا ضَمِيرُهُ° من اويته على الزا

والبا بنفسي شفتَ اَنَا العيب° تَوِي

عَجَزَتْ اَمِيْرٌ صَاحِبِي° من عدوي

الله° يكافيني شُرُورُهُ° وَسُوِي

بين الاقارب° والاجانب يَخْزِي

وانتا تَتَلَنِ اللَّيَالِي° والايام

تِدُوِي بِهَا رِيْفِ اللَّيَالِي° والايام

وَصَفَتْ اَنَا الْاَيَامُ° هي ويا الاظلام

وانناسٍ بَعْرَضِ النَّاسِ دَائِمٌ° تِهْرًا

وانتا الثعالب° كيف° صارت ذِيَابَةً

والبوم° يَفْرِسُ عَقْبَ ذِيكَ الْخِيَابَهُ

والعم عند العبد ماله مجابه

لابد من هفوة صحيت تليزا

ويستمر الشاعر هكذا الى آخر الحروف الهجائية • وقد لا يكتفي
اشاعر بذلك بل نراه احيانا يلتزم بدء كل شطر من اشطر « اقفل » بذلك
الحرف نفسه مثال ذلك قول ابن شريم :

الجيم جاني جية بانسراقه جاهل ومجهول بوسط الرفاقة
جاف لغيري ما يورى صداقة جاني خلوج وجيت له تقل مفرود
وقد يذهب بعضهم الى ابعد من ذلك فيبدأون البيت « اقفل » بالحرف
الذي يختص به ويختمون الاشطر الثلاث به ايضا مثال ذلك قول سليم
بن عبد الحي :

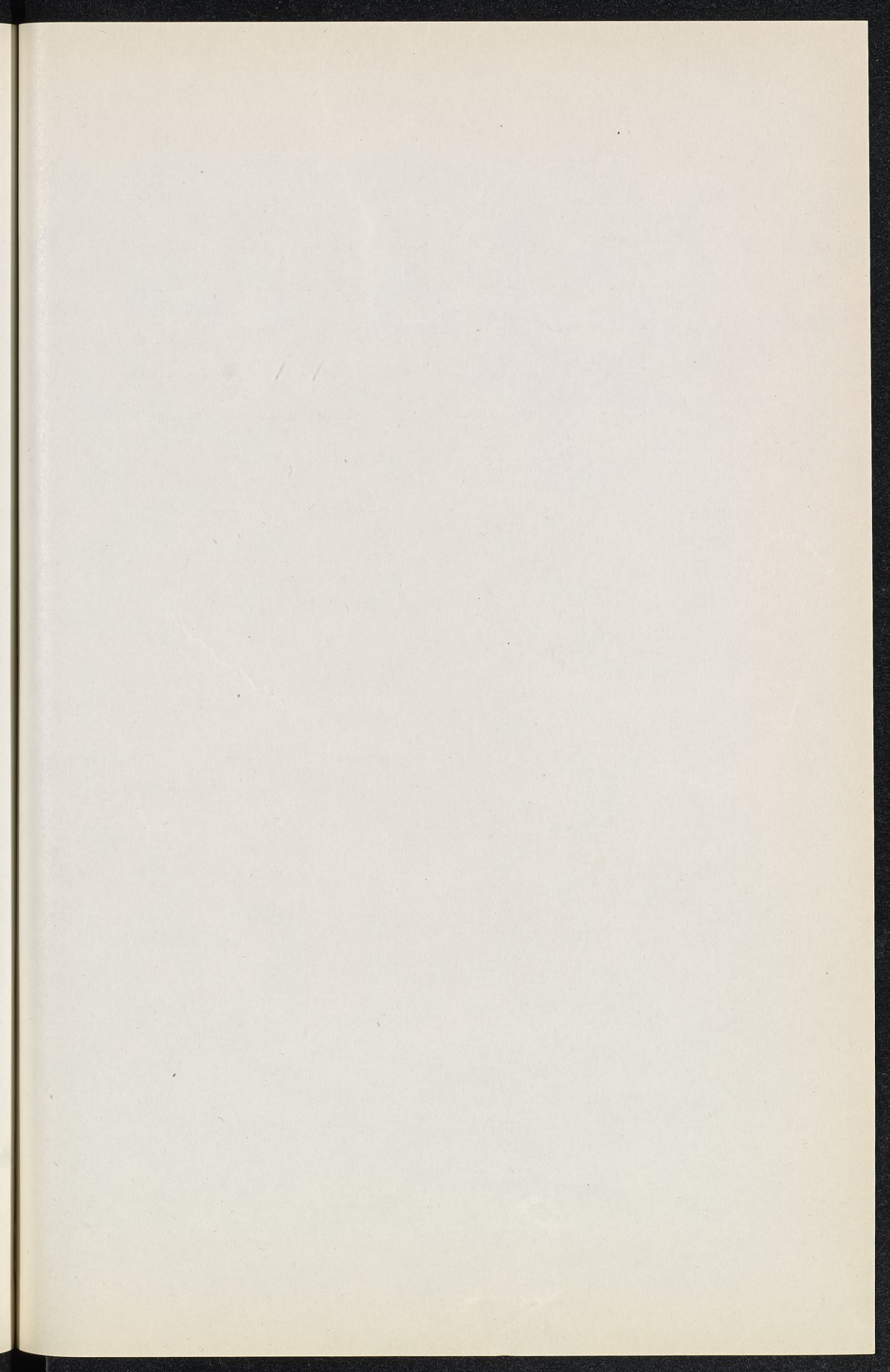
الثا ثمان عذاب شوقي بهن ديث
سلسال معسول انحل بينهن ميت
واهل الهوى في نار هجره مما كيث
وانا لشوقي في دجا الليل عسيت

ومنهم من يسترسل في ترفه وتفنه الى حد يلتزم فيه الكلمة بدل
الحرف فيبدأ كل رباعية بنفس الكلمة التي ختم بها الرباعية السابقة مثال
ذلك قول محمد عبدالله القاضي :

تعطف يا ظبي اجله وخضت الموت من اجله
الا يا سيد ساداتي صروف الدهر من اجله
اجله عن صدا روحي بشهد فاح به روحي
المورق بالهوى روحي وعاق القلب في نجله
نجله بالهوى سلسل حسام اللحظ لي سلسل

فلا يا نادبي سل سل ظبي صاح لي حجله
حجله بالهوى صاح به اذهب قلبي الصاحي
مهارة الريم يا صاح حدث روحي وهي عجلة
عجلة وامتنحن مله هوى قلب على مله
فلو ماهي على مله لآخس بديتها لاجله
لاجله لو شمت فيه وشاع بكل في فيه
ارى واشوف في فيه تنظيم الدر ينسج له

وهكذا يستمر الى آخر القصيدة ♦



البَابُ الْخَامِسُ

أغراض الشعر البدوي

ما زالت أغراض الشعر في وادينا الحاضرة نفس الأغراض التي ذهب إليها الشعر العربي الجاهلي • فالحياة البدوية المعاصرة ما هي الا امتداد واستمرار لحياة البدوي التي كان يحيها أيام الجاهلية ، بجميع مظاهرها وظروفها ومتطلباتها • ذلك لان حياة البدو المعاصرين لم تتغير بحال من الاحوال فحياة القبيلة الاجتماعية والسياسية والمادية الآن نفس ما كانت عليه منذ أيام الجاهلية •

يقول الدكتور طه حسين : فطبيعي اذاً ان يكون الشعر المصور لهذه الحياة كاشعر الذي يصور الحياة القديمة • وان يكون موضوعه ما يقع بين القبائل من حروب ومخاضات تدعو الى الفخر والمدح والهجاء والرثاء وما يشور في نفس الافراد من أنواع الآلام والمذات التي تدعو الى الغناء والشكوى حيناً والحب حيناً آخر والعتاب مرة ثالثة^(١) •

فالمدح والهجاء والفخر والحماسة والرثاء والغزل والحكمة والوصف والشكوى كانت تمثل أغراض الشعر الجاهلي وما زالت حتى الآن هي نفس الأغراض التي يذهب إليها الشعر البدوي فالاحاسيس والمشاعر التي دفعت الشاعر الجاهلي لان يمدح ويفخر ويهجو ما زالت هي نفس الاسباب التي تدفع الشاعر البدوي المعاصر لان يسلك مسلك سلفه الجاهلي • فهو يستمد مواضيعه من بيئته فحياة الحبل والترحال والتنقل أدت الى الغزل والنسيب وذكر مواطن اخصيه ، واعتداد الفرد بنفسه وبقبيلته وحياة الغزو والحروب وشظف العيش أدت الى معاني القوة والفخر والمدح والهجاء والحماسة والحرب • وما يقوم به اشاعر من تجارب أدى الى الحكمة ومظاهر الطبيعة وتجاوب اشاعر معها أدى الى الوصف •

(١) الحياة الادبية في جزيرة العرب •

الفصل الأول

الغزل

منذ ان دبت الحياة على الارض سعى الرجل الى كسب ود المرأة ورضاها في أساليب شتى تفنن فيها فمن غناء الى عزف على الآلات الى اختراع أجمل الالفاظ وأطيب الحديث • والرجل في كل هذا يحاول ان يصل اليها ويتملك قيادها متخذاً سبيله الى ذلك الفن فيتحدث اليها ويتحدث عنها وعمما يلاقيه بسببها وحديثه هذا هو الغزل •

وما زالت المرأة في البادية تهز قلوب الشعراء ، فتتحرك فيهم لواعيج الحب وألم البعد ، وفرحة اللقاء • فيسكبوا كل هذا في شعرهم ، ذاكرين ما يلقونه من لوعة الصد ، ولذة الوصل ، وجمال الحبيبة •

ومما يساعد على شيوع الحب بينهم ، طبيعة حياتهم ، وهذا الفراغ الذي يعيشون به • والفتيان يختلطون بالفتيات سواء كن من أقاربهم أم بعيدات فالاختلاط بين الجنسين في القبيلة أمر مألوف عندهم ، والشباب يستطيع التحدث مع الفتاة دون ان يشير أي ريبة والحب في عرفهم مسموح به شريطة ان لا يتعدى الحديث بين العاشقين الغزل البريء •

والبدوي عفيف بطبعه • وهو حريص على عرضه من كل سوء • ويبدل في سبيل صيافته كل غال ونفيس • من هذه النفسية البريئة ، تسامحوا في اجتماع الفتيان والفتيات ، ثقة منهم بعفتهم وسمو أخلاقهم ، التي تقف حاجزا دون الانحدار • والفتاة تتغزل بحبيبها كما يتغزل الشاب ولا يثير ذلك في غضب الاهل شيئاً •

والبدوي يتغزل في كل مناسبة ويذكر الحبيبة دائماً وفي جميع

الحالات سواء في المعركة أم في الحالات العادية ، لذا رأينا كثرة الغزل في شعرهم فكثيرا ما افتتحت القصائد به في كل فن من أفانين الشعر فإذا أراد الشاعر ان يتناول غرضا من الاغراض كالمسح أو الوصف أو الفخر والحماسة نراه يبدأ على الاكثر بالغزل تماما كما هو الحال في الشعر الجاهلي ومن ثم ينتقل الى الغرض الذي انشأ القصيدة من أجله • وقد لاحظنا ذلك في كلامنا عن القصيدة وبنائها •

فذكر الاطلاع ، والبكاء عندها ، والوقوف عليها ، وتذكر أيامه الخوالي مع من يهوى ويحب احد الظواهر التي نلاحظها في هذا الفن من الشعر •

وهذا الطابع الحزين له ما يبرره فشقاء الحياة وأتعابها بين الرمال الحارة والمفاوز المقفرة وقسوة البادية على اهلها واضطرابهم الى الرحيل والتقل وعدم الاستقرار في مكان واحد ، فهناك لقاء بين الحبيبين ما يلبث ان ينقطع ، فتقطع أيام الأأس ، وتزول السعادة التي عاشا بها فترة من الزمن • فهذا الانقطاع والرحيل وراء الكلاً ومساقط الامطار والسير الى الحرب والغزو أو الانتقال وراء مصالح الحياة ، طبع الغزل بطابع الفرح للقاء ، والحزن للوداع وجعله امنيات يتمناها المحب ودعاء حارا في سبيل الاجتماع واللقاء ولذا ذات الوصال •

فهنا كانت الحبيبة تقيم ثم قضت حياة الانتجاع ان يعطل المنزل الذي كان اهلا ويقفر المكان بعد ان كان خصبا موحيا •

سلامٌ على ما بَانَ من طللٍ بلى

وَرَسَمٍ بَرَبَعِ الدارِ بعد الانس خالى

منازلٍ حبيبٍ عافياتٍ رَسُومه

ثمانينَ شهراً وَلِهَا سبعةَ احوال

وهكذا يعود قفرا وجمادا بعد ان اضفت عليه الحبيبة حياة ورواء فلم
يبق منه الا اطلال ورسوم تتناوبها الرياح والامطار •

عفا رسمٌ سلمى وَأَصْبَحَ النَّزْلُ مَنْزَاحٌ
وَلِعَبْتِ بَدَأْسَ رَسْمِهَا هُوجَ الْأَرْيَاحِ

فمن حق هذه الأطلال على الشاعر ان يقف بها ويستوقف الآخرين
ويذكر أيام كانت له فيها صولات وجولات يوم كانت هذه المنازل عامرة
بمن يحب :

حيَّ الْمَنَازِلَ بَعْدَ مَا قَوْلُ
اللَّهِ يَسْمَعُ لِأَهَالِيهِنَّ

جنوبٌ وادي الْقَصِيمِ طُلُوبُ
تَعَافٍ مِنْهُنَّ وَمَا فِيهِنَّ

قَفْرٍ جِبَاهِنَّ يَحْوُلِ الْحَوْلُ
مَا دَاجٌ فِيهِنَّ لَا فِيهِنَّ

يومِ الْمَنَازِلِ بِهِنَّ نَزُولُ
يِرْعَوْنَ زَاهِرٌ عِذَاوِيهِنَّ

وَالْبَيْضُ تِرْسِيلٌ لِي الْمَرْسُولُ
وَأَقْوَمٌ وَأَجِيبٌ دَاعِيَهُنَّ

فهو لا يكتفي بان يطلب من الآخرين ان يحيوا هذه المنازل وانما يقف
هو محيا على الرغم من علمه انها لا تجيب ويصف وقفته تلك وما يثور
في قلبه من مشاعر :

أَلَا أَنْعِمُ صَبَاحَ أَيُّهَا الْمَنْزِلُ الْعَالِي

• وَاسْعِدْ مَسًّا بَعْدَ مَا شَمْتَ الْأَطْلَالَ

وَقَفَّتْ عَلَيَّ حَاشِي نَوَاحِيهِ وَقَفَهُ

كما وَقَفَةُ اللَّيِّ شَاهِدِ الْمَحْشَرِ اتِّتَالِي

نذكر الاطلاع ووصفها والحديث عن ساكنيها بشكل جزء لا يستهان به من غزلهم ، فاذا تركنا حديث الاطلاع جانبا لنرى حديثهم عن المرأة وعذاباتهم ولوعتهم في عشقهم فماذا نجد .

الواقع ان الشاعر البدوي في غزله شأنه شأن سلفه الجاهلي لا يخرج عن الحديث عن نفسه ورسم مشاعره وعواطفه واهوائه ورغباته فيتحدث عن معشوقته حديث الراغب المشتبه لا يعنيه من امرها ما هي عليه وانما يحوم حول نفسه ويجعلها المثال المنشود يتحرك في سبيله ويسر من اجله ، فهي تحيا حياتها له .

ومن النادر ان نجد الشاعر يتحدث عن الحب كفكرة مجردة . عن معناه ، عن هذه العاطفة الجميلة ، أو ان يحلق في رسم عواطف محبوبته ، ورغباتها واهوائها وتفكيرها . وانما يقتصر على تعداد محاسنها وما يشتهيها فيها وما يأمله منها .

وهو في تصوير مشاعره ، لا يخرج عن ذكر ما يحسه من ألم البعد والصد والحنين الى اللقاء . ومن الليالي ، وذكر الوشاة ، وسعيهم في تفريق الشمل . وصبره على الالم وقسوة الحبيبة التي تلعب بقلبه لعبا .

يَلْعَبُ بِقَلْبِي لَعِبَةَ الْقَوْسِ حَانِيهِ
ظَرْفٍ مَطَاوِعْتُهُ يَدُهُ بِلَعْبَانِهِ
نُوبٍ يَدْتِي بِهِ وَنُوبٍ يَفْصِيهِ
أَخَذَهُ بِالْحِيَلِ لَيْسَ اسْتَهَانَهُ

وهذه الجراح الخفية التي تركتها في قلبه حتى تغير حاله وضم امله المرض فيه الا انه يعلم سبب ذلك والذي يجديه ليس الطيب وانما .

من أن في قلبي جرّوح خفيات
وَأَنَا خَبَّرُ مَا بِي سَبِيهَا مِنْأَيهِ
آيَةٌ هُوَ مَا هِيَ بَطْبُ الْمَدَاوَاةِ
أَنَا طَيْبِ الرُّوحِ مَا بِي غَرَابِهِ
وقوله :

ما هو مرضٌ وأخبرٌ هلي عن متساكيه
اسبابٌ من صوّب ضميري وكنانه
الجادل اللّبي ما بقي في تمدريره
ذعدع هواه وضاحك له زمانه
لو كل من صوّب صويّب يدأويه
ويجارحه قلت أوصلوني مكانه

ولكن من اين له اللقاء وقد حل الفراق فما عليه الا ان يعيش بأحسرات
فهذا أمر الله قد كتب عليه :

حلّ الفراقُ ويبحّ الوجدُ مكنون
قلبٍ تعايوا فيه شطرينَ الأطبّاب
حيرانٌ قلبي بالزناجيل مسجون
ابسجن ابن يعقوب أنحنى وهو شاب
وبني زفرةٍ كلّ الملاء ما يطيقون
معشّارها لو هو بصم الصفّ ذاب
صرفٍ برى حالي بيلاقدارٍ ماذون
يا حيفٌ شاب الراس مني وأنا شاب

لا شك ما يكتب على العبد بالكون
يجري قضاءه وكل شيء له أسباب
اما الاخر فهو يحس بهذه الالام ولكنه لا يذكرها لانها دليل
الضعف :

أَوْجِسُ صَوَابُهُ بِالضَّمَايِرِ وَكَامِيهِ
ما نيب من يدي خفيته لسانه
ثم ان هذا الذي يحسونه من الحب ليس بدعه وانما هو أمر أصاب
اناسا قبلهم وسيصيب اناسا بعدهم *

ما هي بدعة تلحق النفس شرها
ناس عدوا قلبي وناس ورايه
فلترك العذال عدلهم ، لانه لا يفيدهم شيئا ، بقدر ما يزيد من ولعه بمن
يهوى *

يا عاذل المشتاق من دون غاليه
لا تكثر الوارد يزيد امتحانه
واللّي يعرف العليم ما هو خافيه
ما يتعدّل عود بلياً ليانه
نفسى مهاويته وعيني ترأعيه
وعليه قلبي ذاهب ذيهبانه
وهو لولا انه يعلم كيف ينفس عما به لأصبح مجنوناً ولضاع رشده مما
يعانيه :

لولاي اوسع خاطري بالتنهات
وابصر بحالي من خلالي بخلايه

لَا عُدِي كَالْمَدَّهَبِ وَرَمِي بِالاصْوَاتِ
 خَبَلٍ عَلَى مَا قَالَ رَاعِي الرَّوَايَةِ
 لَاهِلِ الْهَوَى' مِنْ شَارِبِ الْخَمْرِ شَارَاتِ
 وَبِهِمْ مِنَ اللَّيِّ يَطْرِدِ الْصَيْدَ شَايَةِ
 شَارَاتِ رَاعِي الْخَمْرِ فَاقَهُ وَسَكَّرَاتِ
 وَالصَّيْدَ وَلَعَهُ مَا عَلَى اللَّهِ كَمَايَةِ

وهكذا نراهم يستمرون بوصف الآمهم وسهرهم الليالي ونحولهم
 وفعل الوشاة والدعاء عليهم بالموت والعمى * * هذه أكثر المعاني التي تدور
 حولها اشعارهم * وهم في العادة ، بعد ان ينتهوا من ذكر هذه الآلام التي
 يحسونها ، واللوعة التي تذيب قلوبهم ، وما يتركه الصد والفراق من اثار ،
 ينتقلون بعد ذلك ، الى وصف الذي سبب لهم كل هذا وذكر محاسنه
 تفصيلا ، ووصفها وصفا ماديا *

مَهَاةٍ تَحِيَّرَ الْعَيْنُ بِاوصافٍ حَسَنِهَا
 لَهَا مِثْلُ جِنْحِ اللَّيْلِ سَافٍ عَلَى سَافٍ
 يَشَادِي جَنِي الرِّمَانِ زَامِي نَهْودِهَا
 وَالْأَرْدَافِ تَشْدِي رُوسَ الْأَطْعَاسِ وَقَافٍ
 رِيَانَةَ السَّاقِينِ مَسْلُوبَةَ الْحَشَا
 مَهْضُومَةَ الْخَضْرَيْنِ كَالْغُصْنِ غِرِيَابِي
 عَلَيْهَا تِهَابِيَا الرِّيمِ بِالْعَيْنِ وَالْأَطْلِي'
 عَذِبِ الثَّمَانِ وَخَدِّ ضَافٍ إِلَيْهَا صَافِي

فهي جميلة تحار العين باوصافها * ذات شعر كأنه الليل ، ونهود
 كالرمان ، وردف كدعص الرمل ، هضيمه الحشاء ضامرة الخضر ، ريا

الساقين ، كأنها الغصن في تمايله • ولها من الضياء عيونها ومن الخمر عذب
 ريقها • وخذ صاف لا تشوبه شائبة • فهو قد وصف الشعر والساق والجسم
 والنهود والعيون والريق واخذ واختار لها ألوانا مما حوله • وهذا هو
 الذي ذهب إليه الشعراء البدو بطرقهم الغزل الحسي المادي في وصف
 الاعضاء جميعا •

مِخْماصٌ خَصْرٍ ضامرٍ الْكشْحُ مِكَعاب
 ساقيةٌ دِمَجٍ كنهنٌ الأنايب
 واقدٌ غصنٍ لي ذَكَرٌ مايسُهُ لَاب
 ازرى' بعَسَّالِ الرِّماحِ أَلِيعاسِبِ
 نَآنٌ رَنَحُهُ رِيحُ الصِّبا وَالهُوى طاب
 ازرى بِمِياسِ الغِصونِ المِشاذِبِ
 أو كقول الآخر :

مَهْضومةُ الخَصْرينِ رِيانَةَ أَلْقَدِ
 مِلْتَجَةَ الرِّدفينِ وَرَدِيَةَ الخَدِ
 الى انْتِشَرُ قَرْنُهُ على اَلْتَنِ وانهد
 حامتِ سَهومِ المَوْتِ بِغِزَالِهِ الخِرسِ
 كَنٌّ أَقنا قَدُهُ اذا اهْتِزُّ وانقاد
 عَنقِ المِها عَنقُهُ وَالنِهُودُ قَعَّاد
 فلى ضَرْبِ قَلبِ أَلقى سَهْمَها اَلْحادِ
 اشعلِ بَصدرُهُ واهجِ بِعَلِقِ اَلْتَبسِ
 مَزبورةِ الفِخْذينِ وَالجيدِ مِتْلاعِ
 تِضْحَكِ شَفاهِ وَبارقِ الخَدِ لِمَاعِ

فالشاعر في نظرتة هذه كأنما نظر الى الغزل على انه رسم صورة أو
 تحت تمثال لمن يحب فيخطط الرأس والجسد وبقية الاعضاء ومن ثم يختار
 الالوان التي يريدتها من سواد المشعر وبياض للجسد ولون للمعينين والمثغر
 ثم يتخيل ريقها العذب وسحر عينيها والتفاته جيدها وتشي مشيتها فكانه بعد
 ان صورها حركها ووصف اثر ذلك كله في نفسه •

وهم في غزلهم هذا لا يخرجون عن الوصف فالشاعر في غزله
 بمحبوبته وتعداده لمحاسنها لا يعدو أن يكون واصفا لها كما لو انه يصف
 منظرا اعجبه أو يصف اناقة والفرس أو البرق والمطر ومهامه الصحراء
 وكتبان الرمال •

والشاعر البدوي في غزله يختار أوصاف حبيبته من بيئته فيتجاوب
 مع ما فيها من ضياء ونبات وجماد فيحسن بجمال هذه الاشياء ويتخير من
 صفاتها صفة بارزة تمت الى الحبيبة بصلة أو تمت اليها بسبب تشبه الحبيبة
 بها • فاختار من الطبيعة الحية المتحركة التشبية بالطباء والمهاتة والقطا
 والحمام • فاختار من المهاتة سعة العيون وسوادها ومن الطباء رشاقتهما وجمال
 جيدها وعينيها ولقنتها تشبهوا الحبيبة بها واعجبهم خطو القطا والحمام
 تشبهوا مشي الحبيبة به •

وَأَعْنُقُ عُنُقَ الرِّيمِ تَرعى بِالْأَقْفَارِ
 أَوْحَتِ حَسَّاسٍ وَرَزَّتَهُ بِجَفْلَانِ

أو

الى مشى كنه غرير تهويته
 وإلا معلمة الحمام درجانه

أو

ابتليت بواحد منهن فريد
 به حلايا من ظبيات ألفوذ

واستمدوا من الطبيعة الحية الغير متحركة التشبيه بغصن البان والبردى
والرمان والياسمين والورد ••• النخ •

تشبه لغصن البان لي من تشنى
يا مالها من مستهام تمنى

أو

حللت يابو وجنة كنها الورد
مصيونية ما مسها كل قطاف

أو

غجبة العينين والخذ الحسن
والقوام ان قام غصن الياسمين

أو

مخماص خصر ضامر الكشح مكعب
ساقه دمج كهن الانايب

أو

الساق دملوج سقنه مدوده
في منبه ما هزعه كل هباب

فهم شبهوا رشاقة المرأة ، وليونها ، وتشبيها ، بالاغصان • وساقها
بالانايب ، (البردى) بياضا واستداره ونعومة • والنهود ، بالرمان •
والخدود بالورد وهكذا •

واستمدوا من الطبيعة غير الحيه ، التشبيه بالشمس والبدر والبرق
والنجوم واللؤلؤ والرمان • فالطلعة بالشمس والبدر •

بلوى انبليت بحب تلعا عنود
بالشمس من طلعة جينه تحايا

أو

والى طاحَ الْقَنَاعَ وَشَعَّ وَجْهَهُ
كَمَا غِيَمَ الْبَدْرَ مِتْجَلِّي

أو

فِرِيدَهُ كَالْمَهَا وَنُورَ خَدَّهَا
كَالْبَدْرِ نُورُهُ جَلَا الْحِنْدَاسَ بِشَعَالِ

والمبسم كالبرق في الدجى :

وبينَ الضواحيكِ وَحَاجِبِهَا إِلَى ابْتِسَامِ
بَرْقٍ بَدِيحُورٍ لَيْلٍ فِيهِ اضْأَلَى

أو

مَعَ طِفْلَةٍ تَسْبِي أَلْفُؤَادٍ بَضْحِكِهَا
مِثْلَ ابْتِسَامِ الْبَرْقِ فِي دِيحُورِهَا

والارداق كدعص الرمل :

وَأَمْزَايِمٍ مِثْلَ أَلْتَقَا بِنْفُودِهِ
يَكْسِرُ عَلَيْهِنَ رَاعِي أَلِدِينِ لُوتَابِ

أو كقول الآخر :

يَشَادِي جَنَى الرِّمَانِ زَامِي نَهُودِهَا
وَالْأَرْدَاقِ تُشَدِي رُوسَ الْأَطْعَاسِ وَقَافِ

وهذا آخر شبهها في ارتجاجها أيام الصيف ككومة من جميد الثلج
في بياضها وبضاقتها :

وَلِجَّةٌ رَدْفِهَا الْمَلْتَجُ بِأَلْقِيْظِ
جَمِيدِ أَلْتَلْجِ مَبْنَاهُ عَالِي

وهذا آخر يصفها بدعص رمل قائم تجرد من النباتات وسلم من كل
اثر ولمس ثم اصابه وابل اشرفت عليه الشمس بعده فبدت شقرته وصفا لونه:

الرَدْفُ طِعْسٍ يَا عَلِيَّ مَا وَطَىٰ بِهِ
غُبَ الْمَطْرِ شَمْسِ الْعَصِيرِ شَرَقَتْ بِهِ

والاسنان بالملؤلؤ :

كن اللولو بين اشافيه منظوم
او ضيق وبل محلم في قنونه
واستمدوا من المصنوعات اتشبيه بالرمح واقنا والمصباح والخمر
والشموع **** الخ

فريق الحبيه خمر يقول الشاعر :

منها رقودي يا الدردي سراهد
وشفا جروح اقلب خمره شفاها

والقد كاقنا والرمح :

هيفا تجمر بالضمير الى اقبلت
مثل اقنا المتهز رمح حامسي

او كقوله :

حسننا اقوام وقدها مثل اقنا
يهتز لذن وعصن نهده رامسي

والوجه في بهائه كالتعديل :

الفاضحات بحسينهن اقناديل
والذابحات بدلهن الزعاف

وكقول الآخر :

نَوْضٌ خَدُّهُ كَمَا شَعٌّ وَشِشْرَقٌ
شَعَّةٌ الْقَنْدِيلُ بِالزَّيْتِ الْعَيْتِقِ

وكقول الآخر :

صَافٍ الْخُدُودِ اللَّيِّ غَشَاهَا الْبِيَاضِ
تَوْضِي كَمَا الشَّيْشَهَ بَدُ كَانُ عَوَّاضِ

وقد يشبهونها بالشمعة كقول الشاعر :

بَقُولِ هَذَا شَمِعَةَ آلَيْتُ وَالْجَارِ
يَوْمِ انْطَحَحْتَنِي تَعْتَرِضُ بَدْرِ جَانِي

والحافظ العين بالسهم والسيوف :

ادعجِ غَنْجِ حَطَّ الْعَذَارَى مَمَالِيكَ
وَالى سَطَى ' سَيُوفِ الْآلِحَاطِ فَتَاكَ

وهكذا لاحظنا ان الشاعر البدوي لا يخرج عن بيئته في اختياره
الاصناف الجميلة يشبه بها محبوبته والمعاني لا تخرج عن الوصف المادي
والتشبيه بالطبي والريم ورائحة المرأة بروائح اعشاب البادية العطرية •
وكثيرا ما نرى الشاعر يصوغ غزله على شكل محاوره بينه وبين
لائميه يقول عبدالله بن سبيل :

قُلْتُ آهَ وَاجْرِحَاهُ مِنْ خَلَّتِي آهَ
وَإِنْ حَمَلُونِي حَمِيلٍ غِيِي قُوَيْتِهِ
قالوا سفا بالحال ويش اللي غَوَاهُ
قُلْتُ آهَ وَيَشِ الْمُنْكَرِ آلِي طُوَيْتِهِ

قالوا جهلتُ وبان علمك لهنهاه
قلت آه علمي يا ملا ما كميته

قالوا طلبنا لك من الله معافاة
قلت آه وحدثه وعفوه رجيته

قالوا ندور لك من البيض حلياه
قلت آه لو غيره بكفي رميته

قالوا نشأش العود مالك بالامان
قلت آه عود الموز بيدي لوبته

قالوا تزوج كود تدله وتنسأه
قلت آه لو خذت اربع ما نسيته

قالوا من اقصى الناس وبين أنت وياه
قلت آه ما انسى يوم جاني وجيته

قالوا نشوفه عند هذا وهذاه
قلت آه عمره ما عقب حج بيته

قالوا عليل ناقل داه برده
قلت آه يا قرايبي بروحي فديته

قالوا نشير ولا نفع ما حكيناه
قلت آه هراج النمايم عصيته

قالوا كثر شيك وقلبك بعماه
قلت آه لو قلبي غرير نهيته

مطواع قلبي بعجفاه وقداه
واللي عطى منهاج درب عطيته

يا ناسٌ خَلُّوا كُلَّ واديٍّ ومَجْرَاهِ
قَلِّتُوا كَثِيرًا وَقَوْلَكُمْ ما لِقَيْتِهِ

والغزل في الشعر البدوي في غالبيته عَفْ وذلك راجع الى طبيعتهم
فالبدوي عفيف بطبعه والعفة عندهم من مزايا الرجولة التي يجب ان يتصف
بها الرجل لانها تتلائم وخلقهم القائم على التعفف والغيره على النساء والحفاظ
على العرض من كل دنس لما لهذه الاشياء من علاقة وثيقة بمكانة المرء
وسمعه وقيمه بين الآخرين •

الا ان هذا لا يعنى اننا لا نجد في شعرهم اثرا للمجون وللغزل
الحسى الذي يجاهر فيه صاحبه بعلاقته بامرأة ما ويصف ما يجرى بينه
وبينها بكلام خال من التخرج • ولا عجب في ذلك فقد وجدنا في اشعار
الجاهليين من هذا الغزل الحسى الشيء الكثير على الرغم من انه كان يناقض
الخلق العربي الذي كان يعتبر العفة من الموازين التي توزن بها اقدار
الرجال ولم يكن العربي ليتغاضى عن المجانته والخلاعه وفي كتب التراث
الشيء الكثير من القصص والحوادث التي تؤيد ذلك ولا مجال لذكرها
الآن • وقد رأينا امرأ القيس يصول ويجول في هذا النوع من الشعر
وكذلك الاعشى وغيرهم •••

وهذا الذي نراه في شعرنا البدوي هو نفس الذي نراه في هذا النوع
من الشعر الجاهلي • من وصف للمغامرة التي يقوم بها وتسلمه الى بيت
الحبيبه ومغافلته لأهلها وغير ذلك مما نراه في قصائد امرئ القيس التي منها •

ويوم دخلت الخدر خدر عيـزة

فقلت لك الويلات انك مرجلى

وقوله :

سموت اليها بعد ما نام اهلها

سمو جاب الماء حالا على حال

وغيرها من القصائد التي تصف هذه المغامرات التي يقوم بها الشاعر
مع نساء له بهن علاقات غير بريئة ♦

يقول الشاعر البدوي ابو حمزة :

قال ابو حمزه وَهَيَّضَ مَا بُوهُ
فوق النَّضَا مِتْمَائِلٍ تَعْبَانِ
كم مجلسٍ عَلَّلْتُهُمْ بِرَبَا بِيْتِي
شُمَطَ اللَّحَى وَغَطَّارْفِ الْصِيَانِ
عَلَّلْتُهُمْ وَأَشْبَعْتُمْ تَعْلِيلَهُ
لَمَّا غِدَوَا مِثْلَ الْهَشِيمِ الْبَالِي
لِبَسْتِ سَيْفِي وَاحْتَزَمْتُ بِخَنْجَرِي
وَدَوَّرِ خَلِي بَاطِرْفِ النَّجْعَانِ
انْ جِيَتْ خَلِّي نَائِمٍ مِتْنَاوَمِ
نومَ الْخَشِيفِ الْجَادِلِ الْفَدْنَانِ
نِدَسْتُهُ بِالنَّايِفِ مِنْ اَصْبَاعِي
فَزَرَّتْ فِرْزِيزِ الْجَادِلِ الْعَجْلَانِ
وَصَاحَتْ بَعَالِي الصُّوتُ قَالَتْ يَبُّهُ
الذَّيْبُ دَكِ بَرِّعِلَّةِ الْطَلِيَانِ
وَقَامَ اِهْدَانِ عَلَيَّ اَرْجِيلِ بَعْسُهِنِ
مَا عَسَّ لِي مَدَعُوجَةِ الْعَيْنَانِ
قَالَتْ يَبُّوْ حَمْرَهُ وَشَ هَالْمَجِيبِكِ
وَالِيْتِ مَلِيَانِ وَعَلَيَّ اَرْجَالِي

قلت ما نبي بحال كثرهم من قلهم
 مثل الدجاج عيال هالساغاني
 بغيت انا يا بيض حبة اتمك
 وحببت خلتي اربعا وثمان
 ونمنا ونامت رحمة الله بيننا
 المسك والريحان له اعجبان
 ليما عمود الصبح بين شوفه
 وقمنا نحلب لمهرة وحصان
 قامت تواعدني ودمعها يذرف
 القاك يبو حمزة وتلقاني

فشاعرنا البدوي هنا يروي مغامرة وكيف انه بقي يساهر الرجال
 بربابته حتى نام الجميع فانس من بينهم وتمنطق بخنجره وحمل سيفه
 واتجه الى بيت الحبيبة وهناك رآها متناومة فلكرها باصبعه فافاقت كالظبي
 الخائف وصاحت على ابيها واخبرته ان الذئب هجم على الغنم فقام والدها
 لحراسة الغنم وهنا يسخر الشاعر منه لانه ذهب لحراسة الاغنام ولم يحرس
 ابنته • فقالت له ما الذي جاء بك والرجال من حولنا فقال لها انه لا يخاف
 منهم سواء كثر عددهم ام قل ولأن فتيان هذه الايام ليسوا من الشجاعة
 بشيء ثم ذكر لها شوقه وعانقها ثم نام معها حتى الفجر وغادرها وهي
 تعانقه وتذرف الدمع على فراقه وتضرب له موعدا وانه سيلقاها وتلقاه •

فهذه القصيدة فيها الشيء الكثير مما نجده في قصائد امرىء القيس
 والاعشى وسحيم وغيرهم • وهذا شاعر آخر يروي لنا مغامرته مع احداهن
 وكيف اغواها وقد تمنعت عليه ثم لانت واسلمته جسدها وبات عندها حتى
 الصباح تماما كصاحبه امرىء القيس التي تمنعت ثم لانت :

فلما تنازعنا الحديث واسمحت
هصرت بغصن ذي شماريخ ميسال
وصرنا الى الحسنى ورق كلامنا
ورضت فذلت صعبة اي اذلال
يقول الوضحي :

غابِ الْحَلِيلِ وَشَفِيتْ بِالتَّرْفِ مِيْلَاحِ
وَجِيتْ اَتِخْطِيَّ كَنَّ اَهْلَهَا نِسَابِه
قالت تِقْلَعْ لارْهَجِ النَّزْلِ بِصِيّاحِ
ماني مَنَ اللَّيِّ بِالرِدَى 'يِنْهَقَابِه'
قِمْتْ اَتِبْطَحْ لُهْ وَدَايِرُهْ بِالْمِزّاحِ
لانِ الْحَيْبِ وَقَامْ يِضْحَكِ بِنَابِه
ثارِ الْحَيْبِ وَطَبَّقْ آلَيْتْ بِسِيّاحِ
وَكَشَفْتْ عَن نامي الرِّدَايِفِ ثِيَابِه
غَطَيْتْ بِالثُوبِ الْحَمْرَ زَيْنِ الْمِزّاحِ
لما شِعاعِ الصُّبْحِ بَيْنَ سَرابِه
قالت تِنَقَّلْ هَذَا الصُّبْحِ بِبَاحِ
وَوَدَّاعْتِكَ عَرَضِنا وَالْحِزَابِه
قَلتْ ماني وَلدْ عَفْنِ عَلَي السَّرنَبّاحِ
اِيا قِفاغْنَه رَفِيقَه حَكى بِه
علمي بِهَم ياغْنم يَوْمِ الْمَطَرِ طَاحِ
وَأَيَوْمِ مَدْرِي وَيَنْ رَبِّي دِوَابَّه

مَدْرِي مَعَ اللَّيِّ سَنَّدٌ وَائِمَّ السِّيَاحِ
وَالَا مَعَ اللَّيِّ فَيَضُؤُا يَمَّ طَابَهُ

فهو قد رأى امرأة غاب عنها زوجها فأعجبته فمضى يتخطى امام بيتها كأنه نسيب لها او قريب ، فزجرته وهددته بانها ستطلب النجدة فهي ليست من اللاتي يؤمل منهن شيئا فهي شريفة مقيمة على ود زوجها ولكنه لا يعدم وسيلة لاغوائها فتارة يتملقها وتارة يمازحها حتى لانت وتبسم ثغرها فدخل بيتها وقامت وارخت الستور وتعرت وبقي معها حتى الصباح فغادرها ولم تنس ان تطلب منه ان يحتفظ بالسر فعرضها وديعة بين يديه فيؤكد لها حرصه على ذلك وانه ليس من الذين يفشون اسرار احبائهم *

ومن الملاحظ في هذا النوع من الغزل تكرار طلب المرأة من عشيقها ان يحتفظ السر وهو يؤكد لها ذلك ويعاهدها على عدم افشائه وهذا امر طبيعي بالنسبة لعاداتهم وتقاليدهم فالمرأة التي يعرف عنها انها على علاقة غير بريئة برجل آخر يكون القتل نصيبها * ومن اطرف ما قرأته في شعرهم حول هذه الناحية هذه القصيدة التي يروي فيها الشاعر مغامرته وكيف انها تمنعت عليه خشية ان يفضحها ويكشف سرها بين الناس الا انه يؤكد لها حرصه على سرها حرصها عليه ويؤدي ذلك بأسلوب لا يخلو من مجون وظرف * يقول :

يا عَشِيرِي يَا عَشِيرَ اللَّزْزُومِي
طَرَفٍ اِغْطَا مِنْ يَمَنِّهِ لِيَهْ تَخْلِيهِ
اشو ما سَدِّي لَسَدِّكَ لِيْزُومِي
سَدِّكَ هَيْلٍ وَدَبَّ اَلْاَيَّامُ تَطْرِيهِ
سَدِي غَمِيْقٍ وَلَا دِرْنَ بِهِ هَدُومِي
يَلُونِي بِالْقَبْرِ اَلضُّوَيْجُ فَلَاطْرِيهِ

اخاف من ورسٍ يطبُّ هدومي
يفظن غيري قاعدٍ عند اهاليه
اتيكَ مصلوخٍ وارسٍ هدومي
وحت ابريم يا ريش العين لا ريمه

فهي تقول له :

انها تمتنع عنه لانه لا يحفظ السر فهي ليست بحاجة لان تودعه
سرها لان سره سرعان ما يعرف وسيردده الناس على مر الايام الا انه يؤكد
لها حرصه على السر ومحافظته عليه وانه لا يبوح به حتى ولو انزل الى
القبر الضيق • ولا يكتفى بهذا التأكيد وانما يزيد على ذلك بانه لحرصه
على ان لا يفتضح ما بينهم يخشى من ان يعلق بشابه شيء من الورس الذي
تتطيب به فيلفت ذلك نظر الاخريات لذا فهو سيأتيها عاريا من كل شيء
حتى لا يعلق به ما ينم عن علاقتهما وبهذا سيبقى السر بينهما في حرز
حريز •

والشعراء يتفننون في ابعاد الشبهه عن حبيباتهم خشية ان يعرفن •••
فهم عادة لا يذكرون اسم الحبيبة ابدا • ومنهم من يختم القصيدة بيت
بذكر فيه ان كل هذا الذي قاله انما هو حلم رآه في منامه • او ان يفعل
كما فعل شاعرنا الاسبق عندما اراد ان يعبد المرمى ويزيل الشبهة فقال :

علمي بيهم يا غنيم يوم المطر طاح
واليوم مدري وبين ربي دوابه

مدري مع الي سندوا يم السياح
والامع الي فيضوا يم طابه

فذكر ان هذه الحادثة كانت في الايام التي نزل بها المطر - وقد
يكون هذا المطر قد نزل قبل عام او اكثر ولم يكتفى بجعل الحادثة قديمة

وانما زاد على ذلك بانه لا يعلم الآن مكان قوم عشيقته اهم مع الذين نزلوا في منطقة « السباح » او مع الذين حلوا في منطقة « طابه » فهو بهذا قد ابعد المرمى على سامعيه من ان يشكو بامرأة معينة من القبيلة •

وقبل ان احتم الحديث عن الغزل لابد لي من ان اذكر جانباً آخر وهو الغزل النسوي • ففي البادية شواعر كثيرات ومنهن من تغزلت بخبيب لها وقالت فيه القصائد الكثيرة ••• ومن الملاحظ ان الشاعرة البدوية في غزلها نادراً ما تذكر احساسها ومشاعرها تجاه من تحب أو تصف حالات الوجد ولو اعج الحب كما هي الحال في شعر الشعراء وانما نكتفي بتعداد الخصال الحميدة فيمن تهوى من شجاعة وكرم وصفات أخرى بزّ بها اقرانه فغزلها اقرب الى المدح منه الى الغزل تقول دكيس من قصيده لها في الشيخ ماجد الدويش وقد تزوجها فيما بعد :

وجدي على اللّي جدم بيته حجيره
اللّي تمنّاه العجّاف المعايير
ما جد ليّار كَبَ الجواد الظهيره
تقطّعت حيراتها والمخاليل
خيال مار ما يردد نشييره
وغاد على روس النوازي دعائير
زين الحصان اللّي قطّاته كبيرة
وفكّك بالضيجات زمّل الغنادير

فهي في قصدها لم تذكر اي شيء له علاقة بحبها ووجدها وانما اكتفت بتعداد صفات حبيبها من انه كريم وانه فارس شجاع يستهين بالصعاب وانه حامي الذمار الذي يفك نساء القبيلة من الاسر ويردّهن مع الاموال التي سلبها الاعداء •

وهذه طفلة الدويش تخاطب عمها وطبان ذاكره له حبها لخلف
 السنافي ورغبتها بالزواج منه وكان عمها قد اعطاها وعدا بان يترك لها الحرية
 في اختيار الزوج الذي تريده وهي في قصيدتها لا تخرج عما لا حظناه
 سابقا في غزل الاخريات فهي تذكر لعمها انها تحب خلفا ثم تبدأ بمدح
 حبيبها ومنحه الصفات الحميدة في عرفهم فهو الكريم الشجاع والبطل
 المغوار الذائد عن حياض القبيلة وهو الغني الذي تعجز الجمال عن حمل
 امواله لكثرتها ولا تسي في هذه الحالة من القول بان هذه الاموال لم
 يرثها عن آبائه وأجداده وانما جمعها يميناه كناية عن غزواته وغاراته •

يا عمّ يا وطبانّ شَفِّي خَلافي
 شَقِّي غَلامٍ تَدَفَّقَ السَّمينُ يميناه
 شَقِّي خَلفَ زَينِ العِمالِ المَجَافِي
 زَينِ آلِهِليبِ الى اِرْتِخِي سَيرِ عَليّبا
 وَعَجَزَ الجَملُ يَنقلُ جِهازَ سَنافي
 ما هوَ وِرْثِ جَدودِ شَبَثِ يميناه
 خَلفُ بالصَيفِ هَفْهُوفٍ وبِالشتا دافي
 والعفو ياما حلى النومِ وَيَيا

وهكذا نرى ان غزل النساء يكاد يكون جميعه على هذه الشاكلة وانه
 الى المدح اقرب منه الى الغزل غير اننا نجد بعض القصائد تتعرض فيها
 الشاعرة الى ذكر مشاعرها تجاه من تحب وما فعله حب من تهوى بها مثال
 ذلك هذه الايات وهي من قصيدة للشاعره دكيس قالتها في ماجد الدويش
 ايضا وهي طويلة ولكني لم اتمكن من جميعها كلها • تقول :

انا بِشَفِّي واحِد من هَلْ الكُور
 وَهُوَ عِشَقَني من ناقلين التَفاكِه

لِعَبِّ بَقَلْبِي لِعِبَّةِ الْغُوشِ بِالْكَوْرِ
 وَأَوْ مَا بِي أَوْ مَايَ الْعَصَا بِالْعَلَاكِهِ
 هُوَ صَارَ لِي عَوَّكْتُ وَأَنَا صَرْتُ عَوَّكْتُ
 وَالْكَلُّ مَنَا صَارَ شُوفُهُ شُفَاكِهِ
 عَوَّكْتُ الظُّلِيمِ يَا تَحَدَّرَ مَعَ الْخَوْرِ
 مُنَّحَ الْكُرَى 'يِدْرِجُ عَلَى عَظْمٍ سَاكِهِ
 خَلَيْتَنِي لِحَدِي وَلِبَدِي وَلَا تُورُ
 كُنِي خَلْوِي عَاقِلِينُهُ وَسَاكِهِ

فهي تقول انها بشوق الى واحد من الفرسان حملة البنادق من اهل
 تلك التلال وهو قد احبني ولعب بقلبي كما يلعب الاطفال بالكرة ، وجعلني
 جبهه كالعصا المغروسة في ماء يلعب بي التيار كيفما يشاء ♦

لقد اصبح شاغلي كما اصبحت شاغلته واصبح الكل منا يتلهف على
 رؤيا صاحبه ♦ ثم تقول لقد تركتني ايها الحبيب من شدة الحب والسقم
 لا اتمكن من القيام بعمل ما فلا اتحرك ولا اقوم ولا اتكلم كاتني رجل
 شدوا وثاقه حتى يؤدي ما عليه من دين ♦

هذا الذي ذكرناه يمثل الغزل البدوي المعاصر وهو كما نرى لا يخرج
 عما الفناه في شعرنا العربي القديم من حيث الصور والتشبيهات والاساليب
 وختاما اقول اننا لا نجد في الشعر البدوي غزلا بمذكر مطلقا تماما كما هو
 الحال في الشعر الجاهلي ♦

الفصل الثاني

المدح

وهو فن من فنون الادب العربي وباب واسع من ابواب شعرنا منذ الجاهلية حتى الآن • ولم يكن المدح في الاصل اداة للتكسب والارتزاق فكثيرا ما كان الشاعر يتجه بفضه الى مدح بطل او أمير من قبيلته ولكنه لم يكن يفكر قديما بالجائزة الرنانة التي نزلت بمكانة شعراء المديح المحترفين - منذ عهد النبي (ص) - الى درك المتسولين بالغناء^(١) •

فالمهلل وامرؤ القيس وغيرهما من شعراء الجاهلية الاوائل كان مدحهم ناشئا عن حب عميق وشعور صادق واعتراف بالواقع - ولم يكن في اي حال من الاحوال ملقا وتزلفا لانهم لم يتكسبوا بشعرهم ولم يحترفوا بمدحهم ، وهذا زهير بن ابي سلمى في مدحه لهرم بن سنان انما كان يعبر عن اعترافه بروعة العمل الذي قام به هرم ولم تكن غايته الكسب مطلقا فلو كان طامعا بالجزاء المادي لحصل على الكثير وقصته مع هرم معروفة •

فالشاعر العربي انما عبر عن اعجاب العرب بالخلق الحميد والكرم والشجاعة وحسن الرأي والصدق والامانة وغيرها من الخصال التي يعجبون بها فامتدح هذه المثل العليا التي رآها عند ممدوحه ، فالممدوح في رأى الشاعر هو الذي يجمع الصفات المثلى التي يعتر بها العربي ويفخر بها • وما زالت هذه الخصال التي لهج بها الشعراء القدامى في مدحهم هي نفس الصفات التي تدور على السنة شعراء البدو المعاصرين لانها ما زالت كما كانت قديما امورا مستحبه في البادية يعترفون ويفخرون بها •

(١) بروكلمان - تاريخ الادب العربي ص ٥٧ •

والمدح في شعر البادية الحاضرة يصدر عن قسمين من الشعراء القسم الاول ويكون في اكثره نابعا عن شعور صادق عميق يحمله الشاعر لمدوحه دون ان يفكر بجزء مادي ثنا لما قاله لان الشاعر يكون في العادة في مرتبة المدوح وهؤلاء الشعراء هم امراء وشيوخ ووجوه وفرسان البادية فليس من المعقول ان يتكسبوا بشعرهم لانهم ليسوا بحاجة ولان البدوي يستهدف الحياة القاسية والموت على ان يمد يده مستجديا لما جبل عليه من انفة وكبرياء يقول شاعرهم :

اشرب من المية الكدرة وبيها عطين
اشوى ولا اقول يا عفن الرجال عطيني^(١)

اما القسم الثاني فهو صادر عن شعراء محترفين - ان صح التعبير - وهم فئة مرتزقة ينتجون الامراء والشيوخ يمدحونهم ليحصلوا على اعطياتهم وغالبية هؤلاء الشعراء من قبيلة الصليب^(٢) .

وهذا الصنف من الشعراء محقر عند البدو الا انهم رغم احتقارهم لهم فهم يخشون الستهم فيجزلون لهم العطاء .

وشعر المديح بغض النظر عن صفة قائله يدور كله حول ابراز الصفات الطيبة والمزايا الرفيعة والاخلاق السامية عند المدوح فهو يصل الرحم ويفك الاسير العاني ويحمي أعراض القبيلة ويجير المستجير وهو الكريم

(١) عطن - أي العفونة - اشوى - اهون . عطني - اعطني .

معنى البيتين : يقول : انه يشرب الماء الكدر الموبوء ويتحملة فذلك

اهون عنده من مده ليده استجداء وطلبيا للعطاء من الرجال .

(٢) الصليب عشيرة محتقرة بين البدو لا يغزون ولا يغزون ولا يزوجهم

أحد ولا يتزوجون من احد . يسكنون الاماكن القصية في الحماد التي لا يطرقها غيرهم وهم صناع للبدو يبيضون القدور ويصنعون النعال .

عشائر الشام ج ٢ ص ١١٢ .

الشجاع الى آخر هذه الخلال التي يعتز بها البدوي المعاصر كاعتزاز سلفه بدوي الجاهلية ♦

يقول عبدالعزيز بن عيد من آل حجلان المشهور بالعزى في مدح احد شيوخ شمر من آل الجربا :

يَا أَلزَيْرُ يَا الزَحَّارُ يَا النَّمْرُ يَا الذِيبُ
يَا أَللَيْثُ يَا أَللَّيْثُ يَا أَللَّيْثُ يَا الشَّبْلُ يَا الدَابُّ (١)
نَطَّاحٌ طابورَ الْعَسَاكِرِ إِلَى هَيْبِ
بِالسَّيْفِ لِأَرْقَابِ الْمَنَاعِيرِ قَصَّابٌ (٢)
عِيَهُ إِلَى مَنْ قَالُوا أَنَّاسٌ بِهِ عَيْبٌ
لِلسَّمَنِ فَوْقَ مَفْطَحِ الْحَيْلِ صَبَّابٌ (٣)

فهو قد وصفه بالشجاعة والكرم ♦♦ فهو يخرج مبارزا لجموع الجيوش عندما يخافها الآخرون ولا غرابة فهو معروف بانه لا يهاب احد وكيف يخاف وهو جزار لرقاب الشجعان يزيلها بسيفه ♦ وعيه الوحيد اذا قال الناس ان به عيبا هو انه صباب للسمن فوق اعجاز الغنم ♦♦ وهذا منتهى الكرم والبذل ♦

ونلاحظ هنا ان الشاعر قد أكد المدح بما يشبه الدم وهذا كثير في شعرهم اما ابن لعبون فيصور ممدوحه بقوله :

اسطى' مَنْ أَلضِرْغَامُ وَأَمْضَى' عَزَّائِمُ
وَأَقْطَعُ مِنْ أَلصَّمَامُ وَأَكْرَمُ مِنْ أَلدِيمِ (٤)

-
- (١) الزير ، الزحار ، النمر ، الليث ، اللايوث الشبل . كلها أسماء الاسد . الداب - الحية الافعى .
(٢) نطاح . صفة مبالغة أي نطاح مبارز . الى - اذا . رقاب المناعير - رقاب الشجعان . قصاب - جزار .
(٣) الى من - اذا ما . مفطح - عجز . الحيل الغنم التي لم تحمل مدة سنة أو سنتين . صباب - مبالغة في كثرة الصب .
(٤) اسطى - اشد سطوة .

معطي الجساييم مهَيُوبُ النساييم
عوقِ الخصيمِ وشوقٍ من كَنَّهَا الريم^(٥)

فهو أشد سطوة من الضرغام وامضى عزيمة ، وهو كالسيف الباتر بل أشد مضيا ، وهو أشد كرما من المطر الذي ينعش الأرض الضمأى وما اشبه قوله هذا بقول النابغة :

وانت ربيع ينعش الناس سبيه
وسيف اعيرته المنيّة قاطع

ويستمر ابن لعبون باطلاق الاوصاف على ممدوحه ليقول انه معطي العطايا الجسيمة تنابه الناس لما له من هبة في قلوبهم كيف لا وهو من هو في الشجاعة والرجولة فهو منية أعدائه وهلاكهم وهو بعد كل هذا ممن تعجب به النساء وتشتاقه كل جميلة تشبه الريم •

ونراه في قصيدة أخرى يقول :

شبلِ نِشاً ما داسُ بالعُمُرُ عَدْرُوبُ
ومنزهٍ ما عابَ عَرَضُهُ ولا عيب^(١)
ديمِ المَحَلِّ ، مرغى الفَحَلِّ عَقْبُ ما هوب
يرزِمُ طُويلِ النَّابِ • شوقِ الرعايب^(٢)

فهو شبل نشأ ولم تطأ قدمه طيلة عمره ما يعيبه فهو منزّه عن العيوب ولم

- (٥) الجساييم - الهبات الجسيمة • عوق الخصيم - هلاك العدو •
شوق - حبيب أو زوج أو الرجل الذي تشتاقه النساء ويعجبن به •
(١) شبل : ولد الاسد - ما داس - لم يبطأ • عدروب - عيب •
(٢) ديم : المطر الدائم التسكاب • المحل - الجذب • مرغى الفحل
أي جاعل الجمل الشرس يرغى بعد هديره والجمل يرغى اذا خضع وذل
ويهدر ويرزم اذا تعاطم واغتاط - طويل الناب - أي بازله والمعنى انه
مكتمل في سنه •

يمس عرضه ما يشينه • واما كرمه فهو للناس كالمطر للارض المحله
المجديه واما بطولته وشجاعته ، فهو مذل الرجال الشجعان الذين يذلون له
ويستكينون وهم على ما هم عليه من قوة وفجولة •

ثم يختم مدحه بصفة أخرى فيصوره بانه ممن تشاقه الرعايب ذوات
الحسن والدلال •

اما الظلماوي فينادي بمدوحه بقوله :

يا بو أَيْتَامِي وَالْعَمِيَّ وَالْمَحَادِبِ
وَيَا عِزَّ مَنْ صَارَ الْعَصَا ثَالِثًا لَهُ
تَكْفِي مَحَالِيبًا وَتَمَلًّا مَحَالِبِ
كَبَدًا تَيْبَسُّهَا وَكَبَدًا تَيْبَلُّهُ
إِفْطِنِ بِرُوحِكَ يَا قَلِيلَ الْعَذَارِبِ
لَوْ تَسْتَحِي مَا تَجْمَعُ الطَّيْبُ كُلَّهُ

فاليتامى والعميان والمشوهون انت ملاذهم الوحيد حتى أصبحت لهم
أبا وعزا لمن ادركه اردل العمر نشاخ وأصبحت العصا رجله الثالثة وانت
مع كل هذا الحنان والشفقة جبار قاسي على الاعداء فانت الخير للمحتاجين
والشر على الاعداء تديقهم الموت وتسلبهم ما يملكون •• ثم نراه بعد هذا
يذهب في تأكيده لمدحه بصيغة الذم فيقول : التفت الى نفسك يا قليل العيوب
فأنت لو تخجل لما جمعت الطيب كله ولم تترك لغيرك خصلة حميدة
يتحلى بها •

(١) العمى - العميان • المحاديب جمع احدب •

(٢) تكفى - تكفىء • تملا - تملأ • المحاليب وعاء الحليب • تبله •
تببله ترطبه •

(٣) العذاريب : جمع عذروب أي العيب • الطيب • الخصال الحميدة
والذكر الحسن •

فهؤلاء الشعراء لم يخرجوا في مدحهم عن نعت ممدوحهم بالكرم والشجاعة والعفة والعطف على المحتاجين وغير ذلك من الخصال الحميدة التي كلفوا بها ولا يخرج مدحهم عن هذه الاوصاف فلم يدح في شعرهم على كثرته لا يكاد يتعدى هذا الذي قلناه والشعراء يتفننون باداء هذه المعاني بأساليب مختلفة • ويتوسلون اليها بصور وتشبيهات تتلاءم وبثمتهم •

وكثيرا ما نرى هؤلاء الشعراء يلتفتون الى التاريخ العربي يختارون من بين ابطاله ورجالاته نماذج يشبهون بها ممدوحهم •

فالشاعر عندما يريد وصف ممدوحه بالكرم فمن غير حاتم الطائي • • وان اراد الشجاعة والفروسية فمن غير عنترة بن شداد •

حُرٌّ مَصْلَصٌ • عَنَتِرِ الْحَرْبِ بِالْكَوْنِ
بالجود حاتم طي كَسَّابٌ وَهَّابٌ (١)

وهذا محمد عبدالله القاضي في مدحه لطلال عبدالله الرشيد لم يجد شجاعة يشبه بها شجاعة ممدوحه ولا وصفا يصفها به الا قوله بانها قد احيت ذكر خالد بن الوليد ولم يكتفي بهذا بل زاد على ذلك قوله بانها انست الناس حكايا البطولة التي اشتهر بها أبو زيد الهلالي وذياب ابن غانم بطلا الملحمة الشعبية المشهورة • • ويبدو ان شاعرنا أحس بأنه لم يعطى هذه الشجاعة حقها فقال - لو ان عمرو بن معد يكرب الزبيدي ما زال حيا للجا إليك يحتمى بك ويأمن في حماك •

احيت شجاعة خالد بن الوليد
وَأَنْسَيْتِ قَالَتِ لَابِي زَيْدٍ وَذِيَابِ (٢)
لو كان عمرو بن معد الزبيدي
حي لجا بحمائك يا زاكي الأنساب

(١) حر مصلصل : عريق في النسب • الكون : المعركة والالتحام •
(٢) قالات : حكايا • لجا : لجا •

اما العوني فيقول ان لمدوحه صولات اذا ركب للمعركة لم ينقل
الرواة يوما ان ابا زيد الهلالي صالها أو ان عترة بن شداد نالها •

لَهُ هِدَّةٌ مَا قِيلَ اَبَا زَيْدٍ هَدَّهَا
وَلَا عَتْرَةَ الْمَشْهُورِ مَا قِيلَ نَالَهَا (١)

ونراه في مكان آخر يذهب في مدحه الى حد المبالغة في وصفه لكرم
صاحبه فيقول لو ان البرامكة ومعن بن زائدة وحاتم الطائي رأوا عطاياك
لقالوا دعونا نمضي اليه نطلب العلي والنوال من كف ستغنيا عطاياها وهباتها •
فهل من كرم هناك يفوق هذا الكرم •

فَلَوْ اَلْبَرَامِكُ وَمَعْنٍ وَحَاتِمِ الصَّخَا
شَافُوا عَطَايَا « اَلْخَلِيْفَةِ » وَمَنَاقِبَهَا (٢)

قالوا دعونا نسير نطلبَ اَلي
من كف « عيسى » تُغْنِيْنَا وَهَآيِبَهَا (٣)

وهل هناك من سعى في طلب الثأر وبالغ في ذلك كما سعى المهلهل في طلب
ثأر أخيه كليب فهو قد أثارها حربا عوانا دامت سنين طويلة وقتل الكثير
بدم كليب ولم يهدأ ولا شفى غليله • فاختاره العوني ليشبهه به ممدوحه
الذي سار على سنة مهلهل وجددها بعدما تقادم عليها الدهر •

سِنَّةٍ مَهْلَهْلٍ عَنِ كَلِيْبٍ خَلِيْصَه
فَرَضَهَا أَبُو ثَامِرٍ وَجَدَدِ اسْمَالِهَا (٤)

(١) هدة : صوله • هدها : صالها •

(٢) البرامك : البرامكة • الصخا : السخاء • الخليفة : المقصود آل
خليفة امراء البحرين •

(٣) عيسى : هو عيسى بن علي آل الخليفة •

(٤) أبو ثامر : كنية الممدوح • جدد اسمالها : جدد قديمها •

وَذَبِحَ بَعْبَدَ اللَّهِ شَيْوْخٍ كَثِيرَةً

مُصَابِيخُ ظَلَمَهُ •• بالدجى ينغى لها^(١)

اما حميدان الشويعر فيصف ممدوحه بالعدل والكرم والحلم والدهاء فهو
قد أخذ العدل من كسرى والكرم من حاتم والحلم من الاخنف بن قيس
والدهاء من عمرو بن العاص ••• وقد اشتهروا جميعا بهذه الصفات •

خَذَ الْعَدْلَ مِنْ كَسْرَى وَمِنْ حَاتِمِ الصَّخَا

وَمِنْ أَحْنَفِ حِلْمِهِ وَمِنْ عَمْرُو هَاجِسِهِ^(٢)

وها نحن نورد في ختام كلامنا عن المدح بعض النماذج وهي كسابقاتها

من حيث المعاني التي طرقتها في تعداد صفات الممدوحين •

يقول العوني :

عبد العزيزِ حَجَابٌ نَجْدٍ عَنِ الرُّومِ

ابْنُكَ نَجِيكَ هِدْمٌ صَوْلَاتٌ مِّنْ صَالٍ^(٣)

عِزِّ الرِّفِيقِ وَذُلِّ مَن يَنْقُلِ الرُّومِ

لَطَامٌ هَامَاتِ الْعَدَى مِتْلِفِ الْمَالِ^(٤)

(١) بالدجى ينغى لها : أي تستحق ان يتحمل الانسان عناء الذهب

اليها •

(٢) كسرى : هو كسرى انوشروان الذي اشتهر بالعدل • هاجسه :

دهاء •

(٣) حجاب : سد ، مانع - الروم : الافرنج • نجيبك - الذي

انجبتة • صولات - جمع صولة •

(٤) الزوم - الكبرياء والغطرسة • لطام - صفة مبالغة من لطم •

متلف المال أي كريم سخى •

حُرًّا إِلَى مِثْنَهُ شَهْرًا وَأَدْرَجِ الْحَوْمَ
عَقْبَانَ نَجْدٍ عَنْ مَرَامِيهِ تَنْجَالًا (١)
رَيْفٍ عَلَى الْعَانِينَ نَصْرٍ لِمَظْلُومٍ
سُوًّا عَلَى الْمَسْوِينَ قَصَافٍ الْآجَالَ (٢)

ويقول عبدالله بن سبيل :

عَوَقِ الْخَصِيمِ وَسِتِّرِ مَنْ تَذْهَلِ غَطَاهُ
لَاهِجٍ مِنْ عَجٍّ السَّبَايَا قُعُودُهُ (٣)
وَلَا يَسْنَدُ إِلَّا مَرُوي حَادٍ شَلْفَاهُ
يَمْنَاهُ عَلَى نَشْرِ الدِّمِيِّ مَحْمُودُهُ (٤)
زَيْنِ الْخِصَانِ إِلَى ارْتَخَى سِيرِ عِلْبَاهُ
يَشْنِي وَرَاءُ ، وَيَحْتَمِي كُلَّ عَوْدِهِ (٥)
كَانَ السَّبَايَا يَوْمَ تُوْحِي مِثَارَاهُ
صَيْدٍ مِنْ الرَّمَامِيِّ تَقَافِي جَهْودِهِ (٦)

(١) حر - صقر • الى منه - اذا انه • شهر - حلق • ادراج الحوم -
ذرع الفضاء مستطوعا • عقبان جمع عقاب • مراميه - موطنه • تنجال - تجلو •
(٢) ريف على العانين - ربيع المحتاجين • سو : سوء • المسوين :
المسيون •

(٣) عوق الخصيم : هلاك الخصم • من تذهل غطاه : التي تذهل
عن ستر نفسها من الفزع • العج : القبار • قعوده - جملة •
(٤) يسند • يوقف فرسه • شلفاه : شلفته • الدمى : الدماء •
(٥) سير : قطعه مستطيلة من الجلد • علباه : علبته ، رقبته • يشنى
وراه : ينعطف على الاعداء ، يقاتل خلفه • ومعنى البيت : ان الممدوح زينة
الجواد اذا تعب من كثرة الطراد في المعركة فتراه يقاتل رغم هذا فتلوذ به
الخيال الكبيرة السن التي انهكها التعب • وهذا منتهى الشجاعة •
(٦) كن : كان • السبايا : الخيل • مثاراه : ثاراته (معارك الثأر) •
معنى البيت : كان الخيل يوم معاركه مع أعدائه في ركضها غزلان
افزعها الصائد فانطلقت تعدو •

ويقول معزي :

يا راكباً من عندنا فوقَ مَشْدُودِ
حُرِّ معَ الدِيَّانِ زِينُهُ فِدِيدَهُ (١)

تلفي على حَمُودٍ وَأَنْ قِيلَ حَمُودِ
ما جابنِ النَّسوانِ مِثْلُهُ وِلِيدَهُ (٢)

عقيدَ قَومٍ سَاطِرُهُ مَالِها حَدُودِ
تِنهِمُ على الصَّابورِ جَمْعَةَ عِبِيدَهُ (٣)

وقال آخر مادحا عبدالمحسن آل هذال :

يا مزنَةَ غِرَّةٍ تُمَطِّرُ شِمَالِي
ترمي على رُوسِ المعادي جلاميدَهُ (٤)

(١) مشدود : الجمل اذا أعد للركوب . حر : الصقر . الديان :
الفيافي والقفار الفديد : الجرى .

(٢) تلفي : تأتي ، تصل . ما جابن : لم يلدن . وليده : الرجل
الشجاع الجريء .
معنى البيت : سيكون ملفاك حمود الذي اذا ذكر اسمه ادرك الجميع
ان النساء لم يلدن مثله .

(٣) عقيد : أمير الغزو وقائده . ساطره : الصفوف ، الجموع
المصطفه . تنهم : تهجم . الصابور : المحاربون . جمعه : مجموعته .
معنى البيت : انه عقيد في قوم اذا اصطفوا للقتال فصفوفهم لا حد لها
لكثرتهم . وجموع عبيده لكثرتها تهجم على المحاربين دون خوف أو وجل .

(٤) غرة : غراء . روس : رؤوس . المعادي : الاعداء . جلاميد :
جمع جلمود ، الصخر . معنى البيت يقول انت مزنه من المطر تعطى الخير
لنا وترمي الصخور على رؤوس الاعداء يريد بذلك انه فارس وشجاع فهو
كالمزنه التي تمطر صخرها على الاعداء فتفتنيهم .

زَيْدِيَّهَا يَفْهَدُ رُوسَ الرَّجَالِي
وَعِشْبِيهَا قَرُونِ مُنْبَهَيْنِ أَلْوَالِيدِ (١)
يَتَلَوْنَ أَبُو عَجِيلٍ مَاضِي الْفِعَالِي
مَاصٍ أَحَدِيْدٍ اللَّيِّ يَقْصُصُ الْبُوَالِيدِ (٢)

نكتفي بإيراد هذه النماذج التي اعطينا على ما اعتقد صورة واضحة عن المدح في شعرهم وعن المعاني التي تناولوها في هذا الموضوع وهي في مجموعها لا تخرج عن ذكر الصفات التي لهجت السنة الشعراء القدامى بها • وهي كما رأينا مستمدة من البيئة البدوية مطبوعة بطابع القوة فالشاعر يمدح بالصفات والسجايا التي يفتخر بها البدوي وهي لا تعدو البطش والفروسية والشجاعة والانفة والكرم ••• الخ •

(١) زبيديها : الزبيدي نوع من الكماه • قرون • ذوائب الشعر مفردا قرن • الاواليد : الاولاد ، الفتيان عندهم •
معنى البيت : ان الكمأة التي تنتج من هذه المزنه هي رؤوس الرجال والعشب هو خصل شعر الفتيان يريد بذلك كثرة القتلى الذين يسقطون في ساحة المعركة من قوته وبطشه •
(٢) ماص : ماس • اللي : الذي • البواليد - الفولاذ •
معنى البيت : انت معروف بافعالك الجليلة وشجاعتك فانت بعزيمتك وقوتك تقطع الفولاذ فاذا كان الماس يقطع الزجاج فانت ماس الحديد الذي يقطع الفولاذ •

الفصل الثالث

الرثاء

البدوي بطبيعته لا يخشى الموت أبدا ولا يخافه فهو أمر لا بد منه وهذا أمر فرضته عليه طبيعة حياته وان الحذر لا ينبجى من القدر وانه لا بد من خرقه بيضا على السنة
والموت من قبلنا ما عاف راکان

ولذا فهم لا يجزعون على الميت كثيرا • ولا يبقى الاسى في نفوسهم مدة طويلة • والبدوي لا ينهار أمام الفجيعة بل نراه يتجلد وتبقى الرجولة مسيطرة عليه • فإظهار الحزن والتوجع ليس من صفات الرجال وانما هو من صفات النساء لذا فمن النادر أن نجد بدويا يبكي أمام الآخرين على عكس النساء اللواتي يندبن ويلطمن الخدود • وهم في هذا لا يخرجون عما كان عليه اسلافهم عرب الجاهلية • إذ أن اظهار الحزن لم يكن يناسب رجال القبيلة كما كان لاثقا بنسائها ، وخاصة بالاخوات (١) •

الا انهم رغم جلدتهم هذا سرعان ما يعلو الحزن وجوههم اذا سمعوا شيئا من شعر الرثاء لذلك نجدهم لا يحبون شعر المرثي يقول الاستاذ أحمد الخطيب طلبت من الشيخ طراد السطام مرثية شقيقته سيطه في شقيقه ممدوح السطام فقال انها لا تشد عندي (٢) •

وشعر الرثاء غالبا ما يكون تعدادا لصفات الميت الحسنة ، وحسرات

(١) بروكلمان تاريخ الادب العربي ص ٤٨ •

(٢) الشعر عند قبائل الرولة - بحث موجز لم يطبع •

على فقدته وتألماً لفراقه ولا يخرج عن ذلك الا في النادر القليل تماما كما هي الحال في شعرنا العربي القديم •

وشعر الرثاء في مجموعته صادق العاطفة مصدره القلب ودافعه الالم والتأثر فليس للتكلف ولا للتصنع فيه نصيب •

يقول ردهان بن عنك في الشيخ صفوق بن فارس وكان فارسا عظيما من فرسان قبيلة شمر وسيدها • قتل غدرا بيد أحد الولاة الاتراك حوالي عام ١٨٤٠ - ١٨٤١ •

وَنِيَّتْ وَأَنَا مِنْ غَفِيلِهِ
وَنَّةٌ عَجُوزٌ وَقَفَّتْ بِالْمِتَارِيسِ (١)
لِقَتْ وَلَدَهَا غَادِيٍّ مَعَ حَلِيلَةٍ
وَعُقْبِ الطَّرَبِ بَدَلَتْ بِالْهَدَارِيسِ (٢)
وَاوَيْلٌ أَقِيلٌ صَفُوقٌ وَأَطُولٌ وَيَلَةٌ
وَيْلٌ يَمُوسٌ بِسُرَّةِ الْقَلْبِ تَمُوسِيسِ (٣)
مَنْ غِيَّتْ عَنَّا يَا بِنَ أَخِي سَيْلِهِ
غَابَ السَّعْدُ عَنْ نَزْلِنَا وَالنَّوَامِيسِ (٤)
وَنِرْتَعٌ رَتِيعٌ الصَّيْدِ وَنَجْفَلٌ جَفِيلِهِ
وَصِرْنَا مِثْلَ فِرْزِ الْمَاعِزِ بِلَا تَيْسِ (٥)

- (١) ونة • أنة • المتاريس : جمع متراس •
(٢) لقت : لقيت • غادي : غاد ، ذاهب • عقب : بعد • بدلت : ابدلت • الهداريس : الامور المهلكة •
(٣) واويل : كلمة يطلقونها للتوجع وهي مرادفة لكلمة ويلاه •
يموس : مشتقة من الموسى ، أي السكنين والمعنى يقطع •
(٤) نزل : جمعها نزول ومعناه مخيم القبيلة • النواميس • مفردها ناموس تأتي بمعنى الشرف وتأتي بمعنى العز والفخر أو ما يجعل الانسان يفتخر به ويعتز •
(٥) فرز : قطيع • المواز : الماعز • التيس : ذكر الماعز •

انه يشن انين عجوز ثكلى فقدت وحيدها وزوجته وهي في أيام عرسهما
فأبدلا الطرب بالهلاك ويعود هاتفا بجزع : ويلى على صفوق عندما نعاها
الناعي ويلى عليه ويا طول ويلى • ويل احسه يقطع قلبي تقطعا ويمزقه
وجدا والما - فمند أن غبت عنا غاب السعد عن ديارنا وأفلت الذكريات
المشرقة ولن نرجوا بعد اليوم احداثا ووقائع تجعلنا نفتخر ونعتز بها ومن
أين تأتينا وقد تركنا غيابك كغزلان الصيد مطمعا لكل طامع حتى بتنا نجفل
جفلته ونرتع رتيعه خائفين وجلين وأصبحنا بدونك كقطع الماعز الذي
لا ذكر ولا فعل له •

وهذه سيطرة ترثي أخاها ممدوح السطام أحد مشايخ الروله :

برق تِلْالاً شوقٌ عيني ضويحَه
وَمِنْ رَأْسِ مِزْنٍ بِالسِّمَاءِ ضايحِ ضوح^(١)
يِرْعِدُ وَيَبْرُقُ فوقَ هَاكِ الْبُطِيحَةِ
وَسَيْلِ شِفَايَا ساكِنِ بِهِ ممدوح^(٢)
شَيْخِ الشَّيْخِ اللَّيِّ لِرَبْعِهِ مَنِحَةٍ
ولا ••• يابعدُ شَيْخِ عَالِرِزْقِ مَشْفُوحِ^(٣)
وجدي على راعي الْعِلْمِ الْمَلِيحَةِ
اللِّي نهارِ الْكُونِ لِلضِّدِّ ذابوح^(٤)

- (١) تلالا : تلالاً • شوق عيني : يشوق عيني • ضويحة : لمعانه •
المزن : جمع مزنة وهي الغيمة الممطرة • ضايح ضوح : يلمع لمعانا •
(٢) هاك : تلك • الشفايا : الوديان الصغيرة •
(٣) المنيحة : الاعطية • وتطلق أيضا على النعجة التي تسمن • على
الرزق مشفوح : فقدناه رغم حاجتنا اليه •
(٤) راعي : صاحب • اللي : الذي • الكون : القتال • الضد :
العدو • ذابوح : صيغة مبالغة من ذبح •

وَيَاعِينْ كُفِّي دَمْعَتِكَ يَا كَوِيحَةَ
وَلَا لِيكَ مَعَ كُلِّ الزَّوَاوِيلِ صَالُوحٌ (١)

تقول : كم يشوق عيني لمعان هذا البرق الذي يتلألأ ويلمع لمعانا ترسله
مزنة محملة بالمطر الذي انهمر ليسقى تلك البقعة التي يظم نراها ممدوح
الذي كان سيد الرجال وشيخ الشيوخ المعطاء لاصدقائه الوفي لهم •

وفجأة لشدة وجدها تصرخ لا •• ايها الشيخ الذي مضى ونحن
نحتاجه لا •• لا تذهب •• نحن لا نريدك أن تموت •• ولكنها تعود الى
واقعها المرير فقد ذهب ممدوح ولن يعود •• فوجدتها عليه •• على صاحب
الاخبار التي طبقت الآفاق وجدتها على الفارس الذي كان ذابحا للاعداء يوم
العراك اذا حمى الوطيس ، أما انت ايها العين الحسيرة فكفي دمعتك فليس
لك بعد ممدوح صالح مع أي كان •

وشعر الرثاء عندهم لا يقال الا في الرجال ، فالصرخة التي اطلقها
جرير عند فقدته لزوجته •

لولا الحياء لها جنى استعمار

ولزرت قبرك والحبيب يزار

ما زالت كما هي تحتفظ بدويها وحرارتها وصدقها فالبدوي اليوم
يخجل من البكاء على عزيزة أو يرثيها •• فهذا رجل من قبيلة الاسبعة
(أَلْسَبَعَةَ) احدى قبائل عنزه تموت زوجته فيشتد وجده عليها ويريد
أن يقول بها رثاء ولكنه يخجل فلم يجز العرف عندهم ان ترثي امرأة
وإذا فعل أصبح اضحوكة بين الرجال فماذا يفعل لينفس عن نفسه ما يحسه
من ألم ولوعة ، فلا بد له ان يحتال لذلك وقد كان •

(١) كويحة : حسيرة • الزواويل : الرجال ، الاشخاص • صالح : صالح ، غرض •

ففي يوم اكفهر الجوى فيه وثار الغبار اطلق صاحبنا صقرا له وهو يعلم انه لن يعود اذ لم تجر العادة ان يطلق الصقر في جو مغبر لانه سيضل الطريق ولن يعود الى صاحبه أبدا وهذا ما جرى لصقر صاحبنا فقال فيه قصيدة تنبض باللوعة والحزن عليه وطبيعي ان المقصود لم يكن الصقر وانما زوجته الحبيبة التي فقدها •

يقول :

يا ونْتِي وَنَتَّةَ خَلَوَجِ أَبْنِ رومِي
 أَفْرَقْتَ عَنْ مَذْبَحٍ وَكَدَهَا إِدِيهَا^(١)
 دَنْقٌ عَلَيْهَا مَنْ يَدُوحَهَا بِشُومِي
 تِعُولٌ وَلَا وَدَّكَ صِدِيْقَكَ^(٢) يَجِيهَا
 يا طيرِتي غَدَتَ وَأَنَا أَشُوفُ وَأُومِي
 وَأَجْدَعُ لَهَا أَلْسُولاِحٌ ما جازُ^(٣) بيها
 وراحتَ تَرَقِي نايِفاتَ الحَزْومِي
 وَأَقْفَتَ وَأَنَا قَلْبِي غَلِيْثَ عَلَيْهَا^(٤)
 قَلْبِي عَلَيْهَا يابِنُ عَبْلانُ يَوْمِي
 أو ماتَ عودِ القَيْشِ يَوْمِي عَلَيْهَا^(٥)

- (١) ونتي : انتي • خلوج : الناقة اذا فقدت رضيعها • ايديها : يديها •
 (٢) دنق : انحنى • يدوحها : يضربها • الشومي : العصا الغليظة ودك : بودك •
 (٣) غدت : ذهبت • اشوف : أرى • اومي : اوميء - اجدع : ارمى اقدف • ماجاز : مافاد •
 (٤) راحت : تولت • ترقى : تترقى • نايفات الحزومي : عاليات الجبال • اقفت : ادبرت • غليث : محزون ، مكروب •
 (٥) يومي : يوميء • اومات : ايماء • القيش : الماء الضحل •

لقد أشار الشاعر الى حادثة مشهورة في البادية وهي قصة خلوج ابن رومي ونحن نذكرها هنا حتى ندرك مدى لوعة الشاعر على فقيدته •

المعروف عن الناقة انها مضرب المثل في حنانها على رضيعها • واذا فقده فهي تن دائما أننا يقطع نياط القلوب ومن هنا جاء تشبيههم بأنينها والناقة عندما تفقد رضيعها يسمونها الخلوج • وتتخلص الحادثة التي أشار اليها الشاعر بأنه كانت لرجل من البدو اسمه ابن رومي ناقة ترضع حوارها وقد أخذ دون علمها وذبح في مكان قصي فأخذت تن عليه وفي يوم مرت مع باقي الابل في المكان الذي ذبح فيه رضيعها فبركت في الموضع الذي ذبح فيه وأخذت تن أننا محزنا يمزق القلب وقد حاول صاحبها ان ينهضها ولكنها أبت على الرغم من ضربها بالعصي الغليظة واستمرت في عويلها حتى لفظت أنفاسها حزنا وجزعا على وليدها •

فشاعرنا يشبه أنينه بأنين هذه الناقة ولوعته بلوعتها وعلينا ان نقدر مدى هذه اللوعة وهذا الحزن •• ثم يقول يا طيرتي الا انه يحس انها لم تعد له فقد ذهبت الى غير رجعة ذهبت وهو ينظر اليها ويومئ لها ويرمي لها ما يغريها بالهبوط الا ان كل ذلك لم يجده نفا فقد مضت ترتقي الجبال الوعرة المرتفعة وادبرت تاركة الهم والاسى له والحزن والكدر لقلبه هذا القلب الذي يشتاها ويحن اليها فهو في اختلاجه واضطرابه كعود في ماء ضحل تلعب فيه الريح مرة ويحركه الماء ثانية فهو في اضطراب دائم وحركة لا تهدأ •

وهكذا تمكن ان يفرج عن كربته ويخفف من حزنه على فقيدته بهذه الايات الباكية الحزينة التي قالها في صقره الذي فقده •• الا أن حيلته هذه لم تطلي على الآخرين اذ سرعان ما أجابه صديقه الذي خاطبه في البيت الاخير وهو ابن عبلان بقصيدة أخرى مناقضة لها •

يقول ابن عبلان :

هَيْبَلٌ يَا دَعَايَ طَيْرٍ يَحُومِي
طَيْرٍ بَغَى لَهُ دِيرَةً مِشْتَهِيهَا^(١)

الطير ما هو من حلال يدومي
طير الهوى كل الملاء خان^(٢) بيها

فَقَايِدِ الدُّنْيَا فَرُوحَ الرُّجُوعِي
الَّتِي يَشْلَجُنَ الحَبَّارِي إِدِيهَا^(١)

التي لهم عند المظاهر يومي
وصيحاتهم يكثر المراج^(٢) بيها

ذولاك حطو بالضمائر ثلومي
وباقى النواقص عقبهم وش^(٣) عليها

يقول : مجنون انت ♦♦ يا من يدعو طيرا ولي في الفضاء ويجزع على ذهابه ويحزن لفقده ♦ فهو ليس بالمال الذي يدوم ويخلص لصاحبه وليس بالشيء الذي يفتقد اذا ضاع لانه تافه ♦♦ اما الذي يفتقد في هذه الحياة

(١) هيبيل : مجنون • دعاي : داعي ، منادي • يحوم : الطائر عندما يجوب الفضاء • بغى : أراد • ديره : مكان أو جهة •

(٢) حلال : ما يملكه الانسان من مال وحيوان وارض ♦♦ الخ • الملا : الملاء : البشر •

(١) فقايد : الاشياء التي تفتقد • فروخ : جمع فرخ • الرجوم : مفردا رجم المرتفع الوعر • يشلجن : يقطن ، يمزقن - الحباري : مفردا حبارة وهو طائر •

(٢) المظاهر : الخيل • صيحاتهم : يقصد صيحات الحرب • المراج : جمع مارج ، مارق أي الفرس التي وقع فارسها عنها •

(٣) ذولاك : اولئك • حطوا : تركوا أو وضعوا • ثلوم : جمع ثلم • عقبهم : بعدهم •

ويترك اللوعة في القلوب فهو فقد الرجال فقد القتيان الذين يمزقون
اعداءهم ♦♦ الفرسان الذين اذا ركبوا الخيل كانت لهم وقعات وأيام ومعارك
تكثر فيها القتلى وتكثر الخيل التي سقط عنها فرسانها ♦♦ هؤلاء هم الذين
يتركبون عند فقدهم في القلوب جروحا لا تدمل وكل ما عدا ذلك فهو تافه
وامره يهون اذا فقد ♦

فالرثاء يجب ان يقال في الرجال لا في النساء وهم عموما كما قلنا
سابقا لا يجزعون على الميت فكيف اذا كان الميت امرأة ♦

وبالرغم من كل هذا فنحن نجد بينهم من جزع على امرأته جزعا
شديدا وقال فيها المراثي الكثيرة ♦♦ بل اوقف شعره على رثائها ومع هذا
فلم يعيوا عليه ذلك بل على العكس نراهم اعجبوا بهذه المراثي وما زالوا
يتناقفونها منذ عشرات السنين ويذكرون صاحبها بكل اجلال واحترام ♦♦
وهذه المراثي الخالدة التي يعتزون بها هي - رثاء نمر بن عدوان لزوجته
« وضحا » ومصدر خلود هذه المراثي عندهم اعجابهم بنمر من ناحية وحزنهم
على وضحا التي تعد من اكرم سيدات البادية ♦ فقد كانت سيدة فاضلة كريمة
للاضياف سترت وجه زوجها مرة ، حين جاءه شيوخ البدو ضيوفا في سنة
جدباء ♦ وكانت قد ادخرت لمثل هذه الساعة المؤن فأكرمت الضيوف وذهبوا
يلهجون بذكائها ومقدرتها على ادارة بيت زوجها ♦♦ (١)

وكان نمر بن عدوان رحمة الله فارسا شجاعا وسيدا لقبيلته عدوان
المعروفة في الاردن ♦

وما نراه من الجزع الشديد واللوعة في شعره مرده الى شغفه الشديد
بزوجته والحالة التي تركته فيها فقد خلفت وراءها طفلا صغيرا اسمه عقاب
ويتا يحتاج الى حسن ادارتها وخبرتها ♦ وعقاب هذا يتردد اسمه في كل
قصائد نمر فهو يخاطبه دائما قاصا عليه ما كانت عليه امه من خصال وواصفا
له حالته وأحزانه بعد وفاتها ♦

(١) خمسة أعوام في شرق الاردن - بولس سلمان • ص ٤٤ •

يقول نمر بن عدوان :

- الْبَارِحَةَ - يَعْقَابُ - حِينَ الْقَمَرِ غَابُ
وَحِينَ الثُّرَيَّا كُوكِبَتْ عَالْمِغِيبِ (١)
جِيتِ الْعَرَبُ لَنِّ الْأَهْلِ •• غِيَابُ
بَسِ الْفَرَسُ بِالْبَيْتِ وَيَهُ الْعَبِيدِ (٢)
سَأَيْلَتْهُمْ عَنْ صَاحِبِي وَيَنْ غَابُ
قَالُوا أَسْتَمِعِ يَا نَمِيرُ مَا هُوَ بَعِيدِ (٣)
زَايِرُ هَلَهُ - يَعْقَابُ - فِي سَاعَةِ غِيَابِ
هَلُ حِينَ يَلْفِي وَالْمَحَبَّةُ تَزِيدُ (٤)
إِنْ كَانَ عِلْمُ الْعَبْدِ - يَعْقَابُ - صَدَّاقُ
أَعْطَى الْعَبْدُ - يَعْقَابُ - مَا نَالَتْ أَيْدِي (٥)
وَإِنْ كَانَ عِلْمُ الْعَبْدِ - يَعْقَابُ - كَدَّابُ
لَصَكُّ أَنَا يَيْدِيهِ ذَاكَ الْحَوِيدِ (٦)
وَمِنْ لَامِنِي - يَعْقَابُ - يَبْلَى بَارِقَطِ الدَّابِ
وَيُعِيشُ بِالدُّنْيَا فِرِيدِ وَحِيدِ (٧)

- (١) البارحة : امس • كوكبت : مالت : انحدرت •
(٢) جيت : جئت • العرب : يقصد قبيلته • لن الاهل • اذا بالاهل •
بس : فقط • ويه : مع •
(٣) سائلتهم : سألتهم • وين : أين •
(٤) زائر : زائر ، ذهب في زيارة • هلة : اهله • هل حين • هذا
الوقت ، في هذه الساعة • يلفي : يصل ، يأتي •
(٥) علم العبد : خبر العبد • صادق : صادق • ايدي : يدي •
(٦) صك : قفل • ذاك الحديد : يقصد ذاك القيد وهو يستعمل في
العادة لتقييد الخيل •
(٧) يبلى : يبتلى • ارقط الداب : الارقط من الافاعي • الداب :

الافعى •

ومن لامني ♦♦ ماله مع الخيل مطلاب
وَمِنْ جَنَّةِ الْفَرْدُوسِ مَا يَسْتَفِيدُ (١)

ان الفاجعة التي أصابت شاعرنا نمر بن عدوان جعلته « يفزع فيها الى الامال بالكذب » فيتصور ان وضحا ما زالت على قيد الحياة ♦♦ فهو بالامس عند افول القمر قد عاد الى البيت كعادته ولكنه لم يجد وضحة في البيت على غير عاداتها والبيت خال لا أحد فيه سوى فرسة وعبيده سألهم عنها عن وضحا الحبيبة فقالوا له انها تزور اهلها وتستعود قريبا لتعود الى سابق عهدا تمنحه الحب والحنان ♦♦ انه يكاد ان يصدق نفسه ويصدق ان وضحا لم تمت فيضطرب للمخبر الذي قاله العبد له فيقول اذا كان صحيحا ما قاله العبد فسأعطيه كل ما تناله يدي واقدر عليه اما اذا كان كذبا فسأقيده واذيقه الامرين ♦♦ لكنه يعود الى نفسه ويشوب الى رشده فيشعر انه قد تمادى في الجزع والاسى وان الناس قد يلومونه على ذلك ♦♦ ايا عجبا لهؤلاء الناس الذين اكثروا اللوم ♦♦ وعلام هذا اللوم هل قام بأمر يستحق عليه اللوم لأنه يبكي زوجته حليلته ♦♦ ام طفله الصغير ♦♦ كفوا لومكم ايها الناس ويا رب سلط على من لامني وسيلومني الافاعي الرقطاء تسعه واحرمه من الاحباب والاصدقاء وامنع النصر عنه ولا توفقه بغزوة يغزوها ولا فائدة يجنيها ♦♦ ثم يرى ان كل هذا لا يشفى غليله فيدعوا على لائمه بحرمانهم من الجنة ♦♦ امل كل مسلم ♦

وفي قصيدة أخرى نراه يعدد محاسن وضحا فلا يكتفي بوصف جمالها وانها كالغزال الجميل كغود الريم اجمل قطع الغزلان ♦♦ التي أصبحت وحيدة في قبرها ♦♦ نعم لا يكتفي بذلك بل يعدد محاسنها الخلقية وكيف انها تحنو عليه اذا ما رآته متأثرا من أمر فتسترضيه وتداعبه كما تداعب الام

(١) ماله : ليس له • مطلاب : مطلب • وقوله ماله مع الخيل
مطلب • يدعو عليه بأن لا يركب فرسا في غزو ولا يستفيد من غزوة
يقوم بها •

وليدها وهي ليست كباقي النساء إذ لم يسمع لها صوت ولم تخاصم جاراتها •
ولا زَغَرَّتْ زَغْرُوتَهُ بينَ الفريجين
ولا على الجاراتِ أومتَ بيدها
وما أشبه قوله هذا بقول جرير في زوجته :

إنا لا النوم لها خدين
ولا تهدي لجارتها السبابا

فهي شريفة مخلصه له لم تعاشر أحدا ولا غمزت لاحد بعينها فهي
أرفع من ذلك لانها لم تتعود ان تعطى موعدا ولا وعدا بشيء يعيب •• ثم
يأسف بعد هذا لموتها فلموت ليس لامثالها ••• يقول :

والله ثمَّ اللهُ دينَ بائِرٍ دين
وحياة كلِّ من بالشواير لكدِّها

يا زين أمَّ عقابٍ - يعقَابٌ - يا زين
وضحة عنود الريم تمشي وحدها^(١)

ان جيتهما - زعلان قامت ترَضيني
شبهه الحنون اللتي تلاعب وكدها

ولا عاشرت غرياف بغمزة العين
ولا على الجارات أومت بيدها^(٢)

ولا عاشرت غرياف بغمزة العين
ولا على الخملات تعطي وعدها^(٣)

-
- (١) عنود الريم : اجمل قطيع الغزلان وتكون تامة في السن •
(٢) زغرتت : زغردت • زغروته : زغرودة • أومت : اومت •
(٣) عاشرت : المقصود هنا ما زحت • غرياف : شاب • الخملات :
الاعمال الرديئة أو الاعمال التي تعيب •

بالحيف يَا آمْ عَقَابُ إِنَّكَ تَمُوتِينَ
وَبِالْحَيْفِ عَنزِ الرِّيمِ تَمْسِي وَحَدَهٗ (١)

ويمر نمر بن عدوان يوما فيرى طفله عقاب يلعب ويلهو مع اترابه
ولا يدري من الاحزان شيئا ♦ ♦ فيحسد طفله لذلك ♦ ويخطبه بهذه القطعة

يَعْقَابُ يَا عَزِّي اِبْنُ حَالِكَ وَحَالِي
قُفْتُ لِيَالِي مِزْهُرَاتٍ بَدَلًا لَكَ

قُفَا سُرُورِكَ مَعَ هَاتِيكَ اللَّيَالِي
عَفِيتِ اللَّيَالِي ♦ وَالطَّرْبُ وَالْهَنَاءُ لَكَ

كُلُّ الشَّجَا وَالْحَزْنُ وَالْبَيْنُ جَالِي
جَانِي ضَنَائِي وَقَالَ أَفْنَيْتُ حَالِكَ

مُحِبُّوبٌ عَيْنِي سَاكِنُ الدَّوِّ خَالِي
يَعْقَابُ أَنْتِ تَلْعَبُ مَعَ أَرْفَاقِ اجْيَالِكَ (٢)

وَنَا يَعْقَابُ عَلَى أَنْيَرَانِ الْآلِي
طَيْرِ السَّعَادَةِ طَارُ الْآلِي وَالْآلِكَ (٣)

طَارِ السَّرُورِ عَنِّي وَالْهَنَاءُ لِي ♦ ♦
وَالْحَزْنُ خَزَنٌ بَقَلْبِي ♦ ♦ وَارَاحُ بَالِكَ (٤)

(١) بالحيف : مما يؤسف ♦ ♦ ولها معاني أخرى لا تخرج عن دائرة
الاسف ♦ عنز الريم : الانثى الجميلة في الغزلان ♦

(٢) الدو : القفر ♦ اجيالك : اترابك ، يقاربونك في السن ♦

(٣) آلاي : اتحرق ♦ ♦ اتكوى ♦

(٤) لا ♦ ♦ لي ، أي ليس لي ♦ وراح بالك من ما اريح بالك ♦ أي
أنت لا تحس بما أحس به ♦

وله قصيدة يصف فيها زوجته وهي محمولة على جمل وقد نقلت
لدفنها يختمها بهذين البيتين *

يا زارعَ البستانِ هِنَا مِيتِي
دُونَكَ عَلَى مَجْرَى عِيُونِي ازرَعِ
إِزرَعْ لَنَا مَرَأً وَدَفْلَى وَحَنْضَلُ
حَتَّى دَوْمَ أَذْوَقهَ وَشَرَبَ واجِرَعِ (١)
ومن مرثيه ايضا هذه القصيدة التي يقدم فيها عصاره قلبه حزنا
على ام طفله يقول :

لِي وَنَّةٍ مَن سَمَعَهَا يَنَامَا
كُنِّي صَوِيْبٍ بَيْنِ الْأَضْلَاعِ مطعون (٢)
وَالآ كَمَا وَنَّةٌ كَسِيرُ السَّلَامَا
خَلْوَةٌ رُبْعُهُ لِّلْمَعَادِينِ مديون (٣)
وَالآ فَوَنَّةٌ رَاعِبِيَّ الْحَمَامَا
غَادٍ ذَكَرَهَا وَالقَوَانِيصِ يِرْمُونِ (٤)
تَسْمَعُ لَهَا بَيْنَ الْجِرَايِدِ حَطَامَا
وَمِنَ نُوحَهَا دَلِّي الْحَمَائِمِ يِنُوحُونَ (٥)

-
- (١) دوما : دوما ، دائما . اجرع : اتجرع .
ومن مرثيه ايضا هذه القصيدة التي يقدم فيها عصاره قلبه حزنا
(٢) كنى : كأنى . صويب : جريح .
(٣) كسير السلما : مكسور عظم الساق . خلوه : تركوه . ربعه :
رفاقه مديون : مدين .
(٤) راعبي : بفتحها وكسرتين انثى الحمام التي فقدت الفها . غاد
ذكرها : ضال ذكرها . القوانيص : الصيادون .
(٥) الجرايد : جريد النخل . حطاما : سجع وهديل . دلي : علم ،
جعل .

عليك يا أَللي شربَ كأسَ الحِمَامَا
 صرفِ بَتَقْدِيرِ مِنِ اللَّهِ ماذون^(١)
 حَطُّوهُ في قبرِ هِيَامَا هَدَامَا
 وَقَامُوا عَلَيْهِ مِنْ التَّرَايبِ يَهِيلُون^(٢)
 يَا حُفْرَةَ بِسَقِي تَرَكَ الْفَمَامَا
 مَزِنِ مِنْ أَرْحَمَةِ عَلَيْهَا يَصْبُون^(٣)
 عَسَى الْبُخْتُرِي وَالتَّنْفَلِ والخَزَامِي
 يَنْبِتَ عَلَى قَبْرِ هَوِيِّي فِيهِ مَدْفُون^(٤)
 أَخَذْتَ أَنَا وَيَا هُ سَبْعَةَ عَوَامَا
 مَعْ مِثْلِهِنَّ فِي كَيْفَةِ مَالِهَا لُون^(٥)
 وَاللَّهُ كَنَّهُ يَا عَرَبَّ صَرْفِ عَامَا
 يَا عَوْنَةَ اللَّهِ صَرْفِ الْإِيَامِ وَشِ لُون^(٦)
 وله ايضا :

قم شدلي يعقَابُ هَجْنِ البَعَارِينِ
 لَا دَوْرَ بالدنيا علي أجدها^(٧)

- (١) اللى : التي • من الله ماذون : مقدور ، باذنه تعالى •
 (٢) حطوه : جعلوه ، وضعوه • هيام هدام : موحش متهدم • قاموا :
 جعلوا التراب : التراب •
 (٣) حفرة : المراد بها القبر •
 (٤) البختري والنفل والخزامى : من نباتات البادية ذات الرائحة
 الطيبة هوي : الذي اهواه - محبوب •
 (٥) كيفية : لذة • مالها لون : لا مثيل لها •
 (٦) صرف عام : بقدر عام • ياعونة الله : يا معونة الله • صرف الايام
 وشى لون : تعجب من سرعة مرور الايام •
 (٧) البعارين : البعران مفردها بعير وهو الجمل • ادور : اجوب ،
 افتش • علي : لعلی •

يَعْقَابُ أَمَكُ يَا حَبِيبِي غِدَّتْ وَيَسْنُ
 أَمْسِ الْعَصِيرِ يَعْقَابُ تِرْ ضَعْ نَهْدَهَا
 هِيَ غِدَّتْ مَا بَيْنَ سَلْمَى وَمُرِّيْنِ
 غَرَطُوفَةٌ يَعْقَابُ تِنَهَشْ جِسْدَهَا^(١)
 وَيَسْنِ الْأَصْبِرِ يَعْقَابُ وَيَسْنِ الْأَصْبِرِ وَيَسْنِ
 فَوْقَ الصَّدْرِ يَعْقَابُ طَبَقُوا لِحَدَّهَا

من لامني يبلى بموت المحبين
 ويقضي زمانه في هموم ونكدها^(٢)

وهذا ضيف الله بن حميد يرثي اخاه عميد بن حميد احد فرسان
 قبيلة عتيبه :

يَا وَنْتِي وَنَّةٌ مِرْيَضَ الْحَرَارَةِ
 وَالْيَ وَقَفَ مَا أَحْتَالُ وَالْيَ قِعْدَ ••• وَنَ^(٣)
 عَلَيْكَ يَا شَبَابَ ضَوْءِ الْمَنَارَةِ
 عَلَيْهِ تَرْفَاتِ الصَّبَايَا يَنْوَحْنَ^(٤)

(١) سلمى ومرين : أسماء امكنة فيها قبر زوجته • الغرطوفه :

الافعى •

(٢) يبلى : يبلى •

(٣) وننتي : انتي • ونه : أنه • الى : اذا • ما احتال : ما طاق •

قعد : جلس • ون : أن •

(٤) شباب ضوء المنارة : موقد النيران التي ترى من بعيد

كالنور في رأس المنارة • ترفات الصبايا : الصبايا اللطيفات ، الكواعب ،
 الجميلات • ينوحن : ينحن •

تبيكه ° قطعانٍ رِعَتُ بِالزَّبَارَةِ
 والى بُغْنِ يَمِّ خَايِعٍ ما يـردن^(١)
 الخيل ° عَقْبٍ عَيْدٍ جَاهَا غَتَارَهُ
 حَتِيْشٍ لِي رَاحَنٍ وَحَتِيْشٍ لِي جَنِّ^(٢)
 كمُ شَيْخٍ قَوْمٍ - فِيهِ - نِطْفِي بِنَارِهِ
 مارِ الْجُرُوحِ اِلى وَزَنِّ كَيْفٍ يَبْرَنِ^(٣)

- (١) قطعان : جمع قطيع . الزبارة اسم مكان . الى : اذا . بغن من ابتغى الشيء ، أراده . خايِع : النبات الملتف .
- (٢) عقب : بعد . جاهها : جاءها . غتارة : كلال وانحلال . حتيش : بمعنى دون فائدة والمراد بالبيت . ان الخيل بعد مقتل عبيد اصابها الوهن والانحلال وأصبح ذهابها واياها سواسية لان لا فائدة ترتجى منها بعد ما ذهب فارسها .
- (٣) فيه : معناها هنا من اجله . نطفى بناره : أي نقتله ونقضى عليه . وهم يقولون طفت نارهم أي قضى عليهم . مار : لكن . وزن : تغلغلن والمراد الحزن الشديد . يبرن : تبرأ ومعنى البيت : اننا سنقضي على كثير من الرؤساء ثأرا له ولكن هذا لا يشفى الغليل فالجروح اذ نفذت في القلب لا تبرأ والحزن عليه دائم لا يزول .

الفصل الرابع

الفخر والحماسة

الفخر عند العرب باب واسع من ابواب شعرهم ، يعبر عن ميل طبيعي عندهم الى الانفة والعزة ، وانطلاقهم الذي لا يعرف حدا وراء الامال والذرى •

فالعربي بفطرته نزوع الى المفاخرة والمباهاة ، شديد الوله بالتطلع الى ما مضى من الزمان ••• الى مآثر الاباء والاجداد •

فللصحراء المجذبة القاحلة بمخاطرها يد طولى في تدفق الطموح وتوثبه الملحاح الى الذرى • وللعدو الذي يتربص دائما ••• أثره البين في انفعالهم ومجلبة لغضبهم الهادرة التي تنفجر مفاخرأ لا تقف عند حد •

فالامم ••• كل الامم ••• في اخلاقها وعاداتها انما تماشي حاجاتها وصور معيشتها ومن هنا كانت الاخلاق والعادات التي فخر العرب بها ثمرة حاجاتهم وصور معيشتهم ففاخروا بنقاء العنصر وكرم المحتد وقوة العصية ومنعة الجانب ومجدوا الشجاعة والكرم والاباء وباهوا بالمرؤة والوفاء والنجدة ••• فحياة البادية المعرضة لقساوة السماء دائما والمهددة بشبح الفاقة في كل حين جعلت للكرم عندهم شأنه العظيم فتغنى به الشعراء ومجدوا المتصفيين به وصوروا تهلل اساريهم وترحيبهم بالبسخ •••

اذا طرقتهم ضيف او محتاج واحتيالهم على جلب الضيوف بايقادهم نار القرى على رؤوس المرتفعات حتى يهتدي بها الضيف والضال والمحتاج من جائبى الصحاري •••

وهذه الحياة نفسها في كونها حياة تنقل وترحل لا ظل لقانون فيها
ولا قوة منفذة ♦♦♦ جعلت للكلمة قدسيها فأصبحت كلمة الشرف قانون
الحياة والوعد دين ففقدس الوفاء واحترق الغدر ومجد الاوفياء وابتدلت
سمعة الغادريين ♦♦♦

ومن الطبيعي ان تكون هذه الحياة حياة فروسية يعمل الابطال فيها
على حماية المستضعفين ونجدة المهوفين - واغاثة المحرومين فلهجت الالسن
بحماية الجار وفك العاني وبكل ما هو خير وبكل ما يعطي صاحبه المجد
والذكر الحسن ♦

وما زالت هذه الخصال التي تدفقت على السنة شعراء الجاهلية فخرا
واعزازا هي هي في تدفقها على السنة شعراء البدو فهذا ابن لعبون يفتخر
بقومه وينعتهم بالطولة والشجاعة وحماية الجار فهم مشعلوا حروب
لا يسلم عدوهم منهم مهما كان حذرا لمهارتهم بفنون القتال فهو يقول :

حَنَا هَلَّ الْوَادِي وَحِنًا الْمَنَايِرِ
وَحِنًا وَدِينًا جَارَنَا مِنْ جِدَارِهِ^(١)
خُطْلَانَ الْيَدِي كَالْأَسْوَدِ الْهَزَابِيرِ
مِقَابِسٍ لِلْحَرْبِ وَإِنْ شَبَّ نَارَهُ^(٢)
مِرْكَاضَنَا يَشْبَعُ بِهِ السَّبْعُ وَالطَّيْرُ
بِئْسَ يَوْمٌ تَغَبَّتْ شَمْسُهَا فِي نَهَارِهِ^(٣)

(١) حنا : نحن - المناير : الشجعان • ودينا : من الدية أي دفعنا
دية جارنا •

(٢) خطلان الايدي : طولها • الهزابير : مفردها هزبر : اسد •
مقابس للحرب : مشعلين لها •

(٣) مركاضنا : أرض المعركة • تغبت : اختفت واحتجبت •

حَرِيْبِنَا لَوْ كَانَ دُونَهُ نُوَاطِير

لَا بُدَّ مَا يُفْجَعُ صَبَاحَ بَغَارِهِ^(١)

وهذا مشعان بن هذال يفخر بأنهم رجال حرب صلوا واصطلوا بناها ويدل بكثرة عددهم وبأنهم يحمون الجار ويجيرون من استجار بهم •

حِنَا شِبَاةَ الْحَرْبِ وَأَنْ شَبَّتِ النَّارُ

وَتَفَازَعَتْ بَيْنَ الْجَمُوعِ الْمَشَاهِيرِ^(٢)

وَحِنًا هَلَّ الْجَمْعُ الْمَسْمِيُّ إِلَى سَارِ

مِرْكَاضِنَا يَشْبَعُ بِهِ السَّبْعُ وَلَطِيرِ^(٣)

وَرُفَاقَتِهِ وَاللِّي حَدَانَا لَهُمْ جَارِ

وَحِنًا عَلَيْهِمْ نِحْمِي الْجَارِ وَنَجِيرِ^(٤)

اما محسن الهزاني فراه يفخر بنسبه الذي يرجع الى وائل فمن يطاول قومه بني هزان نسبا وعراقة محتد ولا يكتفي بهذا بل يفخر بطولات قومه وكرمهم وبذلهم فيقول :

دَيْرَةَ شِيُوخٍ مِنْ عِرَانِينَ وَأَيْلِ

لَهَا الْقَنَا يَوْمَ الْمَلَاقَا وَقَايِعِ^(٥)

-
- (١) حريينا : الذي يحاربنا • نواطير : مفردها ناطور أي حارس •
(٢) تفازعت : نفرت ، تقاطرت للنجدة وخوض المعركة • المشاهير : الكبار •
(٣) الجمع المسمى : المشهور • السبع : عند التحديد الاسد وفي الاطلاق الوحوش الضارية •
(٤) رفاقته : جماعته • الى حدانا : الذين حولنا ، المحاذون لنا •
(٥) ديره : تأتي أرض ومنطقة وموطن وبلد • شيوخ : امراء •
عرانيين : جمع عرنين وهي الانوف • وائل : هو وائل المنحدر من ربيعه وهو أبو بكر وتغلب • القنا الرمح • الملاقا : الملاقاة ، الوغى • وقايع : مفردها وقعه • والمراد شدة بأسهم في الحرب •

كم واحدٍ تَخْشَى' الْخَمَاسِينَ' بِأَسْه
 جَعَلْنَاهُ قُوْتًا لِلنَّسُوْرِ الْهَلَايِعِ (١)
 بِأَمْوَالِنَا نِشْرِي مِنَ الْحَمْدِ مَا غَلَا
 وَبَارَ وَ أَحْنَأَ يَوْمَ التَّلَاقِي نُبَايِعِ (٢)
 وَبِالْمَنْ مَا نَتَّبِعُ عِطَانَا وَلَا بَعْدَ
 عَلَى الْغَيْظِ قَلْنَا ذَابَهُ الْبِرُّ ضَايِعِ (٣)

وهذا احمد بن عبدالله السديري يدل بقومه ويفخر بانهم رجال
 حرب وطعان فهم ليسوا ممن يعطرون ثيابهم بالعطور وانما عطورهم آثار
 البارود على ملابسهم وليسوا ممن يتلهم بالزواج الكثير فهم انما يلهون على
 ظهور الابل والخيول عندما تسير الى الوغى والصدام يقول :

وَثِيَابِنَا مِهْيَبٌ تَصْبَحُ مُوَارِيْسِ
 الْاَ مِنْ الْبَارُوْدِ فِيهَا غَثَايِرِ (٤)
 مَنَابٌ مَنْ يَلْهِي بِكُثْرِ الْمَعَارِيْسِ
 كَيْفَاتِنَا مِنْ فَوْقِ عَوْصِ فُطَايِرِ (٥)

(١) الخماسين : مفردها الخميس أي الجيش أو الاسد • باسه • الهلايع : الجيايع •

(٢) نشرى : نشترى • نبايع : نبيع ، ونبدل •

(٣) المن ، المنه • عطانا : عطاءنا • الغيظ : الغضب وهذا البيت في
 معناه قريب من الآية الكريمة : « الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم
 لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم
 يحزنون » •

(٤) موارييس : ملطخة بالورس • غثاير : آثار •

(٥) مناب : ما نحن بـ • • لسنا • المعارييس : الزواج الكثير •
 كيفاتنا : مفردها كيف انس لهو •

نِسْرِي الى منَّ الدُّجَا •• جَاخْرَامِيس

من فوق ما يَحْتِاجُ ضَرْبَ الْمَسَامِيرِ (١)

والفخر ليس وقفا على القبيلة ومآثرها فهناك الشعراء والفرسان الذين طالما فاخروا بأنفسهم وببطولاتهم وصبرهم على المكاره •

فهذا عبدالله بن الرشيد يفاخر بأنه رجل حرب لا يميل منها وبأنه سقى الاعادي الكدر والطين •• وهذه الجروح واثارها في جسمه واجسام اعاديه خير شاهد على ما يقول والناس تعلم من هو وتعرف اخباره القديمة والحديثة •

لكن الى ركب الرشا للمحاله

وَاسْتَشَقَلْتُ مَانِي مِنَ الْحَرْبِ مَلَالٌ (٢)

نِرْسِي كَمَا تِرْسِي رِوَاسِي جِبَالَهُ

مَا نِنَهَزَعُ مِنْ وَطِي حَافِي وَنَعَالٌ (٣)

وَمَنْ عَافٌ صَافٌ أَمَا كَدَّرُ زَلَالَهُ

أَسْقِيهِ كَدْرٍ لَيْنٍ يَرُوي وَيَكْتَالٌ (٤)

شَهُودِي بِجِلْدِي وَالْعُدُوبَةَ بِدَالِهِ

وَالنَّاسُ تَدْرِي بِالْجِدَائِدِ وَلَا سَمَالَ (٥)

(١) جا : جاء • خراميس : شديد الظلمة • ضرب المسامير : ضرب

العصي •

(٢) الى : اذا • الرشا : الرشا وهو الجبل يجذب به الماء من البئر •

المحاله : البكرة • استشقلت لفتح • ماني : ما انا • ملال : ملول •

(٣) نرسي : نثبت • ننهزع : نتقهر • وطى : وطء • حافي ونعال :

المراد الخاص والعام •

(٤) عاف الشيء : تركه ولم يقربه • صاف الماء : الصافي •

لين : حتى •

(٥) شهودي بجلدي : يقصد الندوب واثار الجروح • بداله :

بديله ، مثله : الجديد والاسمال : الجديد والقديم •

اما عرعر بن دجين فنراه يفاخر بانه لا يلبس من الثياب الا الدرع
ولا ينام الا والسيف ضجيعه فهو الشقاء لكل معتد وكيف لا وهو صاحب
الهدلا « اسم فرسه » وهو بعد كل هذا يستدرك فيقول ولو ان مدح
النفس معيب وفيه سفه الا انني لم اقل الا الحق والشعر قد يفرح القلب
بعض الوقت الا ان الذي يشفي الغليل هي الافعال وخوض المعامع •

جِضِيعِي مِنْ آلِهِنْدِي مَصْقُولٌ صَارِمٌ
لَمَّا نَاشٌ مِنْ جَثَلِ الْعِظَامِ رَمَاهُ (١)
وَتُوبِي مِنَ الْبُولَادِ دِرْعٍ وَطَاسَةٍ
يُبَيِّنُ لَعِينِ النَّاطِرِينَ سَنَاهُ (٢)
أَنَا رَاعِي الْهَدَلَا شَقَاكُلٌّ عَائِلٌ
وَلَوْ صَارَ مَدْحُ الرُّوحِ فِيهِ سَفَاهُ (٣)
فَمَا الشَّعْرُ إِلَّا يَفْرِحُ الْقَلْبَ سَاعَةً
وَالْأَفْعَالُ تَبْرِي لِّلْعَلِيلِ مَشَاهُ (٤)

وهكذا لاحظنا من هذه النماذج ان فخرهم يدور في مجموعه حول
الصفات الخلقية التي يعتزون بها فهي مستوحاة من حياتهم الفطرية ، حياة
البادية وهي بالتالي قد نبتت على السنتهم نبتا تلقائيا في سداجه محبيه وايمان
نابع من نفوس تهوى العزة والمجد •

وإذا نحن انتقلنا الى الجانب الآخر من الفخر اعني به الفخر الحماسي

-
- (١) جضيوعي : ضجيعي •
(٢) البولاد : الفولاذ • سنه : سنأوه ، ضوءه •
(٣) راعي الهدلا : صاحب الفرس المسمى بهذا الاسم • شفا : شفاء •
عائل : معتد • فيه سفاه : يعني معيب •
(٤) يقول ان الشعر قد يفرح القلب ساعة ، ولكن الافعال هي التي
تشفي الغليل •

الذي ينطق به هذا السيل من شعر الحماسة لوجدنا ان البدوي قد فطر على الحماسة كما فطر عليها كل انسان وذلك ان حب الحياة حمل الناس على النزاع في سبيل الحياة فاذا الناس اثنان : غاز ومغزو واذا هم في طعان وجلاذ مستمر فلا بد لهم والحالة هذه من مناد يدعو للمقتال ويشعل الحماس في الصدور ومسجل يسجل هذه الملاحم والمعامع فانبرى الشعراء ليرسلوا من بين نبضات القلوب وصرخات الحرب وقعقة السلاح هذا الشعر الحماسي الهادر .

وهذا الشعر الحماسي له دواعيه وهي عند بدو اليوم نفس دواعيه عند بدو الجاهلية فالبدوي اليوم هو نفس بدوي الامس ريب الصحراء يعيش في كنفها ويواجه مخاطرها وتطحنه قساوتها يقضي حياته في الحبل والترحال وراء مساقط المياه ومواطن الكلاء حتى اذا زاحمه مزاحم كانت الحرب وكان الصراع . . . فتطوى القلوب على الطغائن . . . فلا بد من الانتقام ولا بد من طلب الثأر فتعقد الاحلاف وتتصادم القوى وتتعانق السيوف وتختلط صرخات الرجال بصهيل الخيل ورغاء الابل .

وهو كسلفه في حفاظه على الشرف ، وحماية الجار فهو يشور لاقبل سبب ما دام هذا السبب في نظره يثلم الشرف الذي يعتز به ويحافظ عليه فلا بد من الحرب ولا بد من الثأر والانتقام . . ولا بد للدماء ان تسيل فالدم الحار هو الثمن . . ثمن الحياة العزيزة - ثمن الشرف . . ثمن البطولة . . ومن هذا كانت حياته حياة ترقب وحذر فهو لا يدرى متى تكون النهاية وكثيرا ما تكون الموت قتلا وهذا منتهى الشرف الذي يسعى اليه .

هذا الذي ذكرناه من دواعي الحماسة هو الذي اذكى القرائح ففاض الشعر بأسلوب ملحمي هادر وهكذا كان الداعي الى الحماسة هو كل ما كان داعيا الى الحرب . . فكل معركة وكل غزوة وكل استعداد يعقبه هذا الفيض الملحمي من الشعر الحماسي الذي يستثير الهمم ويذكي

شعله الحماس في صدور الفتيان ♦♦ فالحياة في البادية تعنى الاستعداد
الدائم للقتال فلا بد من البطولة ♦♦♦ ولا بد من ان يحيى الانسان بارعا في
صناعة الموت مقاتلا شرسا اذ لا مكان للرجل المسالم في عرف البادية وقديما
قال قائلهم :

اذا لم تكن ذئبا على الارض امردا
كثير الاذى بالت عليك الثعالب

وحديثا قال :

أَلْأَرْبُ تُرْقِدُ مَا تُوذِي
وَلَا شِفَتْ النَّاسَ تَخْلِيهَا
وَالسَّبْعُ الْمُوذِي مَا يُرْقِدُ
مَا يُوْطَا بَارِضٍ هُوَ فِيهَا

نعم هذه هي حياة البادية معارك دائمة وغزاة يغزون ويغزون ووقائع
تنتهي واخرى تستجد وشعر يعقب كل هذه وتلك ، يتحدث عنها ويدور
حولها وشعر يسبقها يهز النفوس ويستحث الهمم وشعر يرافقها ينضح
بالتهديد والوعيد ♦

فهذا شاعر من قبائل الصايح اسمه دخيل بن ناعم يطلقها هادرة
محرقة بوجه الشيخ صفوق بن فارس من ال محمد احد فرسان شمر
الجزبا وسيدها قتل غدرا بيد احد الولاة الاتراك حوالى عام ١٨٤٠-١٨٤١ ♦

فشاعرنا يملأ قصيدته تهديدا ووعيدا - فهم أباة لا يتركون عرضهم
يهان ولا بد لهم من رفعة الرأس حتى ولو جندت ياصفوق لقتالهم الروم
جميعهم فهم قد صبروا على قتال اجدادك ومعاركهم مع قبيلتك ليست
بالجديدة وانما تعود الى الايام الاولى ايام نجد ايام كان امواتنا ما زالوا
احياء يصلون على ظهور الخيل ♦♦ واعلم يا صفوق باننا لن نتركك تأخذ

مرابعنا الا اذا خلت الجزيرة من اهلها ♦

لَوْ جِئْتَ أَبُو فَرَحَانَ قُلْ لَهُ 'عَبْرَنَا

جَزَاعَةٌ مَا نَدَعِي الْخَشْمَ يِنْدَاسٍ^(١)

وَلَوْ تَرَكَبَ أَلْرَوَامَ كَلَّهْ بَاثِرْنَا

لَابُدُّ لَنَا يَا صَفُوقُ مِنْ رَفْعَةِ أَلْرَاسِ

وَحِنَّا عَلَى حُرَابِيَةِ جَدُّودِكَ صُبْرْنَا

مَا هِيَ مِنْكَ وَجَايِ يَا ذِيبَ أَلْمَرَّاسِ^(٢)

قَبْلَ أَلْجَزِيرَةِ يَوْمَ نَجِدُ دِيرْنَا

وَأَمْوَاتْنَا فِيهَا تَطَارِدُ عَالِفِرَّاسِ^(١)

يَصْفُوقُ وَاللَّهِ مَا نَخْلِي سِكَرْنَا

كُودِ أَلْجَزِيرَةِ خَالِيَةً مَا بَهَا أَوْ نَاسِ^(٢)

إِنْ كَانَ أَلْمَحْزَمُ شُبْرَحِنَّا ذِرْعَنَا

رَمِي أَلْمِدْرَعُ مِنْ قَدِيمِ لِنَا سَاسِ^(٣)

• اما محمد العبدالله العوني شاعر الحماسة المشهور في بوادينا فيرسلها

-
- (١) جيت : جئت • أبو فرحان : هو صفوق بن فارس الجربا • ما ندعي ، ما نترك ينداس : يداس • الخشم : الانف •
- (٢) حنا : نحن • حرابة : حرب ، محاربة • ما هي منك وجاي : أي انها قديمة وليست منذ عهدك حتى الآن •
- (١) ديرنا : أراضينا ، مواطننا ، بلادنا • تطارد : من الطراد أي وصول على الخيل • الفراس : مفردها فرس •
- (٢) نخلي ، بالتشديد أي نترك وبالتخفيف من اخلي يخلي • كود : تأتي الا اذا •
- (٣) المحزم : لقب لصفوق بن فارس الجربا • شبر : تقدم شبرا • ذرعا : تقدمنا ذراعا • ساس : أساس ، وتأتي بمعنى عاده •

قصيدة طويلة تنزل على رؤوس القوم تقريباً وتأنبها لهم على الذل والخنوع
 بعد العزة والانفة • يذكرهم باجدادهم الابطال ويأسف ان يكونوا من نسل
 هؤلاء الشجعان •• ونراه يتلمس الجوانب التي تبعث الحمية والانفة فيهم
 بها صارخا في وجوههم اترضون لجيرانكم ان يهاجموا ولا تحمونهم •
 اسمعون صرخات نساءكم ولا تحركون ساكنا لدفع الاذى والعار •

تَقُولُونَ دِينَانَا عَلَيْنَا تَغَيَّرَتْ
 تَغَيَّرْتُوْا اِنَّتُمْ مَا عَرَفْتُوْا غَيُّوْرَهَا
 الْاَيَّامُ هِيَ الْاَيَّامُ مَا زَادَ عَدَهَا
 هَذِي لِيَالِهَا وَهَذِي شَهْوَرَهَا
 لَا شَكَّ غَيَّرَكُمْ هَمَّالِيَجْ مَبْغِضْ
 وَذَلِ حَسَالِبَاتِكُمْ فِي صَدْوَرَهَا
 مَا تَأْنِفُونَ الْعَارَ وَالذَّلَّ وَالرِّدَا
 اِنْعُوا نِسَاكُمُ يَوْمَ ضَاعَتْ بَزْوَرَهَا
 تَرْضُونَ بِالْجِرَانِ تَسْلَبُ حَرِيْمَهُمْ
 يَا كَبِيْرَهَا •• يَا لَيْتَ مَا صَارَ دَوْرَهَا
 يَا حَيْفَ صِيْحَةَ بِنْتِكُمْ تَتَرُكُوْنَهَا
 وَقِصَّةَ ذَوَائِبِهَا وَقِطْعَةَ خِصْوَرَهَا (١)
 وَيْنَ الرِّجَالِ اَللِّي تَمِيْزُ لِرَشْدَهَا
 وَعَنْهُمْ جَمِيْعِ النَّاسِ تَقْصِرُ شَبْوَرَهَا (٢)

- (١) يا حيف : مما يؤسف له • قصة ذوايبها : مفردتها ذؤابة وهي
 الجديلة والمرأة عندهم لا تقص ذوايبها الا لامر جليل •
 (٢) وين : اين • اللى : التي • تميز لرشدها : تشوب لرشدها •
 تقصر شبورها : تقصر ايديها •

يا حيفُ يا صلبَ المنايرِ خَلَّفُوا
 شروى حرارٍ وجعةٍ في وُكُورها^(١)
 وشِ خَانةِ القُبِّ الجيادِ ورَبَطَها
 الى عادٍ ما زارتِ حمى من يَزُورها^(٢)

ونراه ثانية يشعل حربا يسقط فيها عشرات القتلى على اثر قصيدة حماسية قالها تعرف عند البدو باسم « الخلوج » يصفها الاستاذ خالد بن محمد الفرج بانها أشهر أشعار محمد العوني وقل ان تجد في نجد احدا لا يحفظها أو يحفظ منها شيئا • وذلك ان السليم امراء غنيزه وآل ابا الخيل امراء بريده كانوا جالين فرارا من حكم ابن الرشيد ولاجئين الى الكويت بعد وقعة الصريف المشهورة وكان العوني معهم • وكان ينقصهم المال والرجال لاسترداد اوطانهم وكان في دمشق الشام كثير من أهل القصيم المعروفين باسم « عقيل » • فاقترحوا على العوني ان ينظم قصيدة يستشير بها همهم ويستجدهم لانقاذ الوطن • وبالفعل لما قرئت عليهم بكوا وشفوا تجاراتهم وتجهزوا على حسابهم الخاص وحاربوا الى ان تم لهم استرجاع القصيم سنة ١٣٢١هـ كما هو معلوم • والخلوج الناقة التي فقدت ولدها فهي لا تهدأ من الحنين وقد استوحى الشاعر موضوعه من حين ناقة خلوج سمعها وهو في قصر الشيخ مبارك الصباح بالسره في الكويت^(٣) •

وقصيدته هذه تقع في (٧٦) بيتا يستهلها بذكر هذه الناقة التي فقدت وليدها فراحت ترجع الحنين وتكسر العبرات وتعول عويلا يذيب القلوب •

-
- (١) يا حيف : ما يؤسف له ومما يعيب • المناير : الشجعان •
 خلفوا : اعقبوا وهي من الخلف اي الابناء • حرار : جمع حر ، الصقر •
 وجعة في وكورها : لا تفارقها ولا تغادر او كارها • يقصد اذلاء خانعين •
 (٢) وش : ماذا ، اي شيء • خانة القب الجياد : فائدة القب الجياد •
 وربطها : واقتنائها • الى عاد : اذا لم •
 (٣) ديوان النبط ص ٢٩٠

خَلُوجٍ تَجِدُّ الْقَلْبَ بَتْلًا عَوَالِهَا
 تِكْسُرُ بَعَبْرَاتٍ تُحِطِّمُ سَلَالِهَا^(١)
 تَهَيِّضُ مَفْجُوعَ الضَّمَايِرِ بِحِسِّهَا
 إِلَى طَوْحَتِ صَوْتِ تَزَايِدِ هَجَالِهَا^(٢)
 لَهُ قَلتَ أَنَا : يَا نَاقَ كُفِّي عَنِ الْبِكَاءِ
 لَا تَبْحَثِينَ أَنفُسَ عَمَّا جَرَى لَهَا^(٣)
 لَا تَفْجَعِينَ أَبَالٍ بِاللَّهِ هَوْدِي
 وَلِي خَلُوجٍ خَبَثِ الْبَيْنِ يَالَهَا^(٤)

ثم يمضى مقارنا بين حاله وحالها معددا ما يجيش في قلبه من الام
وأحزان :

تَجِيئِكَ يَا نَاقَ الْخُطَا أَوْ تَجِيئِنَهَا
 وَإِنْ كَانَ ضَاعَتْ لَكَ بِيَدِي بَدَالِهَا^(٥)
 لَكِنْ أَنَا الْيَوْمَ مَا تَنَعَدُ مَصَاوِبِي
 وَلَا عَلَّتِي تَبْرًا وَلَا يَنْشِكِي لَهَا^(٦)

- (١) تجد : تقطع • عوالها : حنينها • تكسر : ترجع • سلالها :
جمع سلة وهي السيوف والخناجر مجردة من اعمادها •
(٢) تهيض • تثير • الضماير : الضمائر وهي عندهم القلوب •
حسها : صوتها • الى : اذا • طوحت : صوتت • هجالها : اضطرابها •
(٣) ياناق : ياناقة • تبحثين : تنبشين •
(٤) هودي : هوني • من قولهم هون عليك • خبث : افسد •
البين : الفراق والبعد •

- (٥) معنى البيت : انه لا بد ان ياتيك وليدك او ان تاتيه انت
فيجذك او تجدينه وحتى اذا فقد فسوف ياتيك عوضا عنه اذ ستلدين غيره •
(٦) ما تنعد : لا تعد • مصاوبى : جروحي ، الضربات الموجه الى
تبرا : تبرا • ينشكى : يشتكى •

ثم يأتي على ذكر موطنهم السليب فيصفه وينعته بكل حبيب على القلب
وهل هناك احب للقلب من ذكر الام وحنانها فينعت ارضهم بانها امهم التي
غذتهم وربتهم ، امهم التي كانت تصلهم برّة بهم • الا انهم كانوا عاقين
سرعان ما نسوا وصلها وحنانها وعطفها •

هي اُمَّنَا وَاَحْلُو مَطْعُومٍ دَرَهَا
غَدَتْنَا وَرَبَّتْنَا وَحِنًا عِيَالَهَا^(١)

برور بنا ، ما مثلها يكرم الضنا
وصول بنا لكن نسينا وصالها^(٢)

تليقي علينا الجوخ والشال فوقنا
وهي عارية تبكي ولا احد بكى لها^(٣)

قلت آه واويلاه يا خيبة الربا
كيف اُمنّا تنهضم وحنًا قبالتها^(٤)

ثم نراه يندب شاكيا باكيا مستصرخا منهضا الهمم فيقول :

لَا تَتَّبِعُونَ آلَهُونَ وَالْعَجَزِ وَالْعَسَى
أَوْ رُبَّمَا أُولَيْتَ يَتَعَبُ سَوَالِهَا^(٥)

(١) واحلو : ما أحلى • مطعوم درها : مذاق حليبها • حنا : نحن •
عيالها : ابناؤها •

(٢) برور : كثيرة البر بنا : الضنا : الضناً ، الابناء • وصول :
كثيرة الوصل •

(٣) الجوخ والشال : من الاقمشة الثمينة • معنى البيت : انها
كانت تلبسنا ثمين القماش وتترك نفسها عارية واليوم تبكى ولا تبكي
لبكائها • ولا نعيد لها فضلها على الاقل •

(٤) يا خيبة الربا : ياضية التربية • اي ان تعبها في تربيتنا ضاع
هدرا لاننا نراها تهان امامنا ولا نتحرك لرفع هذا الضيم •

(٥) العسى او ربما او ليت : اي التعلل • يتعب سؤالها : اي لا يفيد
التعلل بها الا التعب •

تري' مركبَ الآخطارِ هُوَ مَصْعَدَ الْعُلَى

وَلَا يَدْرِكُ أَلْعِيَا غِيورِ شِكِي' لَهَا^(١)

وهكذا يستمر في قصيدته فتثور النفوس وتغضب للكرامة التي اهينت
فتسعى في طلب الثأر وحماية الذمار ، وتسير الجموع وتلتحم فتشتعل نار
الحرب ويسقط المئات من القتلى وتتححر الارض المغصوبة .

ومن الطبيعي - في جو مثل هذا قوامه الحرب والاستعداد لها تتعالى
فيه صرخات الحرب شعرا هادرا بالفخر والتهديد والوعيد - ان يكون
للقائض سوقها الرائج .

فهذا محمد بن هادي شيخ قحطان وفارسها يثور لأمر ما فيرسل
قصيدة تتدفق كلماتها تهديدا ووعيدا لقبيلة (يام) وهم العجمان فيقول :

لِي لَابَةٌ حَدَرَتْهَا مِنْ تَهَامِهِ

وَسِلَاحِيهَا صُنْعُ الْفَرَنْجِيِّ وَالْأَرَوَامِ^(٢)

يَا ذَا الْبِيهِمِ وَاللَّهِ اِنْ تَبَارَى الْجَهَامَهُ

حَتَّاكَ تَنْزِلُ بَيْنَ صَفْوَى وَالْوَجَامِ^(٣)

لَا بَدَّ مِنْ يَوْمٍ يَثْوَرُ كِتَامَهُ

أَمَّا عَلَى الْمَطْرَانِ وَالْأَى عَلَى يَامِ^(٤)

(١) تري : بمعنى ان . مركب : ركوب . شكى لها : اي اشتكى
من وعورة طريقها .

(٢) لابة : الجمع ، الطائفة . حدرتها : اتيت بها . تهامه : هي
المكان المعروفة في جزيرة العرب . الفرنجي : الافرنج الروام : الروم .

(٣) البيهم : صغار الغنم . تبارى : تصاحب ، تسير في رفقتيه .
حتاك : حتى أن . صفوى والوجام : اسما مكانين قرب القطيف .

(٤) يثور كنامه : يثور قنومه . المطران : قبيلة المطير . يام : اسم
يطلق على العجمان .

فتلقفها الالسن وتتألفها الرواة حتى تصل الى العجمان فتثور القبيلة
لكرامتها وينبرى راكان بن حثلين شيخ العجمان وفارسهم المشهور الذي
كانت له صولات وجولات في بوادي الجزيرة في السنين الخوالي •• فيرغى
ويزيد ويرسلها نقيضة مجلجلة الى ابن هادي يكيل له فيها الصاع صاعين
ويحذره من الاقدام على مهاجمتهم لانهم ليسوا ممن ينامون على ذل أو
يصبرون على ضيم • فخير لك وسلامة لجمعك ان تبقى في مكانك ولا تفكر
بالهجوم على حمانا •• واعلم بانك لن تنال ما تصبوا اليه ما دام في الدنيا
واحد من بني يام (العجمان) •

يا راكبٍ حرٍّ تَدْرَبُ سَنَامَهُ

نِيَّ عَلِيٍّ نِيَّ جَدِيدٍ وَمَا أَعَامَ (١)

يَلْفِي لَنَا شَيْخَ كَبِيرِ الْعِمَامَةِ

شَيْخٍ وَرُمُحُهُ فِي هَلِ الْخَيْلِ سَلَامَ (٢)

أَهْدَيْتَ لَكَ نُورَ السَّلْفِ وَالْجَهَامَةَ

أَبْقَيْتَهُ ذُخْرًا فِي مِقَاوِمِ الْأَيَّامِ (٣)

غَدَيْتَ أَنَا وَيَّاكَ مِثْلَ النَّعَامَةِ

جَاهًا بِلَاهَا مِنْ ثِقِيلَاتِ الْأَقْدَامِ (٤)

(١) يا راكب حر : يا راكبا جملا من الجمال الحرة الاصيلة • تدرّب
سنامه : علا واكتشز • ني على ني : بناء على بناء • شبه شحم سنامه بالنأي
الذي يقام دون السليل •

(٢) سلام : لا ينالهم بسوء رغم ان صاحبه شيخ ولا بد للشيخ ان
يكون فارسا يريد انه ليس بفارس •

(٣) نور السلف والجهامة : بهجه الحي وزين القطين • والمراد الجواد
الذي اهداه له • ابقيه : اريده •

(٤) غديت : صرت • جاها بلاها : جاءها بلاؤها • ثقيلات الاقدام :
اي ان مناسمها تعوقها عن الطيران رغم انها في عداد الطيور •

إِنْ كَانَ تَبْغِي لِمُجَادِرٍ سَلَامَةً

فَلَا تُحَدِّرْ بِالْجَادِرِ عَلَى يَامٍ (١)

يَحْرَمُ عَلَيْكَ النَّوْطُ فَكَّةً بِلَامَةٍ

مَا دَامَ فِيهَا وَاحِدٌ مِنْ ضَنَا يَامٍ (٢)

وهذا تركي ابن حميد شيخ قبيلة عتيبة يعثها دفاقه بالفخر والاعتزاز بقبيلته حاظا من قبيلة قحطان مستعليا عليها ولا يخرج فيها عن خلق العربي في الاقرار لخصمه بالقوة والمنعة وهم في تعظيمهم لخصومهم انما يعظمون انفسهم وقوتهم بحيث انهم تمكنوا من قهر قوم بهذه القوة والمنعة ♦♦ يقول :

أَنْتُمْ كَمَا ضَلَعٍ عَلَى الْخَدِّ مَزْمُومٌ

وَاللَّهُ خَلَقْنَا لَهُ نَجُومٍ تَهْلَهُ (٣)

وَأَنْتُمْ كَمَا حَوَى مِنَ الْبَحْرِ لَا هُومٌ

وَاللَّهُ خَلَقْنَا لِلْوَاهِيْمِ عَلَيْهِ (٤)

وَأَنَا بَرْمُجِي فِي هَلِ الْخَيْلِ مَوْسُومٌ

يَوْمَ رُمِحَكَ عِنْدَ سَارِهِ تَشِلَّهُ (٥)

فينبرى له محمد بن هادي بن قرمله شيخ قحطان بقصيدة تقيضه لتلك يقول فيها :

(١) تبغي : تريد • الجحادر : لقب لقحطان • تحدر : تنحدر •

(٢) يحرم عليك : أي ذلا لا شرعا • النوط : وعاء التمر • فكّة

بلامه : حل وكائه • ضنا : ضناً ، نسل ابناء • يام : لقب لقبيلة العجمان •

(٣) كما ضلع : كجبل • الخد : الارض • مزوم : مرتفع • تهله :

تدكه •

(٤) لاهوم : يلتهم ما حوله • والله خلقنا للواهييم عله : اي نحن علة

هذه الحيتان •

(٥) موسوم : معروف • ساره : لعلها زوجه ابن هادي • تشله :

تنقله •

ما خَلَقْتَ الدنِياَ وَلاَ الدِينَ في يومِ
 وَاللّٰئِي تَمَنّٰى حَرْبِنَا مِضْحِجِي لَهُ (١)
 حَرِيبِنَا لو جَضَّ مَا هُوَ مَلِيُومٌ
 اللّٰئِي وَرَأَاهِ - يَجِضُّ مِنْ جَضَّةٍ لَهُ (٢)
 ان كانَ رُمَحَكَ في هَلِ الْخَيْلِ مَوْسُومٌ
 فَنَا بَرْمُحِي حَامِي نَجِدُ كِلَّه

وباب الحماسة باب واسع وميدان رحب نكتفي منه بما اوردنا • وهو
 كما نرى أناشيد حرب وانتصار للمشرف والاباء وهو شعر الثورة التي
 لا تخمد والغضبة البدوية التي لا يطفىء اوارها الا الدم •

وهناك الكثير من شعر الحماسة الذي يدور حول وصف المعارك
 والوقائع المشهورة بينهم • وقد برعوا بوصفها وتصويرها حية نابضة
 بالهول •

وممن برع في ذلك شاعر الحماسة دون منازع محمد العبدالله العوني
 الذي اوقف كل شعره على الحماسة تقريبا • وقال في ذلك القصائد الطوال
 ومنها قصيدته في وصف معركة « البكريه » وهي المعركة الفاصلة التي وطدت
 حكم آل السعود وزعزعت حكم آل الرشيد وهي تقع في (١٨٤) بيتا
 ومطلعها :

(١) معنى البيت : ان الدنيا لم تخلق حتى الآن من يتجرأ على حربنا •

(٢) حريبنا : الذي يحاربنا • لوجض : اذا جض ، اذا خاف او
 اشتكى من شدة ضربنا ، وراه : وراءه •

ومعنى البيت : ان الذي يقوم على محاربتنا لا لوم عليه ان فر وتألم
 من شدة ضربنا وكيف يلام والذي وراءه يفر من فراره ويتألم من المه كأنما
 الضربات فيه • والمراد بطشهم وشدة ضربهم في المعارك •

قوموا كفاكم شرّ ميلاتٍ الأقدار
شدوا على هجنٍ لهينٍ الطرب دار

وله قصائد أخرى قالها في وصف معارك حرب الجوف بين آل الرشيد
من شمر وآل الشعلان من الروله ومنها هذه القصيدة التي مطلعها :

الاعمارُ سفنٌ والسنينُ بحار
بالأقدار تجري والعباب غزار
ومنها القصيدة التي مطلعها :

مزنّة هلّ الغضب من جوانبها
قادها المولى على رأس عدوانه

وله قصائد أخرى كثيرة في وصف المعارك ينقلك فيها الى أرض
المعركة فكانك تراها وتسمع هديرها ♦♦ وممن برع أيضا في هذه الناحية
عميد العلي الرشيد (ابن الرشيد) امير حائل فله قصائد كثيرة في وصف
المعارك التي خاضها مع أعدائه ومنها قصيدته في وصف وقعة (بقعا) التي
جرت بينه وبين أهل القصيم ومطلعها :

يا من لقلبٍ فيه تسعة وتسعين
هجسٍ وهاجوسٍ وعدلٍ ومایل

ومنها قصيدته في معركته مع أهل عنيزه ومطلعها :

طلبت من يعطي العطايا إلى سيل
اللّي عن الطلاب ما صكّ بابّه
ومنها قصيدته التي مطلعها :

يا الله يا اللّي تبدي الخلق وتعيد
والّي بغيت أمرٍ قضيت المرادي

وممن برع أيضا الشاعر أبو الكباير وله قصيدة في وصف معركة
دارت بين قبائل الحويطات والصخور سنة ١٩٠٩ وهي تتجاوز (١٧٠)
بيتاً^(١) ومطلعها :

ابدي بذكرِ اللَّيِّ على الكَلِّ بادي
ربَّ المَلَا وَالِي جَمِيعَ البُوَادِي

وختاما نقول ان من استقرى الشعر البدوي وجد ان الحماسة تستحوذ
على أغلبه وشعر أنها ملء الافواه والاسماع وانها غذاؤهم اليومي فهم
لا يملون من حديث القتال ووصف المعارك والمفاخرة بالايام ♦♦ وانه ليطول
بنا المجال لو اردنا ان نذكر أسماء شعراء الحماسة فكيف بنا لو اردنا الكلام
عن شعرهم في شيء من التفصيل والاسهاب لذلك نقتصر على ما ذكرناه فيه
غنى عن التفصيل والتطويل ♦

(١) خمسة اعوام في شرق الاردن - بولس سلمان .

الفصل الخامس عشر

الهجاء

ان طبيعة الصحراء التي عاش فيها العربي عيشة كفاح ونضال من أجل اللقمة وحل وترحال وراء الكلاً والمطر وحذر وترقب من غاصب يغصبه اياها ، قد ولدت فيه صفاتاً عرف بها منذ القدم فابن خلدون في مقدمته يصفهم بأنهم أصعب الأمم انقيادا لبعضهم البعض للغلظة والانفة وبعد الهمة والمنافسة •

وقد عرف عنهم هذا الى جانب نزوعهم المطلق الى الحرية التي لا تحد لذا رأينا الفرد منهم يشور اذا ما حاول أحد أن يحد من حريته فهو سريع الغضب ، ديمقراطي مسرف في ديمقراطيته ، عصبي المزاج فاذا جرحت كرامته أو انتهكت حرمة قبيلته فهذا أمر جلل لا يسكت عليه فلا بد من الدم يغسل به هذا العار الذي لحقه فيسارع الى سيفه يحتكم اليه ويسارع شاعر القبيلة الى لسانه يشحن القوم بشعره الحماسي الهادر باعنا فيهم النخوة واصفا اياهم بكل مفخرة معرضا بخصومهم نابها عن مثالبهم وعبوبهم •

وهذا الخلق راجع كما قلنا الى طبيعة أرضهم القاسية فهي بعنفها وقساوتها فرضت على ساكنيها قساوة العيش وخشونته لذلك كانت القوة والبأس والمنعة عماد الحياة عندهم ، فالقوي هو الذي يحيا الحياة الحرة الكريمة يختار ما يشاء من المراعي والمياه وينزل في كل أرض ، فيلجأ اليه الضعيف يحتمي به ويلوذ في كنفه • ومن هنا كانت الشجاعة والقروسة وركوب الاخطار والصبر على المكاره وتحملها وحماية الجار واعاثة

المستجير من المزايا التي نظروا اليها نظرة تمجيد واعزاز • فالقوة هي المثل الاعلى في نظر القوم يلجأ اليها العربي والى العصبية القبلية في حل مشاكله التي لا طريق لحلها غير هذا الطريق • فمن العار أن يستغيث بسلطان حاكم ففي ذلك مذلة وضعف ومن هنا كانت نظرتهم الى سكان المدن وأرباب الصناعة والزراعة نظرة احتقار وازدراء فهم في نظرهم أذلاء جنباء ارتضوا لانفسهم حياة الدعة والاستقرار لا يعرفون لذة المغامرة ولا سعوا في طلبها أو خاضوا من أجلها الزحام • ومن هنا كان اعتزازهم بالنسب والعصبية وفاخروا بالشجاعة والبطولة • واستحبوا لانفسهم أن يموتوا على ظهور الخيل وسط المعارك من أن يموتوا على فراشهم حتف أنوفهم •

ولقد نتج من هذا كله مثل عليا ومزايا وخصال نظروا اليها نظرة اجلال واحترام واعتزوا وفاخروا باتصافهم بها كالقوة والكرم والمنعة والوفاء وحماية الجار والصدق والامانة ونظروا الى ما يدخل بها نظرة احتقار وازدراء لذا كانوا يهجون بالجبين والضعف والبل والعدو والكذب والخور واحتراف المهن الحقيرة ويشيرون هذه المثالب والمعائب بألفاظ شديدة الوقع تتناقلها اللسان وتسير بها الركبان •

وما زال البدوي اليوم هو هو بدوي الامس في كل ما ذكرناه • • ولا غرابة في ذلك ما دامت الارض هي الارض والحياة هي الحياة بقساوتها وعنفها ومثلها • فالبدوي اليوم يهجو خصومه بما هجاهم به سلفه ذاكرا معايهم الخلقية من غدر وجبين وبخل وكذب الى المثالب الاخرى التي تتعلق بالنسب وضعته وبامتهان الحرف والقعود عن حماية الجار وعدم نصرة المستجير الى غير ذلك مما هجاه فيه بدوي الجاهلية خصومه • وهو في هجائه هذا لا يسف كما أسف شعراء العصر العباسي وأفحشوا ببذء الكلام ومقذعه ، أيام خالطتهم لوثة الاعاجم ففسد ذوقهم العربي الذي كان يعف عن ذلك ومن النادر أن نجد في شعراء البادية اليوم من جرى

على لسانه شيء من هذا الذي كثر على السنة ابن الحجاج وابن سكره
وبشار وغيرهم •

والدارس لشعرهم اليوم لا يجد للمهجع قصائد منفردة قائمة بنفسها
وانما يجده مختلطا بالحماسة والفخر فالشاعر عادة يفخر ويدل بقومه ثم
يشتهي على خصومهم بهجاء مر يتناول القبيلة والعشيرة كلها ولا يقف عند
المهجو فقط فيتعرض للانساب والاحساب والاخلاق يصورها ويلح في ابراز
الجوانب المعيبة فيها وهو مع هذا نراه يقر للخصم بعراقة النسب ان كان
كذلك وبالكرم الا أنه يوجد له عيوباً يلصقها به كالجبين والفرار من
المعركة أو غير ذلك من المعايير فهذا شاعرهم العونى في قصيدة له يخاطب
فيها آل الشعلان على لسان ابن الرشيد وآل الشعلان هم سادة القبيلة العنزىة
والتي يرجع نسبها الى وائل • نراه يقر لآل الشعلان بأن لهم أخبارا تتداولها
القبائل عن كرمهم وعراقة أصلهم وان نوري الشعلان حامي الجار وحامي
الخائف ثم نراه بعد هذا يزوجي له النصيح بأنهم لا قبل لهم على محاربة آل
الرشيد وان عملكم هذا لا يقدم عليه غيركم والا فكيف تريدون أن
تقتنصوا الصقور بالدجاج ويستمر في ذلك ناعتا اياهم بالجبين وبأنهم ليسوا
برجال حرب يمكنهم الوقوف أمام صولات آل الرشيد •

وَبَعْدَ خَمْسِ لِيَلَاتٍ يَلْفِنُ قَبِيلَهُ

هَمُّ بِالثَّنَا عِلْمٌ بِعَيْدِ أَذْكَارِ

يَلْفِنُ نَوَافِ بَيْنَ شَعْلَانَ بَعْدَ ذَا

وَالنُّورِيِّ مَنْ لَهُ هَرَجَةٌ وَجَهَارُ

قَوْلُوا لَهُ يَا زَيْنَ الْمَخِيفَةَ عَنِ الرَّدَى

تَرَى النُّصْحَ يَشْرِي وَالصَّحِيحَ قَرَّارُ

نَقُولُ لَكَ مَا لِلرَّشِيدِ مَقَابِلُ

الْأَلْمَنُ يَكْتَبُ عَلَيْهِ دَمَارُ

هَمِيَّتْ بِأَمْرِ مَا يَهْمُهُ غَيْرُكَ
 تَرِيدُ تَقْنُصَ بِالِدِجَاجِ حَرَارِ^(١)
 جِئِ الْحَوَازِمَ وَالشَّرَارَاتِ خَلِطَهُمْ
 وَأَبُو تَايَةَ يِرْثِخَ بَغِيرَ هَجَارِ^(٢)
 عُقْبَ الْمِكَافِخِ وَالْخَطُوطِ وَقَوْلُهُ
 حِنَّا سَبَاعِ صَارَ دِيكَ وَخَارِ^(٣)
 حَاشَا وَلِيَّ الْعَرَشِ يَخْلِفُ عَوَايِدُهُ
 يَرْكَبُ عَلَى سِرْجِ الْحِصَانِ حَمَارِ^(٤)

أما الشاعر ابن لعبون فهو يهجو الشاعر ابن ربيعة ، ويعيره بأن قومه
 صناع ، من أرباب الحرف • وهذا عار عندهم • لأن أصحاب الحرف ،
 هم في العادة من ذوي النسب المنحط وهم في الغالب يكونون من قبائل
 الصليب • ويزيد على ذلك بتهمة أخرى فيذكره بأن أباه جاء من وراء
 البقر ، أي أنه فلاح • وهذا عار آخر في عرفهم ، لأنهم كما قلنا يحتقرون
 الزراعة ، والصناعة ، ويحتقرون أهلها ، ويتهمونهم بالجبن والخنوع •
 ثم نرى ابن لعبون يوغل في هجائه • فيطعنه بان أمه تحترف الغزل
 والحياكة ، طلبا للربح ، وهي ليست بذات حسب يشرف • وأنه لا فائدة
 فيه ترتجى لولا شعره • يقول بعد أن يفخر بقومه وحسبهم ونسبهم
 وبطولاتهم وكرمهم :

- (١) هميت : هممت • ما يهمله : لا يهيم به • تقنص : تصطاد •
 حرار : جمع حر الصقر •
 (٢) جيت : جئت • الحوازم والشرارات : قبيلتان معروفتان •
 أبو تايه : عوده أبو تايه شيخ الحويطات • يرثع : يهندي يرثثر •
 (٣) المكافخ : القتال • الخطوط : جمع خط أي الرسالة • حنا :
 نحن • خار : من خارت قواه ، تعب •
 (٤) يخلف : يغير • عوايده : عاداته •

خَذْ مَا تَرَاهُ وَخَلْ عَنكَ التَّفَاكِيرَ
مَنْ شَقَّ جِيبَ النَّاسِ شَقَّوْا وَزَارَهُ
أَخَذِ الصَّحِيحَ أَنْ كَانَ قَصْدُكَ مَعَايِرَ
الْعَيْبِ مِنْ دَارِ الْخَمْرِ وَالْحِجَابِ
يَمْنَاكَ تَقْصُرُ عَنْ فِعْلِ نِيَّةِ الْخَيْرِ
وَمَنْ الْمَرَاغِلَ مَا ذُكِرَ بِكَ نَمَارَهُ
مِنْ طَلَعَتِكَ سَهْمَتِكَ رَقْصٍ وَتَسْطِيرِ
وَبِالْعَوْنِ مَا بِكَ عَقْبُ شِعْرِكَ تِجَارَةَ
تِفْخَرِ بِسُلْطَانِ الْعَرَبِ وَأَنْتَ مِنْ غَيْرِ
مَا مِفْخَرِ الْبَزُونِ لَيْثِ الْمَغَارَةِ
تَدْرِي بِجَدِّكَ مِنْ مَقَافِي بُقَاقِيرِ
أَقْبَلَ وَحَطَّهُ مِجْرِنِ فِي جَوَارِهِ
خَلَاةً بِالْخِدْمَةِ بَدَارِ الْخَطَاطِيرِ
وَمِنْ عَقْبِ ذَا دَارِهِ بَرَسَمِ الْعِشَارَةِ
وَلَفَاكَ تُرْكِي يَوْمَ جَيْتِهِ بَتَزْ وَيَرِ
عَنْ أَصْلِكَ ثُمَّ أَطْلَعَكَ فِي نَهَارِهِ
وَأَقْفَيْتَ تَشْتِمِ الصَّغْرَاتِ وَالْبِيرِ
تَقْبُولُ بِالْعَوْنِ جَيْتِي لَهُ خَسَارَةَ
لَوْ أَنْتَ مِنْهُمْ مَا رِضُوا لَكَ بِتَحْقِيرِ
عِنْدِ الْقُبَايِلِ مِظْهَرِينَ وَقَارَهُ

يا عبيدَ جِدِّ أَمِّكَ يَفَاحِجْ عَلَى الْكَيْرِ
 أَصْلُهُ مِنْ صَلْبِ يَدُقِّ أَصْبَارِهِ
 شَاطِرٌ بَصْنَعُهُ لِلْحِذَا وَالْمَسَامِيرِ
 وَذَقْنَهُ خَلَاصِ الْكَيْرِ كُلُّهُ بَشَرَاهُ
 فِي وَسَطِ عَانِهِ تَسْدِي الْغَزَلِ وَتَنْبِيرِ
 وَزُودِ أَيْلِهَا بِالْحَيَاكَةِ تَجَارِهِ

وهكذا نرى ابن لعبون في هجائه لابن ربيعة قد رماه بأن آباءه صناع
 ماهرون بالحدادة يقضون أيامهم عاكفين على الكير وأمه صانعة ثياب
 وغازلة صوف وكفى بذلك مهانة وعار وهو بهذا يذهب مذهب جرير في
 هجائه للفرزدق حيث رماه بأن أجداده كانوا يعيشون بالحدادة ، يقضون
 أيامهم قرب النار والحديد والشرر والدخان المتطاير من الكير فيقول: (١)

ما بال أمك إذ تسر بل درعها
 ومن الحديد مفاضة سر بالي
 حمت وجهك فوق كيرك قائما
 وسقيت أمك فضلة الجريال
 فانفخ بكيرك يافرزدق وانتظر
 في كرباء هديفة القفال

أما ابن ربيعة فيجيبه مفاخرا بنسبه وعراقته وبقومه وفعالهم وينفي
 عن نفسه وعشيرته ما ألصقه بهم ابن لعبون بقصيدته ثم يكيل لابن لعبون
 الصاع صاعين فيطعن بنسبه ، فهو هجين من أم أعجمية اشتراها أبوه من
 سوق النخاسة وهي وان كانت شقراء جميلة إلا أن مخبرها خبيث :

(١) شرح نقائض جرير والفرزدق طبعة ليدن .

- خذ ما تراه واخل عنك التفاكير
يا قلب ياللى كل ما جاءه داره^(١)
صار الجزا لي من رقيقي معاير
ليته يشارهني مشاري مشاره^(٢)
ان كان حنا ياخوالك عطا طير
فحمود تبطل شيمته واعتباره^(٣)
أبوك أخذ هندية بالدنانير
بيضا وتكرم داخلها طهاره^(٤)
ليتك تقر بخطبتك بنت صهير
أنشد بني عتبه ترى العجم داره^(٥)
مر باه في دسبول والجد بنجير
شقرا ولطامه خدود خساره^(٦)

-
- (١) خل : دع ، اترك . التفاكير : الافكار والتفكيرات . ياللى : يالذي . داره : أداره .
- (٢) الجزا : المجازاة ، الجزاء . معاير : نبز باللقاب والانساب . يشارهني : يعاتبني .
- (٣) حنا : نحن . عطا طير : مفردها عطار .
- (٤) أخذ : تزوج . تكرم : معترضة تستعمل بمعنى أجلك عن ذكر ما سأقوله . داخلها طهارة : مخبرها خبيث . والطهارة عندهم المرحاض . دورة المياه .
- (٥) أنشد : اسأل . ترى : اعلم بأن .
- (٦) مر باه : نشأتها . دسبول ونجير : جهتان من بلاد العجم . لطامة خدود : يقصد شيعيه لكثرة ما يلطمون على سيدنا الحسين .

تشهد لنا عقال قومك بتفخير

وحنا هل العوجا وحنا فقاره (١)

ياهيه ، من صنعا الى ما ورا الدير

أشدك من كل البوادي جواره (٢)

فابن ربيعة رغم طعنه بنسب ابن لعبون في كونه ابن أعجمية رخيصة بيعت بدنابير قليلة * * * الى غير ذلك فهو لم يفحش في كلامه وهذه عادتهم اذ انهم يترفعون عن الكلام البذيء تماما كأسلافهم فالهجاء الجاهلي لم يكن فيه بذاءة وفحش وما خرج عن ذلك فهو قذف وافحاش *

فالتقائض على كثرتها في شعر البدو الا أن الدارس لها رغم ما يلاحظه من غضب وحقق ومنافرة وتبادل مطاعن لا يجد فيها سلاطة في القول أو فحشا مزريا أو شيئا من الاقذاع الذي تجده عند أبي نواس وابن سكرة وابن بسام البغدادي وابن الحجاج وبشار وغيرهم من شعراء العصر العباسي الذين انحدروا وأوغلوا في الالفاظ البذيئة وسفوا في المعاني المنحطة السافلة حتى لتتوارى اهاجي جرير وصاحبيه أمامها حياء وخجلا * أقول أنه لا يجد فيها ما هو واجده عند هؤلاء * وانما سيجدهم عاكفين على أخلاق الجاهلية في هجائهم * يرمون من يحترف الصناعة والمهن الحقيرة والبخل الى غير ذلك من المثالب الخلقية *

فهذا شاعر يهجو خصمه بالبخل بأسلوب ساخر أشبه ما يكون بالتصوير الكاريكاتوري * فهو يطلب منه أن يراف بحاله وماله الذي

-
- (١) عقال : عقلاء * بتفخير : بالفخر * حنا هل العوجا : نحن أهل العوجا وهي نخوه أهل العارض يتنادون بها وقت الشدة * فقاره : سنام * يقصد رفعة النسب وعلوه كما أن السنام أعلى ما في الجمل *
(٢) ياهيه : يا هذا * صنعا : صنعاء * الدير : قد يكون المقصود دير الزور وهي مدينة على الفرات * جواره : بجواره *

أفناه بكرمه • فجفانه كعيون البعير في السعة فأية سخرية لازعة هذه تصور
جفانا تقدم للاضياف بسعة عين البعير يتناول الضيف منها لقمة أو لقتين
أما الثالثة فستكون هواء ••• أما الخبز فهو من الشعير اذا عضه كهل
صرخ من الالم لقساوته وصلابته •

يقول :

يا واشس يا عبدَ العزير
خَرَبَتْ بِتِكَ شِدَعَوْه^(١)
ما كُولُكُمْ خُبَزَ الشَّعِيرِ
ان عَضَّه الشَّايِبُ عَوَه^(٢)
وَجَفَانِكُمْ عَيْنَ البَعِيرِ
غَطَّيْنِ وَالتَّالِثُ هَوَه^(٣)

أما ابن جعش فيهجو حضريا ويرميه بالبخل ولكن بأسلوب ساخر
لاذع فهو لا يقول عنه انه بخيل هكذا صراحة وانما يصف حالة من
حالاته ويصورها تصويرا مضحكا •

أفلقهوة في البادية هي الأداة لاجتماع الرجال وتبادل الاحاديث •
وصانعها لا يشربها لوحده ، بل على العكس ، نراه يدعو رجال القبيلة
جميعا عن طريق دقات منغومة ، صادرة عن « النجر » الذي تطحن به

(١) ياواش : مهلا هون عليك • شمدعوه : على اي شيء او ما
هذا كله •

(٢) ما كولكم : ماكولكم • الشايب : الكهل الرجل المسن • عوه :
صرخ وهي مأخوذة من العواء •

(٣) وجفانكم : مفردها جفنه : وهي وعاء الاكل الذي يقدم للضيوف
وهو عادة يكون واسعا وتتناسب سعته مع الوضع الاجتماعي للمضيف
فكلما كانت واسعة دلت على الكرم وعلى عراقة المضيف • هوه : هواء •

القهوة • فاذا سمعها الرجال توجهوا الى بيت صاحبها ، يشربونها ويسمرون حولها • وهذه هي عادتهم • فالقهوة لا تخفى عن احد وهذا ان حصل ، فهو عار ما بعده عار • لذا نرى شاعرنا ، يرمى خصمه ، باخفاء او اني القهوة • فاذا اراد شربها سقى نفسه بنفسه ، وتراه يخفى نفسه في زوايا البيت وقلبه يدق خوفا فكانه صائد نصب شركا لطائر فاخفى نفسه حتى لا يراه الطائر ••••• ومن ثم يغلق ابواب بيته على نفسه خائفا مترقبا حتى السعلة لا يظهرها خوفا من ان يسمعها احد فكانه مطارده من احد فيخشى ان يظهر صوتا ينم عن مكانه ••• وحتى الدخان الذي تبعته النار يخاف ان يفضحه فيرتقى سطح المنزل ليغطي فوهة المدخنة حتى لا يخرج منها الدخان فينم عليه • ويستمر باعطاء هذه الصور الساخرة فيصف (نجيره) اداة سحق القهوة بانها مثله خرساء لا تظهر صوتا عندما يدق فيها حب القهوة فكانها كلب زارع الخضار الذي يسرق اللص والحص لا يسرقه ••• يريد ان هذا الكلب يفاجيء السارق مفاجاة دون ان يصدر منه صوت ينم عنه فيتنبه اللص الى ذلك ••••• فهل من سخرية اشد من هذه السخرية تصور رجلا يقوم بهذه الاعمال من اخفاء نفسه في الزوايا الى الترقب والحذر ورجفان قلبه كل ذلك من اجل ان يشرب قهوته لوحده فلا يشاركه فيها احد وعلى القارى او السامع ان يتصور مدى هذا البخل الذي جعل صاحبه يسلك هذا المسلك • يقول :

الى همّ يقهوى نفسه

نوى في ماله باتلافه^(١)

تلقاه يكوبع في العير

قلبه ما يسكن رجافه^(٢)

- (١) الى هم : اذا هم • يقهوى نفسه : يسقى نفسه القهوة •
(٢) تلقاه : تجده • يكوبع : ينتخبأ • في العير : بكسر العين وتشديد الياء جمع عائر وهي الزوايا • رجافه : رجفانه •

كنه جبالٍ له حقه
 حَطَّ الْحَبَّةُ فِي مِطْرَافِهِ (١)
 سَاعَةً يَدْخُلُ صَكَّ الْمَجْرَا
 وَعَقَدَ شَلْحَاتُهُ وَاطْرَافِهِ (٢)
 عَفَى مَا هَا وَحَيْبَاتُهُ
 وَوَقُودُهُ خَوْصِ السَّفَافِهِ (٣)
 حَتَّى الْكُحَّةُ مَا يَظْهَرُهَا
 كَنَّهُ سَارٍ فِي مَخَافِهِ (٤)
 مِنْ خَوْفِهِ يَظْهَرُ دَخَانُهُ
 يَرْقَى وَيَغْطِي كَشَافِهِ (٥)
 كَنْ نَجِيرِهِ كَلْبٍ مَخْضَرٍ
 يَحُوفِ الْحَايِفِ مَا حَافِهِ (٦)

اما الشاعر خلف الاذن • وهو من آل الشعلان نسبة • اضطر الى
 ترك قبيلته على اثر خلاف وقع بينه وبين النورى (نوري بن شعلان) ،

- (١) كنه : كأنه • جبال له حقه : ناصب فح • حط الحبة : وضع
 الطعم • مطرافه : في مكانها من الفخ •
- (٢) صك المجرا : اغلق الباب بمغلاقه الكبير • عقد شلحاته : شمر
 اكمامه • اطرافه : اى اطراف الثوب •
- (٣) عفى : نقى • ساءها : ساءها • حبيباته : تصغير حبوب القهوة •
 خوص السفافه : خوص السعف •
- (٤) الكحه : السعال • كنه : كانه • في نحافه : في حالة خوف ورعب •
- (٥) يظهر دخانه : يخرج دخانه ويظهر للعيان • يرقى : يرتقى
 يصعد • يغطي كشافه يغطي مدخنته •
- (٦) كن نجيره : كان هاونه (الهنون) • كلب مخضر : كلب زارع
 الخضره • يحوف : يسرق • الحاييف : اللص •

والتجأ الى ابن سبهان ، وهو احد المقدمين عند ابن الرشيد امير نجد ، قبل ابن سعود . وفي يوم كان شاعرنا جالسا مع ابن سبهان ، واذ بشاعر متكسب يدخل « المضيف » ويأخذ بالانشاد فاذا انتهى قال ابن سبهان لخلف الاذن « رد عليه يا خلف » يريد منه ان يتهاجى مع هذا الشاعر لكي يتسلى هو . فكبّر الامر على خلف . ايتهاجى مع هذا الشاعر المتكسب الوضع النسب وهو من آل الشعلان امراء الدولة وسادة من سادات البادية . فاخذته الحمية والبدوى جرى بطبعه يأنف من الذل ويثار لكرامته فورا . فتناول خلف الربابه ، وانشد قصيده على الفور ، يهيج بها ابن سبهان ، ويشتمه ويلوم نفسه على تركه قومه واللجوء الى هذا الانسان ، الذي مل ضيافته رغم ما يبديه له من حلاوة في اللسان . فهو لثيم ورجل ردىء وهو عدو قديم منذ دور الاجداد - يشير بهذا الى الحروب والمعارك التي جرت بين آل الرشيد وآل الشعلان . ثم يرميه بكل نقيصه ومن أنه وضع في نسبه وانه يجلس مجالس الرجال وهو امراء . يريد انه ليس من الرجولة في شيء . وهو لذلك سيغادره عائدا الى اهله رغم الجفاء الذي بينه وبين النورى فهم على كل حال اهله وعشيرته .

يقول منها :

يَوْمَ تِنَادِ بِنِي وَأَنَا وَبِنِي وَبِنِي
بَقَعَهُ تَصْفِجِنِي عَلَى غَيْرِ فَاقَاهِ

اللَّهُ يَخُونُكَ كَانُ مَا تَشْتَهِي

لو حكيت لي بالعلوم الرقاقة (١)

الشَّيْنُ شَيْنٌ وَمَنْقَعُ الشَّيْنِ شَيْنٌ

عَدُوٌّ جَدٍ وَلَا بَقْلَبِكَ صِدَاقَةٌ (٢)

(١) العلوم : الاخبار ، الاحاديث . الرقاقة : الرقيقه ، العذبة .

(٢) الشين : الرجل الردىء . منقع الشين : اصله . عدو جد : اي

انه عدو منذ عهد الجدود .

فنجال طينٍ منّت فنجال صيني
تبرك مبارك الجمل وأنت ناقة (١)

أبغى تنصى واسمين الرديني
الربع اللّي كل أبوهّم رفاقه (٢)

وهذا الذي رأيناه كثير الوقوع بين الشيوخ عادة ، حيث نرى فيه
ثار البدوي لكرامته ومجابهة خصمه دون خوف او وجل •• وقصائد
الحماسه مليئة بهذا النوع من الهجاء • من ذلك ما جاء في قصيدة لعبيد العلي
الرشيد فارس نجد وامير حائل السابق يخاطب فيها ابن سليم صاحب بريده
لما أغار على حائل سنة ١٢٦٢ هـ ومطلعها :

يا بن سليم أن كان غرتوا بالاطراف
فلاتهم الطهبله والتداهير

ويمضي الشاعر بالمفاخرة بقومه ، ويعدد معاركهم وانهم رجال حرب
وطعان ، لا يغيرون على الاطراف كما يفعلون انتم ، مستغلين بعد هؤلاء وقلة
عددهم • ويستمر في فخره وحماسه ، حتى يعرج على ابن سليم خصمه
فيرميه بايات مرة لاذعة يصوغها على شكل نصيحة • لكنها نصيحة تنضح
بالسخرية والظعن والانتقاص من ابن سليم وقومه •••

فالمعروف عن اهل بريده انهم من التجار حيث يتزعمون تجارة
الجزيرة العربية في الابل والخيول والغنم ويطلق عليهم اسم « عقيل » •••
لذا نرى الشاعر ينصح خصمه بان يبقى على تجارته وعد الدنانير ويترك
الحرب لاهلها وان لا يحمل نفسه فوق طاقتها ففي ذلك ذهابه فالحرب

(١) فنجال طين : فنجال من الطين • صيني : الخزف الصيني وهو
ثمين عادة • تبرك : تجلس ، تنهياً لحمل الصعاب •
(٢) ابغى : اريد • تنصى : اقصد ، اميل الى • واسمين الرديني :
الجاعلين الرديني وسما لهم • الربع : الاصحاب • رفاقه : رفاق •

تريد رجلا خلقوا لها ولم يخلقوا لحمل البضاعة والانتقال بها بين القبائل ليعها • فاترك يابن سليم السعي للحرب واخذ مع حليلتك الى الراحة والسكينة وسط غيوم البخور العطره واترك عجاج الحرب وغباره ورائحة البارود وارضى بفقد الجزء خير لك من فقد الكل • فان كنت قد صنعت لك درعا من سعف النخيل ، وتريد به أن تصوغ الجبل (جبل شمر) على هواك وتشكله كما يشكل الصانع ما بيده على نار الكير ، فانت واهم فالسور لا يبني من اغصان الصفصاف • يريد بذلك ان عظام الامور يراد لها رجال اشداء للنهوض بها ، والحرب تريد من يكون اهلا لها •

يقول :

فان طعيت شوري فاسع باطراف الانصاف
 ببضاعتك واضبط حساب الدنانير
 واتعب لمجلس الشفاتين ***** بلحاف
 وارقد معه وادعت عجاج المباخير
 شوري عليك من المغازي بالانكاف
 ترى ذهاب النمل سعيه بتطير
 اعمى بريده لا يكرك بمهيف
 ويتبع بك الدلو الرشا باسفل البير
 نصيحتي ان كنت للجبل عراف
 وان كان تبغينا فحننا محاضير
 دون الجبل ننقل رهيفات الاسياف
 على ظهور معسكرات المسامير
 عملت لك درع وهو جرد خصاف
 تبغي تصوغ الجبل صوغ على كير

السور ما ينبي بعودان صُفُصَاف

وَبِالسُّوقِ لَا يَغْرِيكَ رَقْصَ الْجَزِازِيرِ

وكثيرا ما نجد في شعرهم هجاء سياسيا مبعثه الخصومات والتنازع على السلطة والامارة فهذا عجلان بن رمال وهو من قبيلة شمر الذي اضطر الى النزوح عن نجد بعد ان دالت دولتهم المتمثلة في امارة ابن الرشيد •• نراه يحن الى نجد ويترقب ان يصله رسول منها يخبره عن موطنه ما حل به بعد ان اختلفت الروايات فمن قائل انها تحيا بسلام وطمأنينه فلا خوف ولا ظلم على حين انها حسب علمه ملجأ للذئاب الكساسة المتوحشة •

فيقول :

مَتَى يَجِينَا طَارِشٍ فَوْقَ مَجْحُودٍ

يَعْلَمَنَّ عَن دِيرَتِي وَشَ جِرَابِهِ (١)

هِيَ عَلَى مَا جَانِي سَهُودٌ وَمِهْودٌ

وَلِلَّاءِ عَلَى خَبْرِي سَوَاةَ الذِّيَابِهِ (٢)

حَلْنَا مِنَ الْجَوَابِهِ عَلَى الْكَنْسِ الْكُودِ

وَلَا لُومَ أَنَا خَطُوهَ الرَّجُلِ لَوْ يَهَابِهِ (٣)

ثم نراه ينتقل الى هجاء البعض من عشيرته الذين آمنوا بالدعوة الوهابية والتحقوا بجموع الاخوان تحت امرة ابن السعود •• فيطلب لهم الموت

(١) يجينا : يجيئنا • طارش : رسول • مجحود : صفة للجمل

القوي • يعلمن : يخبرنا • وش جرابه : اي شيء جرى بها •

(٢) ما جاني : ما جاءني • سهود ومهود : ارض مطمئنة يرف عليها

السلام • واللاء : والا • خبري : علمي •

(٣) حلنا : رجعنا اتينا • الجوبة : مكان ، الارض المقفرة • الكنس

الكود • الجمال القوية • خطو الرجل : الرجل الشجاع • لو يهابه : اذا

هابها وتخوف من قطعها (اي الصحراء) •

ومن الله ان يحرمهم شبابهم ثم يصفهم بانهم يمسون ويصبحون حليقي الشوارب • واذا شدوا العصاب على رؤسهم فهم يتهيئون الى سفك الدماء ، تصور انهم يقتلون اقاربهم رغم انهم من شمر ومع هذا نراهم يخربون بيوتها ومضيف قبيلتهم ••• يا للعار انهم يريدون الجنة بقتل اقاربهم ••• ثم يختم قصيدته بالقسم العظيم بان هذا الشيء يبرأ الاسلام منه وانها اعمال لم تسن ولم تعرف في عهد الصحابة (رضى الله عنهم) يقول :

نَكَاسٌ لِلْاِخْوَانِ دُودٌ وَكَدُّ دُودٍ

ها ذاكٌ وِدْكَ اللهُ يَنْزَعُ شَبَابَهُ (١)

بِمَسِيٍّ وَيُصْبِحُ شَارِبُهُ تَقِلُّ مَجْرُودٌ

يَذْبَحُ أَلْيَا شَيْفَتٌ عَلَيْهِ الْعِصَابَةُ (٢)

اخوان شمر ما رتطلاهم السود

مضيف اهلهم على ايديهم خرابة (٤)

والله دين وتتبّع الدين بشهود

انها فلا سنت بدور الصحابة (٥)

فشاعرنا في هجائه هذا سلط الانظار على ناحيتين تجلب العار لصاحبها

(١) نكاس للاخوان : يميل اليهم - دود ولد دود : شتيمة • ودك :

بودك وتأتي احيانا دعاء •

(٢) تقل : تقول وتأتي بمعنى كأنه • مجرود : مخلوق ، والاجرد

خفيف شعر الوجه • اليا : اذا • شفيت : رؤيت •

(٣) مار : لكن • تطلاهم : تطليهم • مضيف اهلهم : المكان الذي

خصصه اهلهم للاضياف والمقصود هنا بيت الشيخ •

(٤) لقوا : وجدوا • دسمة الفود : ما يصبون اليه من فائدة وطمع

ويقصد انهم انتهزيون دفعهم الطمع الى الانضمام الى آل سعود • دوار

الجنة : طالبوا الجنة • القرابة : الاقارب •

(٥) فلاسنت : لم تسن • بدور الصحابة : على عهد الصحابة •

في عرفهم • الاولى قتلهم لاقاربهم وهذا يتنافى والعصية القبلية ، وهي شيء مقدس عندهم • والناحية الثانية حلق الشوارب • وهذا عيب ما بعده عيب عند البدوي • وان كانت الوهاية في عملها هذا انما تماشى السنه • وكأنما اراد شاعرنا بتطرقه الى هذه الناحية ما اراده شاعرنا المتنبى في قوله :

أغاية الدين ان تحفوا شواربكم
يا أمة ضحكت من جهلها الامم

ثم نراه يتهمهم اخيرا بان اندفاعهم هذا لم يكن بدافع حرصهم على الدين واعلاء كلمته • وانما بدافع طمعهم وحرصهم على الكسب والغنيمة والربح ♦♦♦♦

وقد اجابه على قصيدته هذه الشاعر مضحى بن وحيير وهو من عبده احدى قبائل شمر بقصيدة يوافقه فيها على ما جاء في قصيدته ويؤمن على اقواله وينصحه بان لا يذكر نجدا بعد اليوم ولا يحن اليها وان يحيا هائما في القفار صابرا على الضيم خير من حياة نجد الآن • فنجد حلاوته ايام كانت الحياة فيه آمنة مطمئة يجد فيها الخائف ملجأ له فينام قريير العين • اما اليوم فلا عز فيه • ولا أمن لخائف • فبعد ما كان سكتته سلاطينا وفهودا وفرسانا تولت امره الآن جماعات من اخلاط الناس فمن قوم (ختلان) الى قوم « سلبود » الى غير ذلك ممن هب ودب حتى ان لهجاتهم لا تتشابه لانهم ليسوا من أرومة واحدة وانما هم خليط من البشر همهم الوحيد الدس والوقعة بين الناس فابعد عنهم واتبع البعد بصدود يقول :

احسنت يا عجلان ما قلت منقود
حكيمك على عقلي لذل جوابه^(١)

(١) ما قلت منقود : لم تقل ما ينتقد •

ان° كُنْتُ° عَنِ° اَللّٰى° تَشْتَهِي° مِنْت° مَرْدُوْدٌ°
 اِقْبَلْ° نَصِيْحَةً° وَاَحَدٍ° لَكَ° عَنَابَةٌ° (١)
 اِنْحَسْ° مَعَ° اَلدِّيَّانِ° وَاَصْبِرْ° عَلٰى° الْكُوْدِ°
 لَا° تَطْرَحْكَ° نَاسٌ° تَقُوْلُ° كَلَابَةٌ° (٢)
 نَجِدْ° حَلَاتَهُ° يَوْمَ° حَاوِي° وَمَرْدُوْدٌ°
 وَعَزِيْزٌ° يَنْبِاْمَ° قَهِيْدِيْ° مِنْ° لِحَابَتِهِ° (٣)
 وَالْيَوْمَ° لَا° عِزٌّ° وَلَا° زَيْنٌ° مِّمَّهٗٓوْدِ°
 قُلْ° لَهُ° لِيَاجَا° طَارِيَهُ° لَا° هَلَابَةٌ° (٤)
 مِنْ° عَقْبٍ° مَا° سَكَنَاهُ° سَلَاطِيْنٌ° وَفَهُوْدِ°
 تَوَلَّيْتُهُ° نَاسٌ° عَلٰى° اَللّٰهِ° حِسَابَةٌ° (٥)
 مِنْ° قَوْمٍ° خَتْلَانٌ° لِيَا° قَوْمٍ° سَلْبُوْدِ°
 نَاسٌ° تِفَالَهُ° وَاللَّفَّةُ° مَا° يَتَشَابَهُ° (٦)

- (١) منت : ما أنت . اقبل نصيحة واحد لك عنابة : اقبل النصح
 من رجل تحمل عناء نقله اليك .
- (٢) انحس مع الديان : يطلب اليه ان يهيم في القفار ويتوجه اليها .
 لا تطرحك لا تطرحك ارضا اي تقتلك . تقول : تغتال . كلابه : كلابها ،
- (٣) حالاته : حالاته . حاوي ومردود : اي كنا نجوب فيه ولا يمنعنا
 احد لاننا نحن حاكموه . قهيدي : النوم العميق المريح . لجاب به :
 (٤) لياجا : اذا جاء . طاريه : ذكره . لا هلابه : لا أهلا به .
 لا زين مضهود : لا ملجأ لمضطهد .
- (٥) عقب : بعد . سكناه : ساكنوه . تولته ناس على الله حسابه :
 اي على الله حسابها فهو وحده الذي يعرفهم ، يريد انهم قوم مجهولون لم
 يكن ليعرفهم احد من قبل .
- (٦) ختلان وسلبود : اسمان لشخصين . ليا : الى . ناس تقاله :
 ناس تنفاله اي تنتشر . اللغة : بكسر اللام وفتح الغين : الكلام . ما يتشابه :
 لا يتشابه .

من بين قوادٍ ليا بين مقيود
بس نقيلي حكيمهم و الخيابه^(١)

ابعد عنه و اجزّه مع البعد بضدود
ما زال ما قالوا عديم سطابه^(٢)

فهو هجا نجد ، و شتم ساكنيها ، و طعن في اسابهم و في اخلاقهم •
فهم شذاذ آفاق تجمعوا فيه ، من بعد ما كان مسكنا للملوك ، و الفهود من
فرسان شمر • ولا ينسى ان يرمى الوهابيين بانهم يقتلون كلابهم • و البدوى
لا يقتل كلبه بل يعزه فهو حارسه الامين وهو الوفي له و الشاعر لا يجد
مبررا لقتل هذه الكلاب وهو في نظره عمل ينم عن قساوه و وحشية •
فاناس كهؤلاء ليس في قلوبهم رحمة او وازع يمنهم من قتل كلابهم
لا يمكن للانسان ان يثق بهم او يركن اليهم •

و اذا تركنا هذا النوع من الهجاء الاخلافي الذي يتناول المثالب
و المعايب جانبا • وجدنا عندهم من الهجاء الشخصى الذي يتناول عيوب
الخلقة ، و السحنه الشئ الكثير ، و يكون هدف الشاعر من هجائه ان
يجعل المهجو هزأه للسامعين ، في رسمه في صورة ساخرة مزرية تلفت النظر
اليه و تثير الضحكات • و الشاعر بتصويره يركز على نقص في المهجو يوسع
امره و يضحمه و يبلع في ابرازه حتى يثير الزرايه و يشبع النكتة ، من
غير رحمة او شفقة ، فيكون مدار شعره عادة ، قصر في المهجو او دمامة
في وجهه او طول و ضخامة في انفه او كبر في المنخرين او تنوء في عينيه
الى غير ذلك من عيوب الخلقة التي ليس للمهجو فيها يد ولكنهم الشعراء
وقديما قيل « و عداوة الشعراء بس المقتنى » •

(١) قواد : قائد • مقيود : منقاد (تابع و متبوع) • بس : فقط •
نقيلي حكيمهم و الخيابة : اي ان كلامهم كله خائب لا يخرج عن نقل ما يتلفظ
به الناس للدس و الوقيعه •

(٢) اجزه : جازه • عديم : فارسي • سطا : من سطا يسطو اي تسلط •

فهذا الشاعر سليمان بن علي التيمي يهجو أحدهم ويصف أنه
الافطس الضخم فيقول :

جَلَّ الْخَالِقُ يَا خَشْمَ لَهُ
لَوْ هُوَ يَشُوقَهُ مَا شَالَه (١)

فِيهِ حَنْفَهُ فِيهِ جَنْفَهُ
وَفِيهِ صَدْفَهُ مَلَّه ، مَاله (٢)

وَصَفٍ أَعْرِفُهُ بِأَقْوُلِهِ
لَا شَكَّ أَسْرَعُ مَا تَلْقَى لَهُ (٣)

كُنْهَ قَيْنِ حِمَارٍ قَاحِلِ
لَهُ زِمَانٍ فِي مِزْبَالِهِ (٤)

فِيهِ خَرُومٍ وَمِثْلَتَمِ
وَالْأَرْضَهُ شَبَّتْ فِي جَالِهِ (٥)

كُنْهَ كَسْرَةٍ صَاعٍ نَاقِصِ
مِنْ كَسْرٍ فِي يَدٍ كِيَالِهِ (٦)

فِيَالِهِ مِنْ أَنْفِ حَوَى كُلِّ مَا يَجْعَلُ مِنْ صَاحِبِهِ هَزَأً لِلنَّاطِرِينَ فَهُوَ فِي
كِبْرِهِ كِحَافِرِ حِمَارٍ مَلْقَى فِي مِزْبَلِهِ مِنْذَ أَمْدٍ طَوِيلٍ حَتَّى تَخْرُمَ وَتَتَلَمَّ وَآكَلَتْ

(١) يشوقه : يراه . ما شاله : ما حمله . خشم : انف .

(٢) حنفة : ميلان ومثلها الجنفه والصدفه .

(٣) باقوله : اقوله .

(٤) كنه : كأنه . قين حمار : حافر حمار . قاحل : كبير .

مزباله : مزبله .

(٥) الارضه : نوع من الدود يقرض الخشب والملابس وغيرها .

شبت في جاله : اكلت جانبه .

(٦) كنه : كأنه . صاع : مكيال .

« الارضه » جوانبه • او كأنه كسرة من صاع ناقص كسر بيد كيال •••
وانت ايها السابع ، لا تشمت به •• بل احمد الله الذي جعلك في اكمل
خلقه فلم يصبح جالك كحاله •

واخيرا لا نريد ان نذهب بعيدا في ايراد النماذج فهذا أمر يطول
واحسب اني قد عرضت لالوان الهجاء وانواعه بما فيه الكفاية ، بحيث
اعطيت صورة واضحة لهذا الباب وللطريقة التي سلكها الشعراء في هجائهم
من حط لقيمته المهجو وتدريبه وسخرية وتهكم وضحك ، الى تناول ما
يعيب في عرفهم من بخل وجبن وغدر وذل للجار وضعة وهوان وخمول
في النسب وطعن في صفائه ونقائه ، الى غير ذلك من المثالب والمعائب •

وقد لاحظنا انهم في هجائهم - على الرغم من قساوته - كانوا بعيدين
كل البعد عن بذيء الكلام وفاحش القول ، وعن المعاني المنحطة السافلة ،
التي يزخر بها شعر المتأخرين من شعراء العصر العباسي • وفي يتيمة
الدهر للشعالي الشيء الكثير من هذا الذي تنقزز النفوس منه وتأنف الاذان
من سماعه وخاصة ما اورده الشعالي من شعر لابن الحجاج وابن سكره •

★ ★ ★

الفصل السادس

الوصف

وهو من اوسع الابواب الادبية نطاقا واكثرها شمولاً فهو في كل باب من ابواب الشعر حتى نستطيع القول بان كل شعرٍ وصفٍ • يقول المبرد في الوصف بانه « باب كأنه لا آخر له » • (١) •

والوصف لغة ، اظهار الموصوف وتزيينه وتحليلته • قال بن منظور في اللسان : وصف الشيء • • حلاه • ويقول ابن رشيق : واصل الوصف الكشف والاظهار ، يقال قد وصف الثوب الجسم اذا نم عليه ولم يستره • • (٢) ومنه قول ابن الرومي :

اذا وصفت ما فوق مجرى وشاحها

غلائلها ، ردت شهادتها الازر

اما في الادب فالوصف انما هو التصوير الحي للمظاهر الطبيعية بخطوط دقيقة ملونة تساعد السامع على كشف الجمال الكامن فيما يطرقه الوصف من مواضع واغراض • ويذهب ابن رشيق في عمدته الى ان احسن الوصف ما نعت به الشيء حتى يكاد يمثله عيانا للسامع • ولعل اجمل ما قيل في الوصف ما رواه ابن رشيق على لسان بعض المتأخرين قوله : ابلغ الوصف ما قلب السمع بصرا (٣) •

(١) الكامل ج ٣ ص ٨٧٨

(٢) العمدة ج ٢ ص ٢٧٩

(٣) العمدة ج ٢ ص ٢٧٨

والوصف كما قلنا سابقا باب واسع يكاد يتلغ سائر الاغراض حتى ان ابن رشيق ذهب الى القول : بان الشعر الاقله راجع الى باب الوصف ولا سبيل الى حصره واستقصائه^(٤) وابن رشيق في كلامه هذا لم يجانب الواقع والحقيقة • فلمدح والرثاء والهجاء والفخر والنسيب ما هي في الحقيقة الا وصف للانسان في حالات معينة ومواقف موقوته •

والوصف في شعرنا البدوي كما هي الحال في الشعر الجاهلي ليس بغرض مستقل وانما يمتزج في اغراض الشعر جميعا وليس بغاية تبنى عليها القصيدة وانما هو واسطة لتنميق القصيدة وتسيقها • فهو في القصيدة بمثابة السلك في العقد ، يشد الاغراض المختلفة في القصيدة ، الى بعضها البعض ولعل طغيان الوصف في هذا الشعر واجادة الشاعر فيه انما يرجع الى قوة الملاحظة عند البدو وحدة الذكاء ، وتفجر العاطفه ، وهذه الوحدة في صحراء مترامية الاطراف ، بحياتها الرتيبة ذات النغمة الواحدة جعلته يلاحظ بدقة ما حوله وما يطراً على الطبيعة من تغير فيلفت نظره السحاب ، برعده وبرقه • والنجم في تلالئه • والضياء في تلتفتها واجفائها ، فيسجل كل ذلك في شعره • ومن هنا جاءت القصيدة سلاسل اوصاف ، وكان موضوع الوصف كل ما في هذه البيئة الصحراوية من معطيات • كالاتلال البالية والرياح المختلفة الهبوب ، وكتبان الرمال المترامية والامطار الهاطلة ، والرعود القاصفة والبروق اللامعة • ثم هذه الحيوانات التي تعيش في هذا المحيط من اليقة داخنة الى وحشية مفترسة • او ما الى ذلك مما لا تخلو قصيدة منه • وقد جعل الشاعر هذه المعطيات مادة كلام ومادة تلوين وتنميق ومن هنا كان وصفه شديد اللصوق بالواقع الذي يحسه شديد اللصوق بالمادة محدود الانطلاق في عام الخيال فخياله لا يخرج عن البيئة او يتعداها فلا يخلق ولا يركب بل يعتمد التشبيه ركنا اساسيا ويجعل التشبيه او الاستعارة وسيلة تلوينه وتزيينه •

(٤) العمدة ج ٢ ص ٢٧٨

وعلى الرغم مما ذكرناه آنفاً من ان الوصف في الشعر البدوي ليس بغرض مستقل يذهبون اليه • الا اننا نقول بانه يرنوا الى ان يكون غاية في ذاته فالشاعر يصف الاطلاق ثم ينتقل الى وصف راحلته ثم الى وصف حبيته وهكذا فهو يسير من وصف الى وصف حتى تنتهي القصيدة •

ولقد ذكرنا في أول كلامنا عن الوصف بانه يشمل أكثر اغراض الشعر وهذا امر لا ريب فيه • الا ان النقاد قسموا هذه الاغراض التي تصف الانسان وصفوها وجعلوا المدح والهجاء والفخر والرثاء والغزل اغراضاً مستقلة باسمائها وبمواضيعها • واما الوصف فهو ما يتناول الظواهر الطبيعية والآثار الانسانية وما يمت اليها بصلة •

يقول عبدالعظيم قناوى : الوصف عندهم تصوير الظواهر الطبيعية بصورة واضحة التقاسيم ، وتلوين الآثار الانسانية بألوان كاشفة عن الجمال وتحليل المشاعر الانسانية تحليلاً يصل بك الى الاعماق^(١) •

وقد تناول الشعر البدوي هذه الظواهر والآثار بوصف فيه دقة تصوير وسمو تعبير تماماً كما هي الحال في شعرنا الجاهلي الذي يصدق عليه الى ابعد الحدود القول : بأن الشعر رسم ناطق ، اي تصوير حسي المبيئة الطبيعية والبشرية على السواء واذا كان الوصف هو الفن الذي برع فيه شعراء الجاهلية واتقنوه الى حد الاعجاز الذي لا نكاد نجد له مثيلاً في اي ادب عالمي آخر وذلك لفرط دقة الملاحظة واستقصاء الدقائق عند شعراء البادية الذين لم يتركوا فيها شيئاً الا صوروه ادق تصوير^(٢) • فهو ما زال كذلك في شعر البدو المعاصرين الذين لم يتركوا شيئاً مما تقع عليه عيونهم الا وصفوه في دقة حسية بالغه •

فهذا محمد عبدالله القاضي يصف السحاب والغيث فيقول :

(١) الوصف في الشعر العربي ج ١ ص ٤٢

(٢) فن الشعر - دكتور مندور - ص ١٢٣

لعلَّ بَرَّاقٍ صِدُوقٍ خِيَالَهُ

مِحنٍ مِرنٍ مرجحنٍ وهَطَّالٍ^(١)

حينٍ ارتكبٍ كَنَّهُ شِوَامِخٍ جِبَالَهُ

مِترَادَفٍ ذِيْلُهُ يَجِي سِيْلُهُ أَرْسَالٍ^(٢)

لحبٍ الى ربربٍ ربابه جباله

مِنَ الشَّرْقِ نَسَمٍ رَدِّ الاَوَّلِ عَلَى التَّالِ^(٣)

تَشُوفٍ عِيَازٍ اَلْمِزْنِ وَقْتِ احْتِمَالِهِ

طَبُوقٍ بَجِنِحَانٍ اَلْخَضَارِيِّ لِهٖ اَمْتَالٍ^(٤)

تِنَظُرٍ خَشُومٍ اَلْمِزْنِ يَوْضِي بَحَالِهِ

صَفَايِحَ اَلْفُضَّةِ بَصَالُوخٍ صَقَّالٍ^(٥)

لَكِنَّ طَفَّاحَ اَلرَّبَابِ اجْتَوَالَهُ

هَجْمَةً مِغَايِرٍ حِدَاهِيْنَ خِيَالٍ^(٦)

كَنَّ اَلرَّعْدُ بِهِ وَاَلْبِرُّوقُ اشْتِعَالَهُ

تَتَبَّعَ اَطْوَابَ اَلْفِرْنَجِيِّ اِلَى صَالٍ^(٧)

وَنَضَّاضٍ بَرَقَهُ فِي مَشَانِي خِيَالِهِ

لِي نَشَرَ وَاَشْرَعَ اَلْمَرَآكِبِ بِالْاَدْقَالِ

(١) مِحنٍ ، مِرنٍ ، مرجحنٍ : كثير البرق والرعد غزير المطر .

(٢) حينٍ ارتكبٍ : عندما تراكم بعضه على بعض . كنه : كانه .

(٣) الى : اذا . الرباب : نوع من الغيم .

(٤) تشوفٍ : ترى . طبوقٍ : كثيف . الخضاري : نوع من الطير .

(٥) الخشوم : الجبال . بجاله : بطرفه او بجانبه . صالوخٍ

صقالٍ : مجلاة صقال .

(٦) طفاح : القطعة من الابل . المغاير : مالونه فاتح من الابل .

(٧) كن : كأن . طواب مفردا طوب : المدفع .

ويقول محسن الهزاني في وصف السحاب ايضا ما يلي :-

- خَلاَفِ الْجِيفَى وَالْهَجْرِ وَالْيَاسِ وَالرِّجَاءِ
بِالْأَقْدَارِ يَسْقِي دَارَ وَادِ الْمَجَامِعِ (١)
بَنُو عَرِيضٍ حَالِكِ اللَّوْنِ مَظْلَمِ
مِنْهُ الْفَرَجُ يَرْجَى إِلَى شَيْفِ طَالِعِ (٢)
لَكَنَّ رُبَابَهُ حِينَمَا يَنْشُرُ السِّدَى
جَنَحِ الدِّجَارِ يَبْلَانُ صُمَّ الْمِسَامِعِ (٣)
نَهَارُهُ كَمَا لَيْلٍ بِهَيْمٍ وَلَيْلُهُ
نَهَارٍ مِنْ أَيْضَاحِ الْبُرُوقِ الْمَوَاعِعِ (٤)
إِلَى مَا غَشَى وَقْتَ الْعَشَا بَعْدَ مَا نَشَى
حِبَالُهُ مِنْ الْمَشْرِقِ نَسِيمِ الذِّعَاذِعِ (٥)
وَزَلْزَلٍ وَعَزَلٍ بِهِ رُبَابٍ وَنَزَلٍ
سَبْحَرٍ وَزَجْرٍ مِثْلُ ضَرْبِ الْمَدَافِعِ (٦)

(١) خلاف . بعد . وادي المجامع : اسم مكان يسكنه بني هزان .

(٢) النو : السحاب . الى شيف . اذا روعى .

(٣) لكن : لكان . ربابه : سحابه والرباب من الغيم الابيض منه .
السدى : غير المزن وهو ما يتمدد في الافق امام غليظ السحاب وكأنه سدا
والبرد والمزن لحمته . ريلان : جمع رئل ولد النعام .

(٤) كما ليل : كليل . من ايضاح : بسبب اشتعال البروق .

(٥) الى ما غشى : اذا غشى الجو . حباله : تصدى له ويقصد هبوب
الصبا المشهور عندهم بالقاح السحاب : الذعاذع : الريح بين الرخاء
والزعزع .

(٦) زلزل : دمدم صوته . عزل : حل عزاليه والمراد شدة المطر .

سبحر : امتلاء . زجر : صوت الرعد .

وَوَيْمٌ كَمَا الْحِنْدِي وَغَيْمٌ وَدَيْمٌ

الى حيث ما يبقى بِالْأَوْطَانِ جَاضِعٌ (١)

وَصَكْبٌ وَسَكَبٌ ثُمَّ بِالغَيْثِ رَكَّبٌ

وَوُغَطِيٌّ مَا وَطَأَ مِنْهُ الْعَطَا وَالْمِرَافِعُ (٢)

وَوُتُورٌ غُبَارَ الْأَرْضِ مِنْ ضَرْبٍ وَدَقُّهُ

وَوَضَجَنٌ مِنْهُ الْجَازِيَاتِ الرُّوَاعِ (٣)

بِسِيحٍ وَتُسْكَابٍ إِلَى حَيْثُ مَا يَجِي

لَهُ الْهَوَلُ وَالْمَا فِي خَبَارِيهِ نَاقِعٌ (٤)

ولابن لعبون قصيدة في هذا الموضوع ايضا :

يَا مَالٌ هَطَّالٌ صَدُوقٌ حَقُوقٌ

مِثْرَادٌ فِي مِثْنَاهُ طَاقٌ عَلَى طَاقٍ (٥)

يَقْتُلُ نَدَافَ الْطَهَا مِنْ طَبُوقِهِ

مِثْلَ الْنَعَامِ إِنْ نَارَهَا زُولٌ تَفَاقٌ (٦)

(١) الحندی : الظلام • غيم : حجب الشمس • جاضع : مضطجع •

(٢) صكب وسكب : دام تسكابه • وركب : لم ينتظر اقلاعه •

الوطا : المنخفض من الارض •

(٣) الجازيات ومفردها جازية : الطباء • سميت بذلك لانها تجتزيء

عن الماء وتترك شربه •

(٤) يجي : يأتي • الحول : العام •

(٥) يا مال : تاتي للدعاء • هطال : دائم التسكاب • صدوق حقوقه :

منهمر مطره بشده • طاق : طبقة •

(٦) نداف : نافش القطن • طبوقه : طبقاته • زول تفاق : شبح

صياد والتفاق حامل البندقية ويسمونها تفقه •

تَرَفِي فِي مَرِيضَاتِ النَّسَائِمِ فَتُوقِهِ
يَشْبَهُهُ كَمَا لَيْلٍ عَلَى الصُّبْحِ يَنْسَاقُ (١)

تَفْتِرُ عَنْ مِثْلِ الدَّحَارِيحِ مُوقِهِ
أَرْبَعُ لَيَالٍ مِدْأَجَاتٍ عَلَى سَاقِ (٢)

والناقة صديقتهم في الحبل والترحال ومادتهم في المأكل والملبس
والمشرب فمن حقها ان توصف وتمدح ولهم في ذلك شؤون وابتكارات يقول
الشاعر خلف السنجاري وهي من قصيدة يمدح بها صطام الشعلان :

يَا رَاكِبَ اللَّيِّ كَمَا سُوِّلِعَ الذَّيْبِ
رَمَلَهُ وَلَا عُمَرَ الْحَوَيْرِ غِذَى بِهِ

تَجْرِي بَذَرَعَانِ سَوَاتِ الدُّوَالِبِ
وَحِدَةً تَقْلَطُهَا وَوَحِدَةً جَنِيْبَهُ

شَدَّبَ عَلَيْهَا مِظْمَ اللَّيْلِ تَشْدِيدِ
يَوْمَ الثُّرَيَّا دُوبَحَتْ وَالْجَنِيْبِهِ

كَانَ الشَّجَرُ عَنْهَا عَدَالَةً جَنَادِيْبِ
عَنِ السَّهْلِ لَجَّةٍ عَفَاشِ الذَّنِيْبِهِ

الْعَيْنُ حَمْرَةٌ لَوْنٌ ضَوْءُ الْمَشَاهِيْبِ
وَأَلَّا خَلَاصَةَ نَارٍ مِنْ مَبْتَلَى بِهِ

رِيحَةٌ عَرَقَهَا عَبْرٌ مِنْ هَلَوَجِيْبِ
أَوْ زَعْفَرَانٍ بِالْخُدُودِ الْعَجِيْبِهِ

(١) ترفى : ترفو ، فتوقه : فجواته • مريضات النسائم : النسائم

الهاديء •

(٢) تفتت : تتمايز • مثل الدحاريج : كقطع الحجارة الكبيرة • موقه :

مآقيه • على ساق : يقصد متابعه مستمرة ، قائمه على قدم وساق •

لو دَرَهَمَتْ شَدَّتْ ملاوي الْعَصَالِبِ
حَسِيْسٌ رُبْدًا وَمَاجٌ عَنْهَا لِعِيْهِ

ولمحمد العبدالله القاضي قوله :

هيه يا ركبِ على اكوار النَجَابِ
مِدْنِيَاتِ اَلْيَيْدِ مَطْلُوْبِ الْغَرِيْبِ (١)
كَنْ رَمَقٍ عِيُونِهِنَّ شَعَّ الشَّهَابِ
او نَجُومٍ حَدَّرَتْ وَقْتِ الْمَغِيْبِ (٢)
وَالْاَذَانَ مَشْزَرَاتٍ كَالْحَرَابِ
بَيْنَ مَلْقَى الزُّورِ وَالْمِرْفَقِ رَحِيْبِ (٣)
بِالْمَهَامِهِ وَالْمِتْيَايَةِ وَالسَّرَابِ
جَوْلٌ رُبْدٍ جَالٌ مِنْ زَوْلٍ مَرِيْبِ (٤)
او كَمَا الْكُدْرِي اِلَى شَافِ الْعَقَابِ
وَأَصْطَفَقَ يَبْغِي مَبِيْتَهُ فِي شَذِيْبِ (٥)
او كَمَا مَمْوُورٌ طَفَّاحِ الرِّبَابِ
سَاقَهُ الْغَرَبِي مَطِيْعٍ لُهُ مَجِيْبِ (٦)

- (١) الكوار : مفردها كور ، ما يوضع على الجمل عند الركوب .
النجاب : مفردها نجيب الجمل القوي الاصيل .
(٢) كن : كان . شع : شعاع . حدرت : نزلت .
(٣) مشزرات : مستشزرات . الحراب : مفردها حربه . ملقى :
ملتقى .
(٤) جول : قطيع . ربد : نعمام . جال : ركض . زول مريب : شبح
مريب .
(٥) الكدرى : نوع من القطا . الى : اذا . شاف : ابصر . يبغى :
يريد . مبيته مكان مبيته .
(٦) طفاح : قطع . الرباب : الفيم الابيض .

او دواليعب يدُ ولبها العذاب
سَاهِيَاتٍ مَعَ سَحَا حِيرٍ تَلِيْبٍ

وللخيل عند البدو مكانة مرموقة لذا نراهم يحتفون بها كاحتفائهم
بالناقة ويتغنون في وصفها كتغنيهم في وصف النياق •

يقول راكان بن حثلين في وصف جواده :

على جَوَادٍ مِثْلِ ظَبِي الرَّمَالِ
مِثْلِ العَنُودِ الى تَرْبِ العِثَامِيرِ (١)

العُنُقُ عُنُقِ اللِّي شَطْنَهَا الغَزَالِ
وَأَذْنَيْنِ مِثْلِ مَغَلَقَاتِ الكَوَافِيرِ (٢)

وَذِرْعَانَ مِثْلِ مَلْحِيَاتِ السِّيَالِي
وَسَيْقَانَ مِثْلِ مَهْدَفَاتِ النُّوعَايِرِ (٣)

وَحِجْبَانَهَا عِدَتِ بَنُوقِ الجَلَالِ
وَالغَارِبِ اشْعَى مِثْلِ رَسْمٍ على يِرِ (٤)

وَالقَيْنِ مَا عِدَاً على اِرْبَعِ قَفَالِ
وَحَوَافِرِ يَزْهِنِ سُدُوسِ المَسَامِيرِ (٥)

(١) العنود : قائدة الظباء • ترب : تألف • العثامير : مفردها عثمور

الدعص من الرمل •

(٢) شطنها : عاقها • مغلقات الكوافير : طلع النخيل في اغلفته وهو

يشبه اذن الجواد تماما •

(٣) ذرعان : جمع ذراع • ملحيات السیالی ، نوع من شجر البادية •

مهدفات النواعير : مقوسات الخشب تجعل على سطح البئر تحمل البكرة
والدلو •

(٤) حجبانها : الشعر في جفن الفرس • عدت : تجاوزت • بنوق :

مكان ربط الجلال والجلال رداء يوضع على الجواد • اشعى : طويل •

(٥) القين : مؤخر الحافر • ما عدا/لم يتجاوز • اربع قفال : اربعة

اصابع مضمومة الى بعضها ، والقفل مصطلح يستعملونه في القياس •

وَكُنْهُ إِلَىٰ مِنْهُ زَوَاهَا الْجَفَال
قِرْنَسٌ أَهْوَىٰ مِنْ رَفِيعِ الْمَوَاكِرِ (١)

يَبْكِي عَلَيْهَا جَلُّ ذُودٍ مِتَالِي
إِلَىٰ نِشَىٰ الْوَسْمِيِّ مَزْنَةُ مِزَابِيرِ (٢)

كَمْ قَلَطْتَهُنَّ صُوبَ زَيْنِ الْمَفَالِي
فِي خَايَعِ عَقْبِ الْمَطْرِ مَا بَعْدَ زَيْرِ (٣)

إِلَىٰ غَدَا الصُّمَّانِ مِثْلَ الزَّوَالِي
وَزَافَتِ (جَوَيَّانِ) الْهَمْلُ بِالنُّوَاوِيرِ (٤)

أما ابن سيبل فيصف جملة بالسرعة ولا يرى تشبيها لهذه السرعة
سوى قطة رأت عقابا ففرت فرعه تبغي النجاة فلاقت ريحا ساعدها على
الطيران بسرعة اشد ، والمعروف ان القطا من اسرع الطيور طيرانا . يقول :

(١) كنه : كأنه . الى منه : اذا هو . الجفال : النفور . قرناس :
الصقر اذا نسل ريشه وخرج له ريش جديد . المواكير : جمع ماكر وهي
اوكار الطيور .

(٢) جل ذود : كباره . متالي : تتلوها فضلاتها . الى نشى الوسمي :
اذا نشأ اول مطر الربيع والوسمي اسم للمطر عندما ينزل في اول الموسم
فهو الذي يسم الارض لتتبت اعشابها . مزون : جمع مزنه . مزابير : كأنها
الجبال .

(٣) قلطتهن : قدمتهن . زين المفالي : حسن المرعى . خايع : ملتف
التبت . عقب : بعد . ما بعد زير : لم يزره احد .

(٤) الى : اذا . الصمان : مربع من مرايع العرب الشهيرة . الزوالي :
مفردها زوليه أي البساط أو السجادة الملونة . زافت : اختلف نوارها .
جويان : تصفير جيان وهو موضع من مواضع الصمان الجميلة . النووير :
النوار .

يَجْفِلُ إِلَى زُولٍ مَعَ الْحَزْمِ زَيْلَانَ
 مَا يَدْرُكُهُ بِالْمَشِيِّ رَقَطَ الْجَنَاحِ (١)
 يَشْدِي قِطَاةً طَالَعَتْ حَوْمَ عُقْبَانَ
 صَرَّتْ وَصَاعَتَهَا هُبُوبَ الرِّيَاحِ (٢)

وإذا تركنا جانبا وصفهم للجمال والخيول والمطر والبرق والسحاب نجدهم قد تناولوا أيضا الفلوات والليل والنهار وغير ذلك من الظواهر الطبيعية وحيوانات البادية والمعارك الحربية وغير ذلك فهذا رمزان يصف الحرابي وقد احرقتها الهاجرة فتسلقت اعالي الصخور تومي برؤسها طلبا للنسائم العذبة لتتخلص من هذا الحر القاتل وقد وصفها وهي في هذا الوضع بالمؤذنين وهم في آذانهم يحركون رؤسهم بالاذان • حيث يقول :

وحررا بل بالقيظ تومي روسها

خوف اللظى ينجال عن مهمارها (٣)

إلى حميت الرمضا مقاييلها الحصا

شروي مطاوعة بروس منارها (٤)

أما راكان بن حثلين فيصف مسيرة قومه إلى القتال بسحابة حمراء

(١) يجفل : ينفر • زيلان : مفردها زول ، الشبح • رقط الجناح : الطيور ذات الاجنحة المرقطة ويقصد بعض جوارح الطيور كالباشق وغيره وهي في العادة سريعة الطيران •

(٢) يشدي : يشبه • طالعت : ابصرت • عقبان : مفردها عقاب وهو من جوارح الطير • صرت : بعثت صوتا لشدة طيرانها • صاعتها : جنحت بها •

(٣) حرا بل : مفردها حرباء • ينجال : ينجلي •

(٤) مقاييلها : مفردها مقيلها والمقيل مكان القيلولة • شروي : مثل ، مشابه • مطاوعة : المؤذنون ، وتطلق على رجال الدين عامة وطلاب علوم الشريعة •

مخيفة تزلزل الارض بدوي رعوها وتسكاب مطرها فيالها من سحابة
 مريعة رعوها قصف البارود وانفجاراته ومطرها الرصاص ينصب على
 الاعداء صبا وبرقها لمعان السيوف وبريق الاسنة ••••• ثم تراه يختار تشبيها
 دقيقا يصف فيه اسنة الرماح حيث يصفها بالسنة كلاب الصيد وقد انهكها
 التعب فاخرجت السننها تعباً واعياء • يقول :

فَانْ جَرَّ حَرْبِي عَلَيْنَا جَرِيرَةً
 'صَبْرْنَا عَلَيْهِ الْيَنِّ نِقْوَى' رَدُّودَهَا (١)
 فَالِي قُوِينَا اَلرَّدُ نَجْزِيهِ مَزْنَةً
 حَمْرًا تَزَلْزَلُ فِي رَهَقَهَا وَعُودَهَا (٢)
 رَعَدَهَا الْقَهْرُ وَمِصْبَبِ الدَّرَجِ وَبِلْهَا
 وَحَدْبٍ مَقَابِسِ الْبَلِي' فِي حُدُودَهَا (٣)
 وَمَوَاصِيلِ بَارِقَابِ الْقَنَّا كَنْ وَصَفْهَا
 اَلْأَسِينُ سَلْقٍ مِتْعِيْتَهَا طُرُودَهَا (٤)

-
- (١) حربى : محارب • جريرة : جمعا كبيرا من الجند • الين : حتى •
 ردودها : مردها ويقصد الاخذ بالثأر •
 (٢) فالى قوينا : فاذا اقتدرنا • رهقها : اخافتها ، وما تتركه من
 الفزع في قلوب الاخرين •
 (٣) القهر : البارود • مصبب الدرج : الرصاص المعبأ • وبلها :
 وابلها حدب : مفردا احذب اى السيف • مقابيس : مفردا مقباس أي
 القبس •
 (٤) مواصيل : مفردا موصوله وهي سنان الرمح • كن : كأن •
 الاسين : أسنة • سلق : مفردا سلوقي وهو كلب الصيد • طرودها :
 طرائدها •

البَابُ السَّادِسُ

مقارنة بين الشعراء البدوي والجاهلي

لاحظنا في الفصول السابقة هذا التشابه العجيب بين هذا الشعر البدوي
موضوع البحث وبين الشعر الجاهلي ، وقد لاحظ ذلك قبلنا الدكتور طه
حسين حيث يقول :

وهذا الادب - وان فسدت لغته - حي قوي ، له قيمته الممتازة من
حيث انه مرآة صافية لحياة الاعراب في باديتهم ، وهو في موضوعاته ومعانيه ،
وأساليه ، مشبه كل الشبه للادب العربي القديم الذي كان ينشأ في العصر
الجاهلي وفي القرون الاولى للتاريخ الاسلامي ، ذلك لان حياة العرب
في البادية لم تتغير ، فحياة القبيلة الاجتماعية والسياسية ، والمادية الآن كما
كانت منذ ثلاثة عشر قرنا ، فطبعي ان يكون الشعر المصور لهذه الحياة ،
كالشعر الذي يصور الحياة القديمة (١)

ولقد التفت الاستاذ خير الدين الزركلي الى هذه الظاهرة فقال :

يقف الشاعر البدوي اليوم فيسامر الآثار ويصف السحاب ، وينعت
الجمال أو يحن الى حبيب ، أو يبكي لفراقه ، أو يرثي كريما ، أو يمدح
عظيما ، فترى فيه روح ذلك البدوي الذي كان يقصد عكاظا قبل اربعة
عشر قرنا حاملا في صدره ما قال من وصف ، أو حنين ، أو رثاء
أو مدح (٢) .

وكذلك لفت نظر القس بولس سلمان ذلك الذي لاحظناه حيث
يقول :

ومما لاشك فيه ان ارباب الخيم الحاليين ما زالوا على عهد جاهليتهم
وبداوتهم وهم بالرغم من الاجيال التي طووها ما زالوا على ما كانوا عليه
منذ عشرين قرنا ، حتى ان شعرهم ليقرب من الشعر الغابر من حيث المعاني

(١) الحياة الادبية في جزيرة العرب - طه حسين - ٠٠ (طبع في
دمشق عام ١٩٣٥) .

(٢) ما رأيت وما سمعت - خير الدين الزركلي (طبع في القاهرة
عام ١٩٢٣) .

والاوزان^(١) •• ولا ينسون شيئاً من الاستعارات التي كان يأتي بها
الجاهليون في عصرهم^(٢) •• واما معانيهم الشعرية فهي تحاكي معاني
الجاهليين^(٣) •

وسنحاول - بعد هذه الالتفاتات - ان نعقد مقارنة بين هذين الشعريين
حتى نعطي صورة واضحة لهذا التشابه •

اذا تناولنا موضوعات الشعر الجاهلي وقارناها بمواضيع الشعر البدوي
المعاصر نجدها واحدة فما زالت الموضوعات هي الموضوعات المدح ، الرناء ،
الفخر ، والحماسة ، الوصف ، الغزل ، الهجاء •

ولقد لاحظنا في الفصول التي عقدناها لهذه الموضوعات كيف ان
المعاني والصور والتشبيهات التي جاء بها بدونا المعاصرين هي نفسها التي
جاءت على ألسنة شعرائنا القدامي • فتشبيه المرأة بالظبية والقطاة والبدر
والشمس وقوامها بالرمح واسنانها بالبرد والاقحوان ونهودها بالرمان
واردائها بدعص الرمل وبالكثيب وشعرها بالليل وابسامتها بالبرق
ورائحتها بالمسك وريقها بالعسل والخمر والعين بعيون الغزال وجيدها
بجيد الريم والرجل يشبه بالاسد والذئب والبحر والغيث والجمل والصقر
والفحل والصخر والافعى •

يقول محمد عبدالله القاضي :

لَهَا الْعَيْنُ مِنْ غُزْلَانٍ (حوضي) وَجِدْهَا
تَلِيْعٍ وَمَجْدُولٍ كَمَا سَبَّقَ الرَّالُ^(٤)

(١) خمسة أعوام في شرق الاردن - الاب بولس سلمان •• (طبع في
حريصا بلبنان عام ١٩٢٦) •

(٢) نفس المصدر السابق •

(٣) نفس المصدر السابق •

(٤) حوضي : اسم مكان تكثر فيه الطباء • الرال : الرأل ولد النعام •

وقوله :

سَنَا نُورٌ مَّصْقُولٌ التَّرَايِبُ إِلَى بَدَا
قَمْرٌ نُورٌ بَدْرٌ شَقَّ الْإِفَاقَ جَدَجَالَ

وقول بن سبيل :

كَنَّ اللَّوَالِيْنَ أَسَافِيَهْ مَنْظُومٌ
أَوْ ضَيْقٌ وَبَلِّ مِحْلِمٍ فِي قَنُوفَهْ

وقوله :

وَالجِيدُ جِيدٌ غَزِيْلٌ طَالِعٌ شَبُوحٌ
شَافَ الْقُنُوصُ وَجَا مَجْرٍ وَدِينَهْ

وقول عبدالعزيز المحمد القاضي :

رَجَحَا إِلَى أَقْفَتِ كَنَّ رُوسٍ رَدُوفَهَا
طِعْسِ الرَّمَالِ الْمِسْتَقِيلِ السَّامِي

وقوله :

حَسْنَا الْقِوَامُ وَقَدَهَا مِثْلَ الْقَنَابَا
يَهْتَزُّ لَدْنِ وَغَضٌ نَهْدُهُ زَامِي

ويقول عبدالعزيز بن عيد في مدح أحد مشايخ شمر :

يَا الزَّيْرُ يَا الزَّحَارُ يَا النَّمِيرُ يَا الذَّيْبُ
يَا اللَّيْثُ يَا الْأَيُّوثُ يَا الشَّيْلُ يَا الدَّابُّ^(١)

فهو قد شبهه بالذئب والنمر والليث والافعى •

وإذا تركنا هذه التشابيه جانباً لوجدنا أن الصور التي يرسمونها

(١) الداب : الافعى •

للرجل الكريم واحدة فهو ريف العاين وهو البحر الذي يغرفون منه وهو
الغيث بعد المحل وهو حامي القبيلة ونسائها الى غير ذلك مما نجده في
مدح الجاهلية •

يقول العوني في مدح الملك عبدالعزيز آل سعود :

سَبَعِ خُرُومٍ يُقْصَمُ الْعَظْمُ مَلْحُومٌ
حَرَّابٌ ضَرَّابٌ حَمُولٌ وَزَعَالٌ
ريفِ عَلَى الْعَايِنِ ، نَصْرٍ لِمَظْلُومٍ
سُوٍ عَلَى الْمَسُوِينِ قَصَافٌ آآَالٌ^(١)

وله في مدح الشيخ مبارك الصباح :

فَهُوَ مِثْلَ الْبَحْرِ بِهِ خُصَلَتَيْنِ
بُهُ أَطْمَعَاتٌ تَلْقَى وَالْمَنَابِيَا
سَحَابُهُ ، يُمْطِرُ الْعَذَابَ الْقَرَّاحُ
لَمَنْ لَهُ صَافِي مَالُهُ شَكَايَا
وَيُمْطِرُ بِالزَّلَازِلِ وَالْغَطَايِمِ
وَالْيَا مَا أَنَّهُ غَضَبٌ سِيلُهُ سَرَآيَا

وفي مرثي الجاهلية ، نجدهم يستنزلون لهم الغيث من السماء حتى
تصبح قبورهم رياضاً عطرة^(٢) • واستنزال المطر ما زال واضحاً في مرثي
بدونا المعاصرين • فهذه سيطرة السطام ترثي أخاها ممدوح فتقول :

بِرْقٍ تِلَالَا شُوفٍ عَيْنِي ضِيْوِيْحَه
وَمِنْ رَاسٍ مِزْنٍ بِالسِّمَا ضَايِحِ ضَوْحِ

(١) سو : سوء • المسوين : المسيؤون •

(٢) العصر الجاهلي : شوقي ضيف •

يَرْعِدُ وَيُبْرُقُ فَوْقَ هَاكَ الْبُطِيحِ

يَسِيلُ شَفَايَا سَاكِنٍ بِهِ مَمْدُوحٌ

فالمعاني عامة في الشعر البدوي واضحة بسيطة وضوح وبساطة الشعر الجاهلي فلا تكلف ولا اغراق في الخيال ولا مبالغة تخرج به عن المؤلف فهي معاني حسيه محددة لا يغلفها اي غموض وما زال هذا الشعر كسابقه ينقل الاحاسيس والاشياء نقلا أميناً دون تحوير او تعديل قد يمس جوهرها ومن هنا يمكن اعتباره كسابقه وثيقة دقيقة تصور حياة البادية برمالها ووديانها وعادات اهلها واسلحتهم وكل ماله علاقة بهم •

وهذا الشعر كسابقه ايضا في انعدام الافكار المجردة والمطلقة فيه فنحن لا نجد فيه شيئاً عن الكرم او البخل او الحب من حيث كونها معان ذهنية عامة اذ لا بد أن تقترن هذه الاشياء بشخص معين يتحدثون عنه •

وهذه النزعة الحسية جعلته كسابقه ، لا يحلل خواطره ولا عواطفه فهو لا يعرف التغلغل في خفايا النفس الانسانية ولا في اعماق الاشياء الحسية كما يقول الدكتور شوقي ضيف في حديثه عن الشاعر الجاهلي (١) وهي بالتالي جعلته ينتزع تشبيهاته وخیالاته من عالمه المادي • ومن هنا جاءت هذه التشبيهات للمرأة والرجل والخيال والابل فهي جميعها منتزعة مما حوله من هذه الصحراء المترامية الاطراف •

ويرجع هذا التوافق والتشابه في كل ما ذكرنا هو أن بيئة الشعراء واحدة فالعوامل البيئية التي فرضت على الشعر الجاهلي هذه الموضوعات المحددة وهذه التشبيهات والصور هي نفس العوامل المؤثرة في هذا الشعر البدوي فلا عجب ان جاء على هذه الدرجة من التشابه •

ثم أن نفس العوامل التي جعلت شعراء الجاهلية لا يتوسعون بمعانيهم بل جعلتهم يدورون حول معان تكاد تكون واحدة لا ينحرف الشعراء عنها •

(١) العصر الجاهلي - شوقي ضيف - ص ٢٢٠ •

فما يقوله طرفه في وصف الناقد يقوله فيها غيره ، وما يقوله امرؤ القيس في بكاء الاطلاق يقوله جميع الشعراء ، واقرأ حماسية عمرو بن كلثوم فستجد الشعراء الحماسيين لا يكادون يأتون بمعنى جديد ، وقل ذلك في غزلهم ومدحهم وراثتهم فالشعراء يتداولون معاني واحدة وتشبيهات وأخيلة واحدة • ومن ثم تبدو في اشعارهم نزعة واضحة للمحاكاة والتقليد وجنى عليهم ذلك ضيق واضح في معانيهم^(١) •

نقول ان هذه العوامل نفسها جعلت شعراء البدو يدورون في نفس الدائرة الضيقة التي دار فيها اسلافهم فهم يتناولون نفس المعاني فما يقوله العوني في الحماسة يقوله الآخرون وما يقوله القاضي الكبير في الغزل يقوله غيره من الشعراء ونفس هذه المعاني التي يطرقونها هي نفس تلك المعاني التي طرقها اسلافهم فهم ما زالوا يلوكون ما جاء به شعراء الجاهلية من معان وتشبيهات لانهم في الواقع انما يتوارثون هذه الظاهرة عن اسلافهم •

وقول الدكتور شوقي ضيف : ان ما يقوله امرؤ القيس في بكاء الديار يقوله الآخرون وما يقوله طرفه يردده غيره ما زال قائماً حتى الآن فنحن نزيد على ذلك بأن ما قاله هؤلاء ما زال شعراء البدو يقولونه وسيستمررون بقوله ما دامت ظروفهم البيئية هي هي ••

فهذا عبدالعزيز القاضي يقف على الديار ويبكيها كما بكأها اسلافه منذ أكثر من اربعة عشر قرناً فيقول :

عَفَا رَسِيمٌ سَلَمَىٰ ۖ وَأَصْبَحَ النَّزْلُ مَنزَاحَ
وَلِعَبَّتْ بَدَارِسُ رَسِيمَهَا هُوجَ الْآرِيَاخِ

ديارٍ لِسَلَمَىٰ حلت الحي واضعت
جنوبٍ من الوادي وشرقي عن الضاحي

(١) العصر الجاهلي - شوقي ضيف - ص ٢٢١ •

مضى إليّ بها حولين° وَاثَلَّتْ أَنْتَصَفَ
لَكِنِّي بِهَا فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ مِرْتَح

وهو يطلب من رفاقه ان يحيوا منازل الحبيبة :

حَيِّ الْمَنَازِلَ بَعْدَمَا قُول
اللَّهِ يَسَامِحُ لَاهَالِيهِن

ونراه ثانية يلقي السلام على اطلال المحبوبة فيقول :

سَلَامٌ عَلَيَّ مَا بَانَ مِنْ طَلَلٍ بِالِي
وَرَسْمٍ يَرْبَعُ الدَّارَ بَعْدَ الْآنَسِ خَالِي

ويقول أخرى :

عَفَا مِنْ دِيَارِ الشُّوقِ قَبْلِيَّهَا الْفَانِي
سِنِينَ مَحْتِ آيَاتِهَا ذَالَهَا أَرْمَانَ

رَسُومٍ كَمَا خَطِ الزَّبُورِ أَنْ بَدَتْ بِهَا
يَوْمٍ وَيَوْمٍ تَدْرُسُ الرِّيحُ مَا بَانَ

خَلِيلِيَّ عَوْجَابِي لَعَا فِي رَسُومِهَا
رُؤْيِدًا بَزَعَجِ الدَّمْعِ خَلَايِ عَيْنَانِي

ولنستمع الآن الى الشاعر ابن لعبون :

هَلِ الدَّارُ - يَاعُوَادُ - الْاَمَنَازِل

سِبَارِيَّتْ - يَا عُوَادَ - خَفِيَّتْ رَسُومِهَا

يَلُوحِ السَّنَا فِيهَا كَمَا لَاحَ زَرْقَهُ

عَلَى خَدْمِيٍّ مِنْ بَقَايَا وَشُومِهَا

فهو قد شبه الاطلال ببقايا الوشم تماما كما فعل طرفه والفرق هو
انه اختار الوشم في ظاهر اليد على حين شاعرنا جعله على خد محبوبته
ولنستمع اليه ثانية اذ يقول :

حي المنازل على الخابور
من حوضٍ فَلَوانِ آلِيْ البقْشِ
منازلٍ حاشَهِنَّ الشُّور
عُقْبِ الْفُضَى صايرٍ وحَشَه
ايامٍ حظِّي سِطَعَ لَهُ نُور
وَالنَّفْسِ بِالوَصِيلِ مِبْتَهَشَه

وهذا ابراهيم بن جعيثن يقول :

يا منازلٍ كلَّ زينٍ من قديم
باقي لِرِ سَوْمَهَا مِنْهَا عَلام

اما ابراهيم القاضي فيقول :

بِكَيْتٍ بِكَ يا دارٍ مِنْ ضَيْقَةِ الْبَالِ
أَبِي تَسَلَّى مِيرَما في يدي حيل

ويقول ايضا :

أَلَا أَنْعَمَ صَباحِ ائِمْها المَنْزِلِ الْعالى
وَاسْعَدَ مَساً بَعْدَ ما شِمْتَ الاَطْلالِ
وَقَفْتَ على حاشي نِواحيهِ وَقَفَّة
كما وَقَفَّةِ اللَّيِّ شاهِدِ المَحْشَرِ التالى

ويقول محمد الصالح القاضي :

على الدارِ والآثارِ والمنزلِ الخالي
تَوَنَّوْا لَكُمْ فَالِ السَّعَادَةِ وَالْإِقْبَالِ
تَوَنَّوْا قِدْرَ مَا تَنْشُرُ الْعَيْنُ وَاكْفُ
من الموقِّ هَطَّالٍ عَلَى الْخَدِّ هَمَّالِ

ويقول الهزاني :

عوجوا بنا بالله يا ركب ساعة
على الطلل البالي لعلِّي اوادع
رَسُومٍ لِسَلْمَى آنَسَ الْبُومِ رَبُّعَهَا
وَأَمْسَتِ خِلَافَ الْأُنْسِ قَفْرًا بِلَاقِعِ

ولا اعتقد ان من يقرأ هذه الايات سيشعر بأي فارق بينها وبين اقوال
الجاهلين في هذا الموضوع ، ولا عجب في ذلك بدوي اليوم هو بدوي
الامس لم يتغير ، وما زالت نظرتهم واحدة لكل ما يصادفهم •

وتكرار هذه المعاني على السنة الجاهلين ، واستمرار هذا التكرار على
السنة البدو حتى لكانتهم اصطاحوا على هذه المعاني لا يجيدون عنها ،
ودورانهم في حلقة هذه المعاني جعلنا نجد عندهم صوراً مطابقة كل التطابق
لصور جاء بها شعراء جاهليون •

من ذلك قول الشاعر البدوي :

روحي عزيزه بالفُضَا
بالرُوعِ لَا رُخْصَ سَوْمَهَا
وهذا القول مطابق لقول بشامة بن حزن النهشلي^(١) :

(١) ديوان الحماسة ج ١

انا لترخص يوم الروع انفسنا
ولو نسام بها في الامن اغلينا

وقول ابن لعبون :

مع صحصح كنه قفا الترس مقلوب
يفرح به الجنى على فقده الذيب

وهذا القول مشابه لقول الاعشى (١) :

وبلدة مثل ظهر الترس موحشة
للجن بالليل في حافاتها زجل

ومشابه لقوله أيضا :

وفلاة كأنها ظهر ترس
ليس الا الرجيع فيها علاق (٢)

وهذا شاعر آخر يقول :

مثل الآفاعي لينات الملاميس
وآلسم بانياهن كامنات

وهو مطابق لقول عنتره :

ان الافاعي وان لانت ملامسها
عند التقلب في انياها العطب

وهذا شاعر آخر هو النجدي يقول في قصيدته المسماة (الشيخه) :

وقطعانا ما ترتعى دمنة الدار
ترعى صحاصيح الغلاة النضيفة

(١) ديوان الاعشى ، العصر الجاهلي - شوقي ضيف .

(٢) ديوان الاعشى ، العصر الجاهلي - شوقي ضيف - ص ٣٥٤ .

وهو مشابه لقول ابي الغول الطهوي^(١) :

ولا يرعون اكناف الهوينى
اذا حلوا ولا أرض الهدون

وقول سليمان بن عفالق :

واصلنني يوم انتني كنت أمرد
واقفن عني يوم بالشيب لزيت

مشابه الى حد ما لقول علقمه :

اذا شاب رأس المرء أو قل ماله
فليس له من ودهن نصيب

والاعجب ان يصف اثنان احدهما جاهلي والآخر بدوي معاصر جبل
اليمامة فلا يجدان الا تشبيها واحدا وهي السيوف المصلتة ، فهذا راكان بن
حتلين يقول في وصفها :

وِخْشُومٍ طَوِيقٍ كَنَ وَصَفْهَا
صِقِيلِ السُّيُوفِ اللَّيِّ تَجَدَدِ جَرُودَهَا^(٢)

وهو نفس ما ذهب اليه عمرو بن كلثوم :

فاعرضت اليمامة واشمخرت
كاسياف بأيدي مصلتينا

(١) ديوان الحماسة ، ج ١ ص ٢٢ . وأبو الغول الطهوي شاعر
اموي معاصر لجريير الا انه رغم هذا ما زالت روح الجاهلية مسيطرة عليه
فهو والحالة هذه ليس جاهليا زمانيا ولكنه جاهلي روحا .

(٢) خشوم : مفردتها خشم وهو الانف والمراد هنا رعان الجبل ،
طويق : اسم جبل اليمامة .

وهذا شاعر آخر يصف أرداف حبيته فيشبهها بدعص من الرمل
اصابه وابل خفيف من المطر فيقول :

الرِدْفُ طِعْسٌ يا على ما وطى به
غِبَّ الْمَطَرُ شَمْسَ الْعَصِيرِ اشْرَقَتْ به^(١)

وهذا نفس ما ذهب اليه الشاعر الجاهلي حيث يقول :

وتحتهما حققان - قد ضربتهما

قطار من الجوزاء - ملتبدان^(٢)

وهذا تركي بن حميد يقول :

عِرْجٍ وَلَوْ هِنَ كَنِهِنَ القرائس
على الطريحِ مَصُورَاتٍ اَكْضُومِي^(٣)

وقوله هذا مشابه لقول عمر بن كلثوم :

تركنا الخيل عاكفة عليه مقلدة اعتتها صفونا^(٤)

وقول ابي ذؤيب الهذلي :

واذا المية انشبت اظفارها ألفت كل تميمة لا تنفع^(٥)

مشابه لقول عبدالرحيم راعي الشقرا :

الى جاحمَامِ الموت ما ينفع الدوا
يموت الطيب ولا يفيد دواه

(١) طعس : دعص الرمل

(٢) المفضليات

(٣) عرج : جمع عرجاء ، ومن عادة الخيل الاصيلة ان تتعارج اذا أخذ
بشكيمتها • ولو هن : ولو انهن • كنهن القرائس : كانهن الصقور •
الطريح : القتل • مصوبرات : واقفات • كضوم : كاضات الاعنه •

(٤) المعلقات العشر •

(٥) شرح اشعار الهذليين ج ١ •

وهذا آخر يقول :

وَأَنَا أَدْرِي بَعْلَمِ اللَّيِّ مَضَى مَارَ قَصْدِي
بِالْمَقْبَلَاتِ مِنْ أَلْيَالِي يَوْرِيَّ لِي

وهو مشابه لقول زهير :

واعلم علم اليوم والامس قبله

ولكنني عن علم ما في غد عم

ولقت نظري قصيدة للشاعر عبدالعزيز القاضي تطابق في اكثر آياتها معان لايات من معلقة امرىء القيس مما يجعلنا نرجح ان يكون هذا الشاعر قد اطلع على قصيدة امرىء القيس او سمع بها . فهو يقول :

مَتَى يَا بَهِيمَ اللَّيْلِ بِالصُّبْحِ تَنْجَلِي
وَلَا الصُّبْحُ بَارَوْحَ مِنْكَ هَمٌّ وَلَا شَافِي

وهو مطابق لقول امرىء القيس :

الا ايها الليل الطويل الا انجلي

بصبح وما الاصبح عنك بأمثل

وقوله :

لَكَنَّ الثَّرِيَّآ هَادِي الرِّكْبِ وَاتْنَى
عَلَى خَلْفِهِمْ وَالرِّكْبُ ضِعٌّ لَهُ ' اِرْدَافٌ (١)
تِعْرِضٌ لَهَا الْجُوزَا نِظِيمَةٌ لَكِنَّهُ
وَشَاحٌ يَكْشَحُ فَاصِلُهُ لَوْلُو صَافِي

(١) لكن الثريا : لكان الثريا . لكنه : لكأنه .

مطابق لقول امرئ القيس :

إذا ما الثريا في السماء تعرضت

تعرض أثناء الوشاح المفصل

فكلاهما شبه الثريا بوشاح مفصل ، والمفصل الذي جعل بين كل

خرزتين فيه لؤلؤه .

وقوله في نفس القصيدة :

فَقَبَلِكْ كَمْ صَافِتْ بِكْرٍ وَنِيبْ
وَحَايِلْ وَحِبَلِي جَابَهَا الشُّوقُ مِيلَاً (١)
وَكَمْ ذَاتُ طِفْلِ جَاضَعَتْنِي وَطِفْلَهَا
يَبْكِي وَهِيَ تَعْطِيهِ مِنْ حِشْمَتِي قَافِي

فهو مطابق لقول امرئ القيس :

فمشك حبل قد طرقت ومرضع

فألهيته عن ذي تائم محول

إذا ما بكى من خلفها انصرفت له

♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦ ♦

وهذا الذي ذكرناه قليل من كثير يضاف الى ذلك الذي لاحظناه في الفصل الخاص بالغزل والفصول الأخرى فهي صور جاهلية مكروره فكأنما هي معان جاهزة يأخذ منها الشاعر ما يريد الا انهم رغم ضيق هذه المعاني ، قد برعوا - كأجدادهم في إعادة هذه المعاني وصوغها صوغا جديدا . فما ذكره الدكتور شوقي ضيف^(٢) بهذا الخصوص واضح كل الوضوح في

(١) جابها : جاء بها ، جاضعتني : ضاجعتني .

(٢) العصر الجاهلي - شوقي ضيف - ص ٢٢٢ .

شعرنا البدوي المعاصر ، خذ مثلا الجيد فالتشبيه المصطلح عليه هو التشبيه
بجيد الريم •

فهذا عبدالعزيز القاضي اكتفى بهذا التشبيه فقط فقال :

كَنَّ أَلْقَنَا قَدُّهُ إِلَى اهْتَزَّزْ وَأَنْقَادِ
جِيْدِ أَلْمَهَا جِيْدُهُ وَالنَّهْودِ قَعَادِ

اما عبدالله بن حمود بن سبيل فلم يكتفي بهذا التشبيه العادي • فاختار
تشبيها لجيد حبيته بجيد ريم كانت ترعى ، فأحست بخطر فرفعت جيدها
الى الاعلى لتستطلع الامر ••• يقول :

وَأَعْنُقُ عُنُقَ الرِّيمِ تَرَعَى بِالْأَقْفَارِ
أَوْحَتِ حَسَّاسٍ وَرَزَّتْهُ بِجَفْلَانِ (١)

وثالث رأى ان يشبهه بجيد الريم الهاربة من وجه الصياد حتى يعطى
صورة دقيقة لجيد حبيته ، ويبدو أن في جيد حبيته انحاء وتلعا - فالمعروف
ان الغزال في عدوه يرجع رأسه الى الورااء فيستطيل عنقه بانحاء خفيف •
يقول الشاعر :

وَأَلْجِيْدُ جِيْدِ غَزِيْلٍ طَالَعِ شُبُوحِ
شَافٍ أَلْقَنُوصِ وَجَامَجِرٍ وَدِيْنِهِ (٢)

ومن الملاحظ انهم في عرضهم لمعانيهم الحسية يشيعون فيها الحركة
فلا يعرضونها جامدة ، وقد لاحظ ذلك الدكتور شوقي ضيف في الشعر
الجاهلي حيث يقول : ومن ثم كانوا اذا وصفوا الحيوان وصفوه متحركا
لا واقفا جامدا • ثم يقول : وعلى هذا النحو كانوا يصفون خيولهم وكانوا

(١) اوحت : احست • حساس : مفردها حس وهو الصوت عندهم •

(٢) شاف : رأى • القنوص والقانوص : الصياد • جا : جاء •

ودينه : الودين عرق في الرقبة •

ينتقلون منها ومن وصف النوق الى وصف النعام وبقر الوحش ♦♦♦
ويصورونها لنا وهي تجري في الصحراء^(١) ♦

يقول العوني :

يا ركباً من فوقٍ سرّاقةٍ الوطأ
هيميمٍ الى سارتٍ ذعرها ظلالها

فهذه الناقة لسرعتها كانها تسرق الارض وهي لا تقف فاذا سارت
ذعرها ظلها فتستمر بالجريان ♦

وقوله أيضا :

راكبٍ فوقٍ حرٍ يذعره ظله
مثلٍ طيرٍ كفخٍ من كفٍ قضابه^(٢)

فهذا الجمل قوي اصيل دائم الجريان يخاف من ظله لذا ينطلق بأقصى
سرعته كأنه طائر أفلت من كف قابض عليه ♦

وقوله أيضا :

يا نديبي سرّ على كورٍ قطعيه
حرّةٍ من ساسٍ ذرواةٍ مفروده
ما حلا رولها بدوّهٍ خلاويّة
كنّها الربداء عن الدوح مطروده^(٣)

(١) العصر الجاهلي - شوقي ضيف . ص ٢٢٣ .

(٢) كفخ : هرب ، افلت . قضاب : من قضب أي قبض . كما في
قوله دحق : أي دحق وسجد أي جسد .

(٣) ساس : اساس ، اصل . رولها : جريانها . دوة : مؤنث دو
(أي القفر) خلاوية : وحيدة منفردة في هذا الخلاء الموحش .

يقول مخاطبا رسوله سر على ناقة حره عريقة في اصلها • وما اجمل
جريانها في القفار الموحشة كأنها نعامه تركت الدوح هاربة من وجهه
مطاردها •

ويعلل الدكتور شوقي ضيف هذه الملاحظة بقوله : وما من شك في
أن هذه الحركة مشتقة من حياتهم التي لم تكن تعرف الثبات والاستقرار ،
فهم دائما راحلون وراء الغيث ومساقط الكلا^(١) •

ونتقل الآن الى جانب آخر من جوانب هذا الاتفاق بين الشعريين •
وهو القصيدة •

فالقصيدة البدوية ما زالت في بنائها وخصائصها تحاكي القصيدة
العربية القديمة وقد سجلنا ذلك في فصل سابق عند حديثنا عن القصيدة
البدوية وخصائصها ، واوردنا امثلة لذلك ، ولا نجد مبررا لاعادة ذكرها
الآن •

والذي نريد أن نقوله هو أن هذا الشعر موضوع بحثنا ، متفق مع
الشعر الجاهلي في كل النواحي ، فالاغراض واحدة ، والصور والتشبيهات
واحدة ، والمعاني مشتركة ، فالشاعر البدوي اليوم يعيد ويكرر نفس المعاني
التي دارت على السنة اسلافه • ومتفق معه في الخصائص العامة المعنوية
واللفظية فما يتصف به شعر الجاهلية يتصف به شعر البدو المعاصرين ••
وهيكل القصيدة واحد سواء في البناء والافتتاحيات ام في اشتمال القصيدة على
معاني متعددة مختلفة ينتقل فيها الشاعر من معنى الى معنى •••

وهذا الذي ذهبنا اليه من الاتفاق ، واضح كل الوضوح في الفصول
السابقة وقد أكدناه بما ذكرناه في هذا الباب •

نخرج من كل هذا الى القول بأن هذا الشعر قد حافظ على سمات

(١) العصر الجاهلي - شوقي ضيف • ص ٢٢٢ •

الشعر الجاهلي فهو امتداد له ، بل هو نفسه قد جاء بلهجة أخرى ، وقد توارثوه خلفا عن سلف ولا عجب اذا رأينا في شعرهم الآن أبياتا لشعراء جاهلين معروفين مثال ذلك :

قول ابن لعبون :

وَآقْفَى مَصْرٍ كَنْ جَاكَاتٍ شَالِه

(جلمود صخر حطه السيل من عال)

وجاء هذا الشطر على لسان محسن الهزاني حيث يقول :

وَإِنْ زَرَقْلِ الْمَسْبُوقِ وَآرْخُو الْأَعْنَه
وَالجِيشِ هَرَبْدَ وَالرَّمَكِ يَشْعِفَنَه
يِدْوِي عَلَى جَانِبِ مِنَ الْخَيْلِ كَنَه

(جلمود صخر حطه السيل من عال)

وقد رويت لي هذه الرباعية باختلاف في بعض ألفاظها ونسبت لي على انها للشاعرة (فدعه) في رثاء اخيها ، وقد رويت هكذا :

لَوْ دَرَّهَمِ الْمَظْهُورِ وَآرْخُوا الْأَعْنَه
الرَّمَكِ زَرَقْلِ وَالرَّبْعِ يَشْعِفَنَه
يِدْوِي عَلَى جَانِبِ مِنَ الْخَيْلِ كَنَه

(جلمود صخر حطه السيل من عال)

ولابن لعبون أيضا قوله :

يَنْشِدُنِي يَوْمَ أَنْتَوَى الْكَلِّ بِرَحِيْل

(هل عند رسم دارس من معول)

وله أيضا موافقا لزهير :

(تبصر خليلي هل ترى من ضعابين)

تِقَازَنُ بِهِمْ فُوقَ الشِّفَا مِنْ جِرْومِهَا

فكيف جاءت هذه الايات على ألسنتهم ، سواء في ذلك ما جاء متفقا باللفظ والمعنى ام ما جاء متفقا بالمعنى دون اللفظ • رب قائل يقول وما الذي يمنع ان يكون هؤلاء الشعراء قد اطلعوا على اشعار الجاهليين ونقلوها الى أشعارهم •

ولقد تساءلنا نحن هذا التساؤل ، الا أن عدم معرفة هؤلاء الشعراء للقراءة ينفي هذا التساؤل ، يضاف الى ذلك ان هؤلاء البدو منعزلون في صحاريهم فمن أين لهم كتب الادب ليطلعوا عليها أو لتقرأ لهم ••
الواقع أن هذا التساؤل مرفوض لهذا السبب الذي ذكرناه ، الا أنه قد يصح بالنسبة لمن يعرف القراءة من هؤلاء الشعراء كابن لعبون • أما بقية الشعراء ، فلا مجال لاتهامهم بسرقة هذه المعاني والايات •
وحتى لو سلمنا جدلا بأنهم سرقوها ، فمجرد قبول البدو لها ، واحتفائهم بها ، وعدم استغرابهم لها ، يعني انها تتلائم وما طبعوا عليه وما تعودوه من معاني وصور شعرية ، وانها ليست غريبة عن البيئة التي يعيشون بها وعن أساليبهم • اذ اتنا نعتقد لو أن شاعرا شعبيا من شعراء المدينة أو الريف أخذ هذه الايات وجاء بها في اشعاره لما قبلت منه ، لأنها غريبة في لغتها أولا وفي أساليبها ومعانيها ثانيا •

وتفسيرنا لهذه الظاهرة ، انها متأية من وحدة الظروف البيئية ، والشعر انما هو انعكاس لهذه البيئة وهذه المؤثرات ، ولما كانت هذه جميعها واحدة في الشعرين فلا عجب في انهما جاءا متشابهين في معانيهما واغراضهما وصورهما وأساليبهما وفي بناء القصيدة ••• الخ اضيف الى ذلك ان بدو اليوم هم بدو الامس وعلى هذا فالشعر عند بدونا المعاصرين استمرار لشعر الجاهليين ، وهو بالتالي شعر الجاهليين جاء بلهجة أخرى •

وورود هذه الايات الجاهلية في اشعارهم ليس لها الا تفسير واحد ، هو انهم استمروا في رواية هذه الاشعار ، الا أن تقدم الفترة الزمنية بينهم وبين قائلها الاوائل أدى الى نسيانهم لاسماء قائلها وعاشت على ألسنتهم كما

عاشت الحكم والامثال القديمة ، اذ انهم ما زالوا يرددون كثيرا من هذه
الامثال والحكم •

وهم يعرفون حتى الآن بعض شعراء الجاهلية ، أمثال عنترة ، وعمرو
ابن معد يكره الزبيدي ، وحاتم الطائي ، والمهلهل ، وامرئ القيس ، وقد
وردت هذه الاسماء في اشعارهم • وهذا دليل على أن الرواة ما زالوا حتى
الآن يروون اشعار القدامى وايامهم الا أن بعد الشقة بينهم وفساد لغة البدو
المعاصرين أدى الى تحريف هذه الاشعار ، وقد ذكرنا أمثلة لذلك عند
الحديث عن حياتهم العقلية •

وتكرار المعاني في هذا الشعر وورود هذه الايات الجاهلية فيه ليست
حديثة فقد كانت هذه الظاهرة موجودة فيه منذ أيام الجاهلية فقول زهير :

ما أرانا نقول الا معادا

وقول عنترة :

هل غادر الشعراء من مستردم

ثم التوافق بين امرئ القيس في قوله :

وقوفا بها صحبى على مطيهم

يقولون لا تهلك أسا وتجمل

وبين طرفه في قوله :

وقوفا بها صحبى على مطيهم

يقولون لا تهلك أسا وتجلد

وغير ذلك مما هو ملاحظ في شعر الجاهلية ، فما المانع ان تكون نفس
الاسباب التي أدت لذلك في شعر الجاهلية ان تكون نفسها التي ادت لهذا
في شعر البدو المعاصرين ، فتكون هذه الظاهرة استمرار لتلك لان هذا
الشعر كما قلنا سابقا استمرار لذلك •

الباب السابع

نماذج من الشعر البدوي

قال محمد عبدالله القاضي (*) في وصف القهوة العربية وكيفية صنعها
ومبلغ احتفائهم بها :

★ ★ ★

يا من لقلب كل ما التم الاشفاق
من عام الاول به دوايك وخفوق^(١)
كنه مع الدلال يجلب بالاسواق
وعامين عند معزل الوسط ماسوق^(٢)
يجاهد جنود في سواهيح الاطراق
ويكشف له اسرار كتمها بصندوق^(٣)

(*) هو محمد عبدالله بن محمد بن ابراهيم بن عبدالرحمن بن محمد
ابن عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن منيف بن بسام بن منيف بن عساكر
ابن بسام بن عقبه بن ريس بن زاخر بن محمد بن علوي بن وهيب بن
قاسم بن موسى بن عقبه بن سنيح بن نهشل بن شداد بن زهير بن شهاب
ابن ربيعه بن أبي أسود بن مالك بن حنضله بن مالك بن زيد مناة بن تميم
ابن مر بن أد بن طابخه بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان - شاعر
مشهور وهو عندهم من ائمة الشعر ومالكي ناصيته . ابدع في جميع فنون
الشعر ولد في موطنه عنيزه عام ١٢٢٤هـ وتوفي عام ١٢٨٥هـ . (ديوان
النبط - خالد بن محمد الفرخ) .

(١) كل ما التم الاشفاق : كل ما اقبل الليل والتأم الشفق . عام
الاول : العام الذي مضى منذ سنة . دوايك : افكار وهو اجس . خفوق :
خفقان .

(٢) كنه : كانه . الدلال : السمار ، المنادى على البضائع . يجلب :
يعرض للبيع . معزل الوسط : ضامر الوسط . ماسوق : مرهون .
(٣) سواهيح : مفردا ساهوج وسوهاج أي الاغراق في التفكير .
الاطراق : من اطرق برأسه لامر ما .

الى عن لى تذكار الاحباب واشتاق
 بالى وطاف بخاطري طارى الشوق^(١)
 دنيت لك من غالى البن ملاق
 بالكف ناقيها عن العذف منسوق^(٢)
 احمس ثلاث يا نديمي على ساق
 ريحه على جمر الغضى يفضح السوق^(٣)
 واياك والنيهه وبالك والاحراق
 واصحا تصير بحمسة البن مطفوق^(٤)

(١) الى : اذا • عن لى : بدا لى • بالى : خاطري • طاري : طارىء •
 فهو يشكو من قلبه الذي تطرقه الوسوس والافكار كلما اقبل الليل ورقد
 الناس فهو في خفقان دائم واضطراب لا ينقطع كأنه بضاعة بيد دلال يجوب
 فيه بالاسواق يعرضه على الشارين • عامان من الهم والنكد وعامان آخران
 كان رهينة عند الحبيبة ضامرة الوسط لا يفكه احد من هذا الاسر فهو
 يجاهد الهموم والافكار التي تزحف عليه بجنودها وتتكشف له أسرار لن
 يظهرها ابدا فقد اقل عليها صندوق اسراره وطوى عليها مكنون نفسه وهو
 اذا عن له ذكرى حبيبته واشتاق خاطره اليها وهزه الشوق لجأ حينئذ الى
 ما ينسيه •

(٢) دنيت : قربت • غالى : ثمين • البن : حبوب القهوة • ملاق :
 ما راق وطاب وما كان لائقا • ناقيها : منقيها • العذف : الخلط الرديء •
 منسوق : منقى •

فيدني لنديمه من البن النضيف ما نقاه بيده وما غلا ثمنه وطاب مشربه
 (٣) احمس : فعل امر من حمس : أي اقل • على ساق : متواليان •
 من البن الذي يليق بمنزله الاضياف •

ريحه : رائحته • الغضى : شجر ينبت في البادية وتكون ناره قوية يضرب
 بها المثل • يفضح السوق : بمعنى تنتشر رائحته والفضح : الذبوع
 والانتشار •

(٤) اياك : احذر • النية : النيئة • بالك : احذر • اصح : انتبه •
 تصير : تصبح او تكون • بحمسة البن مطفوق : بقلى البن مرتعشا
 مستعجلا •

الى اصفر لونه ثم بشت بالاعراق
 وكدت كما الياقوت يطرى لها المنوق^(١)
 وعطت بريح فاخر فاضح فاق
 ريحه كما العنبر بالانفاس منشوق^(٢)
 دقه بنجر يسمعه كل مشتاق
 راع الهوى يطرب الى طق باخفوق^(٣)
 والقم بدلة مولى كنها ساق
 مصبوبة مربوية تقل غرنوق^(٤)

(١) الى : اذا • بشت : نضجت • بالاعراق : جمع عرق وهو ما يتصبب من الانسان والحيوان لشدة الحر • وقد استعمله الشاعر هنا لما يندى من القهوة عند القلى • كما : كمثل ، كأن • يطرب : يفرح ويستتر • الموق البصر •

(٢) عطت : تضرعت رائحتها • بريح : برائحة • فاخر : جيد • فاضح منتشر • فاق : تفوق على غيره • العنبر : نوع من العطر •

(٣) دقه : اسحقه • بنجر : الهاون (الهون) • راعي : صاحب • الى : اذا • طق : دق ، رن • بخفوق بانغام خاصة يقول انه اذا هزه الشوق لجأ الى ما ينسيه فيدنى من غالى البن ونقيه ما يليق بنديمه ثم يوصى بقليلها حتى تتضوع رائحتها وتذيع وتنتشر وايك ان تكون عجولا في قليها فتكون نيئة أو تزيد قليها حتى تحترق وانما عليك ان ترفعها اذا اصفر لونها وتعرق وأصبحت كالياقوت الذي تطرب له الانظار وبدأ عطرها ينتشر ويذيع بحيث يتفوق على رائحة العنبر حينئذ اطحنها (بهاون) يطرب لسماعه المشتاق ويهتز العاشق من انغامه •

(٤) القم : ضعها • بدلة : اناء من الصفر توضع فيه القهوه • كنها : كأنها • مصبوبة : مسكوبة في قالب • مربوبة : مجلو صدأها • تقل : تقول والمراد التشبيه هنا : فقوله تقل غرنوق أي تقول انها غرنوق أي مشابهة له والغرنوق طائر مائي أبيض •

خلها تفوح وراعى الكيف يشتا
 الى طفح له جوهر صح له ذوق^(١)
 أصغر قموره كالزمرد بالاشعاع
 واكبارها الطافح كما صافى الموق^(٢)
 زله على وضحا بها خمسة ارناق
 هيل ومسمار بالاسباب مسحوق^(٣)
 مع زعفران والشمطرى الى انساق
 والعنبر الغالي على الطاق مطبوق^(٤)
 فلى اجتمع هذا وهذا يتيفاق
 صبه كفيت العوق عن كل مخلوق^(٥)

- (١) خلها : خلها اتركها • راعي : صاحب • الى : اذا طفح طفا • جوهر : يقصد الفقاقيع • ذوق : مذاق •
- (٢) قموره : فقاقيعه • الاشعاع : الاشعاع • الطافح : الطافى صافى الموق : العيون الجميلة الصافية الحوراء •
- (٣) زله : زلها أي اسكبها • على : يقصد في • وضحا : كناية عن دلة القهوة البيضاء التي يقدم منها للضيوف •
- ارناق : الوان ، اشكال ، اصناف • الهيل : حب الهال • مسمار قرنفل • الاسباب : الاصناف •
- (٤) الشمطرى : نبات ذو رائحة زكية • الى انساق : اذا جرى • الطاق : الكامل • مطبوق : مضاعف •
- (٥) فلى : فاذا : تيفاق : اتفاق ، اتفقت الاصناف • صبه : اسكبه كفيت العوق : دعاء بان يكفه الله ما يعيقه •
- يقول : بعد ان يتم سحقها ضعها في دلة كانها ساق حسناء جميلة أو كأنها غرنوق يزهو بياضه ثم اتركها على النار تفوح منها برائحتها وحولها السمار يشتاقون اليها فاذا صيغ لونها وطفت فقاقيعها ما بين صغار كأنها الزمرد وكبار كأنها حديق العيون الجميلة الحوراء فهذا يعني ان ذوقها قد صح وطاب طعمها فحولها حينئذ مصفاة رائقة الى مصفااتها الاخيرة حيث تجد امامها الافاوية العطرية والازهار المعطرة وقد ضوعفت كمياتها فاذا اجتمعت كل هذه الاشياء واتفقت فما عليك الا صبها وتقديمها للحاضرين •

- بفنجال صيني زاهى عند الارماق .
 يغضي بكرسيه كما اغضاي غرنوق^(١)
 الى انطلق من ثعبته تقل شبراق
 او دم جوف امزع منه معلوق^(٢)
 خمر الى منه تسلسل ♦♦ بالارياق
 وعليه من ما صافي الورد مذلوق^(٣)
 راعيه كنه شارب ريق ترياق
 كاس الطرب وسرور من ذاق له ذوق^(٤)
 يحتاج من خمر السكرى الى فاق
 طفل تمز شفاه والعنق مفهوق^(٥)
 عبث يميل بحبته ما بعد ماق
 وهو يزاهى باهر البدر بشعوق^(٦)

- (١) فنجال : فنجان قدح القهوة • صين : الصيني ، الخزف المصنوع في الصين ويكون عادة ثمين • زاهى : زاه الارماق : مفردها رmq وهي عندهم البصر • يغضي : يغضي طرفه • بكرسيه : صحنه • اغضاي : اغضاء •
 (٢) الى : اذا • ثعبته : رقبة اناء القهوة « الدلة » • تقل : تقول • شبراق : مادة قانية الحمرة • جوف : قلب • امزع : انخلع • معلوق : ما يتصل بالقلب كالكبد والطحال والرئة •
 (٣) الى منه : اذا هو • الارياق : جمع ريق • من ما : من ماء • مذلوق : مهراق •
 (٤) راعيه : صاحبه • كنه : كانه • ريق ترياق : صافي الخمر • ذوق : مذاق •
 (٥) الى فاق : اذا افاق • طفل : غاده حسناء • تمز : ترتشف • شفاه : شفتيها • مفهوق : متلع •
 (٦) عبث : مرح معايب • حبته : قبلته • ما بعد ماق : ما تكبر قط • يزاهى : يشابه • شعوق : شعاع •

- بين اشفتيه الى غنج حق براق
 عجل رفيفه بالطها يعطى اطبوق^(١)
 سطر كتب من حبر عينه بوراق
 خديه صادين ونونين من فوق^(٢)
 كن العرق باخدودها حمر الارناق
 ينثر على الوجنات باللون مشعوق^(٣)
 بالعنق كن المسك والخد براق
 والمشخص بصدرة كما الشاخ مدقوق^(٤)

يقول : اسكبها في فنجان من الصيني الزاهي في اعين الناظرين فكانه في صحنه اذ يطفو عليه الحباب طائر الفرنوق يفضى بعينيه وهي في انسكابها من فم الدله الى الفنجان كانها الشبراق في احمراره القاني أو كأنها دم القلب فهي كالخمرة في تسلسلها في ريق شاربيها سيما وقد اريق عليها من ماء الورد الصافي ما ازادها عطرا على عطر فكأن شاربها قد احتسى كاسات الطلى . انها الطرب والسرور لمن ذاقها وارثشف منها رشفة وهو لا يحتاج اذا افاق من سكرته الا الى غادة رائعة الحسن يرتشف من شفاهها وينهل من رضابها فهي على جمالها معاينة لعب ذات حسن باهر يفوق البدر اشعاعا وجيد تلح كجيد الريم مرحة غير متكبرة ولا غليظة طبع تميل اليك بقبلتها فهي ذات ظرف ولطف .

- (١) اشفتيه : شفتيه . الى غنج : اذا مزح ولعب . حق براق : برد . رفيفه : وميضه . الطها : المزن يغشى السحاب . طبوق : طبقات .
 (٢) الحبر : المداد . صادين ونونين : حرفا الصاد وحرفا النون .
 (٣) كن : كأن . العرق : ما يتصبب من الانسان . الارناق : اليواقيت وما شابها . مشعوق : مضى .
 (٤) براق : بارق شديد اللمعان . المشخص : حليه من الذهب . ويستمر شاعرنا في وصف هذه الحسناء فيقول : ان ثغرها اذا تبسمت أو تضاحكت انما يفتر عن برد كأنما نثرته مزنه ممطره يضحك البرق بين طياتها وعينان سوداوان فكأنما أخذ منهما مداد رسم به شعر صدغيها على

يمشي برفق خايف مدمج الساق
يفصم حجول ضامها الثقل من فوق (١)
الى حصل لك ساعة وانت مشتاق
اقطف زهر ما لاق والعمر ملحوق (٢)
فيلا حضر ما قلت عندي فالارزاق
بيد كريم كافل كل مخلوق (٣)
وصلاة ربي عدما بارق حاق
على النبي الهاشمي خير مخلوق (٤)

شكل صادين وحاجبين كأنهما حرفا النون .. وكان العرق الذي يتصبب
على وجنتيها ياقوت انتثر عليهما يتلاقى اشعاعه باشعاع هذين الخدين اما
جيدها فكأنما يتضوع مسكا وخدها لامع بياضه وصفائه ، يتدلى على صدرها
عقد حوى انواع الجواهر .

- (١) خايف : خائف . مدمج الساق : ملمومة ، مكتنزة . حجول :
جمع حجل - أي الخلخال - وهو حليه تلبسها المرأة في ساقها . ضامها :
ضيق عليها .
(٢) الى : اذا . حصل : اتفق وتحقق . لاق : راق . ملحوق :
مدروك ، مدرك .
(٣) فيلا : فاذا .
(٤) عدما : عدما . حاق : لمع .

ذات مشية مترفة هادئة كأنما تخشى ان ينقصم خلخالها وقد ضامهما
وضيق عليهما اكتناز ساقيهما وتترفق على قدميها المترفتين من ثقل ردفها
فكأنما هي صاحبة شاعرنا الجاهلي الاعشى حيث يقول :

غراء فرعاء مصقول عوارضها
تمشي الهوينا كما يمشي الوجى الوحل
كأن مشيتها من بيت جارتها
مر السحابة لا ريث ولا عجل

قصيدة لماجد الحثري (*) :

وأخيرا يقول اذا حصل ومنحك الدهر ساعة فاهتبلها وعش كما يريد
قلبك وتمتع بهذه الحياة فلا بد ان يفنى العمر فما عليك الا ان تغتنم الفرصة
وتقطف الزهرة المعطارة والثمرة الناضجة وانا اذا حصل لي ذلك فهذا منتهى
ما اريد من الحياة اما رزقي فهو بيد من كفل جميع الخلائق .

ثم يختتم القصيدة بالصلاة على النبي (ص) ما اومض برق في السماء .

(*) ماجد الحثري : فارس من فرسان قبيلة شمر وشعرائها
المعروفين قيلت هذه القصيدة ما بين عام ١١٩٠ - ١٢٠٠ هـ وهناك قصة
تروى عن سبب هذه القصيدة نرويها بايجاز :

كانت أوامر الصداقة بين ماجد الحثري وزميله مفوز التحفييف وطيدة
الاساس وثيقة العرى الى أقصى حد . وفي يوم من الايام اغار قوم على شمر
(وهي قبيلة الصديقيين) فركبا جواديهما لخوض المعركة وكان جواد ماجد
اسرع من جواد مفوز لذا ادرك القوم قبله وخلص الابل منهم واستمر في
مطاردتهم حتى تمكن من احد فرسانهم فأخذه اسيرا ومنعه (اي اعطاه عهدا
بان لا يمسه احد بسوء) واعطاه شيئا من ملابسه الخاصة حتى يعلم قومه
بانه اجاره فلا يؤذوه . واستمر في مطاردته للغزاة وهنا لحق مفوز القوم
ورأى هذا الشخص الذي اجاره ماجد فعرف فيه قاتل ابيه فاخذته سكرة
الغضب وبدون ان يلاحظ العلامة التي يحملها من ماجد طعنة برمحه ثأرا
لابيه وتركه ومضى في اثر القوم وقبل ان يلفظ هذا الرجل انفاسه قال لمن
مر به ان قاتله هو مفوز . فلما عاد ماجد وعلم بالموضوع استشاط غضبا
ونارت ثأرته اذ كيف يقتل من استجار به وهذا عار ما بعده عار في عرف
البادية وقد حاول مفوز ان يعتذر لصديقه بانه لم يكن على علم بقضية (المنعة)
ولكن ماجد رفض حتى مقابلته وارسل اليه من يخبره بضرورة الرحيل عن
مضارب القبيلة وان يحرض على ألا يبيت في قبيلة أو أرض يجتمع به فيها
واعلمه بانه ان لم يمثل لهذه الاوامر فلن يأمن على نفسه وقد امثل مفوز
للامر ورحل عن منازل القبيلة . وبقي ماجد بين قومه حزينا كاسف البال
ولا غرابة في ذلك فلقد فارق اعز اصدقائه والمصيبة الكبرى التي حلت به
هي ان الامر ليس فراق صديقه فقط والا لهان الامر ولكنه قطع وجهه (أي

خفر ذمته • وذلك ان ماجدا اعطى ذلك الرجل عهدا بالامان فجاء مفوز وخفر
 ذمة ماجد (وهذا اكبر شيء يعاب عليه الرجل في البادية وتبقى وصمة عار
 حتى يغسلها بأخذ الثأر من قاتل المستجير به واستمر ماجد على هذه الحال
 حتى هزل ونحل جسمه واخذ ينفرد بنفسه طيلة الوقت ولا يتصل باحد
 فاحتارت اسرته في امره واعتقدوا انه عاشق لاحدى الحسنات ويمنعه
 خجله من البوح باسمها • وقد كان له ابن عم اسمه « عمرو » أرقه حال
 ماجد واعتقد بماجد ما اعتقد القوم به فأرسل اختا له جميلة وافهمها ان
 تحاول اغراء ماجد لعله يبوح باسم من يهوى أو بالسرا الذي يخفيه فانحل
 جسمه ••• فتجملت الصبية وقصدت ماجدا وهو في وحدته وبدأت تمازحه
 وتحاول اغراءه فغضب منها وعنفها وطردها شر طردة ••• وقد استغرب
 تصرف الفتاة وهو يعلم عفتها وطهرها ورجاحة عقلها وادرك ان هناك دافعا
 دفعها لذلك ورجح عنده ان ابن عمه « عمرو » هو الذي دفعها لذلك معتقدا
 بانه عاشق ولهان وقد اصاب في تقديره وتأثر فكانت هذه القصيدة ••

ونهاية القصة هي التقاء ماجد بمفوز في مكان واحد والسبب الداعي
 لذلك ان اراضي شمال نجد اجذبت عدا موضع فسيح يسمى (فيضه
 الاديان) فاتفقت القبائل فيما بينها على النزول في هذا المربع واتفقوا على
 عقد صلح فيما بينهم وقعه رؤساء قبائل شمر وعنز و الضفير اتفقوا فيه
 على ان لا يقوم فرد من الافراد بعمل يخل بالامن واذا جرى ذلك فلا يحق
 لاحد ان يجير القائم به وانما يجب ان يقتص منه •• وتحت هذه الشروط
 رأى ماجد صاحبه مفوزا فلم يتمالك نفسه فضربه بسيفه ضربة بترت رجله
 وفر هاربا والتجأ الى بيت آل هذال شيوخ قبيلة عنزه فرفضوا اجارته
 تمسكا منهم بمعاهدة الصلح فالتجأ الى بيت دغيم بن سويط شيخ قبيلة
 الضفير فاحتار هذا في الامر فهو ان اجاره يكون قد اخل بالاتفاقية ونكث
 بالعهد وان رفض اجارته فمن العار على البدوي ان يرفض استجاره
 المستجير به ••• ولما كان في حيرته هذه اطلت أمه وعنفته ان هو فكر بتسليم
 المستجير به فاجابها بانه لن يفعل ذلك حتى ولو قتل ولكن الامر شائك
 فما هو الحل فقالت له ان الامر بسيط فانا لم اكن في القبيلة ساعة وقعتم
 المواثيق فانا في حل من ذلك وعليه فانا اجيره وهكذا اجارته في بيتها •••
 الا ان الاطراف الاخرى رفضت ذلك واعتبرته تحديا فتارت الحرب فيما
 بينهم والغيت اتفاقية الصلح المعقودة بسبب هذه الحادثة •

يا عمرو يا المدلاة يا نازل الخوف
اوذيتني وانت تشد من العام^(١)

ياخو فهيد اللي بك الطيب موصوف
يا زين مضهود لجالك منضام^(٢)

لوزينوا لي هافي الخصر بشنوف
ما ابغيه لو انه على النفس عزام^(٣)

والله لو انه يؤمن من الخوف
في سهلة ما فيها كفر ولا اسلام

(١) يا عمرو . . . يخاطب ابن عمه . المدلاة : الشجاع المغوار .
يا نازل الخوف . . . يا من ينزل الاماكن المخيفة . اوذيتني : آذيتني .
تنشد : تسأل .

معنى البيت : يا عمرو يا ايها الرجل المغوار الذي ينزل الاماكن
المخيفة دون وجل من أحد أو خوف من عدو يترصد بك . . . لقد آذيتني
بالحاحك على وكثرة السؤال منذ عام مضى عن أسباب تدهور صحتي .
(٢) الي : الذي . زين : مأوى . مضهود : مضطهد . لجا : لجأ
أو التجأ .

معنى البيت : يكرر المدح لصاحبه عمرو فيكنيه بـ (اخي فهيد) الذي
جمع الصفات الحسنة جميعها (والطيب معنى شامل يراد به جميع السجايا
الحميدة) . . . ويا ايها البطل الذي تأوى وتجير الرجال المستجيرين
بحماك .

(٣) الشنوف : قصب تزين به العبادة . ما ابغيه : لا اريده ، لا
ابتغيه .

معنى البيت : يشير الشاعر هنا الى الفتاة التي بعثها (عمرو) فيقول
انكم حتى ولو زينتم هذه الفتاة الناعمة الخصر بجميع الثياب فاني لا اريدها
حتى ولو انها رمت نفسها علي وراودتني ومهما بلغ الجمال فانها لا تستطيع
ان تصرف همتي عن مغزاها الاسمي .

وماكل ولو زينوا لي الزاد بالحوف
 لو به فقار وسيح الرز بايدام^(١)
 لو حنطة البلقا وتمرّة اهل الجوف
 ما تقبله نفس عليها الطنا زام^(٢)
 ما تشوف حالى كنها حال ابو العوف
 او حال محجوب عن الزاد صوام^(٣)
 شفى مفوز نقوة الغوش منقوف
 خيالهن من بين عثت ورضام^(٤)

- (١) وما كل : لن أأكل • الزاد : الطعام • الحوف : العناية •
 الفقار : السنّام • الايدام : يقصد السمن •
 معنى البيت : يقول بانه ليست لديه الرغبة في الاكل مهما كان هذا
 الاكل حسنا معتنى به عناية كاملة •
 (٢) البلقا : البلقاء وهي بقعة من بقاع الاردن المشهورة بحنطتها •
 الطنا : الشسم • زام : زاد وتجاوز حده •
 معنى البيت : انه حتى ولو زيد على هذا الطعام خبزا مصنوعا من
 حنطة البلقاء وتمرّا من نخيل الجوف (والجوف مشهورة بجودة التمر وهي
 بلاد قديمة مجاورة لدومة الجندل المعروفة) لا يمكن ان تقبله نفسه الابية ،
 فهو يقول (ما تقبله نفس عليها الطنا زام) فنفسه بلغت من الهم والعار
 الذي لحق به الشيء الذي تجاوزت به الحد حتى انها أصبحت ترى هذه
 المآكل الشهية اللذيذة امر من الحنظل على نفسه الابية •
 (٣) ما تشوف : اما ترى • ابو العوف : دويبه اكبر من النملة •
 حالى : نفسي أو جسمي •
 معنى البيت : يقول اما ترى جسمي قد نحل وأصبح كأبي العوف في
 رقة الحال ونحول الجسم (أو حال محجوب عن الزاد حوام) بقصد ان
 جسمه وصل في الهزال ما لا يصل اليه الا الرجل العليل الذي اصيب
 بمرض مزمن فمنعه الطبيب عن الاكل وحجب عنه جميع الاطعمة •
 (٤) شفى : قصدى ، مرادي • نقوه : صفوه • الغوش : الفتية ،
 الصبيان منقوف : ابي النفس •
 معنى البيت : يعلن الشاعر هنا صراحة السر الذي جعله ينحل ويعاف

اقلط عليه والنزل طوف وراطوف

اقلط عليه بربعة البيت قدام^(١)

ثم اضربه بسلة تلهب الجوف

ما زيت عند الصنائع بلحمام^(٢)

اما عليه البيض يصفقن بكفوف

وان عاش ما يمشي على كل الاقدام^(٣)

لذيذ الطعام فيخبرنا ان هذا كله من عمل مفوز الذي جلب لي العار فغاية ما تتمناه نفسي هو القضاء عليه ولا ينسى ان يثني على مفوز هذا فيصفه بانه صفوة الفتيان والمقدام الذي لا تلين له قناة وهو الفارس المشهور الذي تعرفه الخيل وسوح المعارك . . فهو يثني على مفوز ويشيد بما يعتقد انه موجود فيه من السجايا الحميدة وهذا من شيمهم فلا يمكن ان ينكر البدوي ما لخصمه من الفضائل والمزايا مهما بلغت العداوة بينهما .

(١) اقلط : اقدم . النزل : البيوت . طوف وراطوف : صف وراء صف .

معنى البيت : يوضح الشاعر هنا قوة ارادته التنفيذية من انه سوف يقدم على خصمه مفوز حتى ولو كان بيته محاطا ببيوت كثيرة فهذا لن يمنعي من الاقدام عليه وضربه في بيته .

(٢) السلة : نصل الخنجر . الصنائع : الصناع ، الحدادون .

معنى البيت : يقول وسأضربه بسيفي أو خنجري ضربة تلهب النار في احشائه وتخرق امعاءه فسيفي مصقول وصارم وهو ليس بحاجة الى الحداد ليصقله .

(٣) البيض : النسوة .

معنى البيت : ان ضربته هذه ستكون القاضية فاما ان يقتله ويترك نساء القبيلة ينحن عليه (وذلك ان النساء في البادية يندبن وينحن على الشجاع اذا قتل) واما ان يقطع بها ساقية فلا يستطيع بعدها ان يمشي على قدميه .

الى كساني الثوب الاسود وانا شوف
خله يقع في سهر عيني وانا نام^(١)
من عقب ماني قنب حطني صوف
خلاني للحضر المقيمين فحام^(٢)

- ٣ -

قصيدة للشاعر مجيدع الربوض (*):

(١) وانا شوف : وانا اري • خله : دعه •
معنى البيت : فهو الذي سود وجهي وكساني ثوب العار وجعلني
اسهر الليل من الهم والحزن ومع ذلك فهو مرتاح البال ينام مطمئنا لا يشغل
باله شيء •• وسأتركه بعد ضربتي تلك يسهر من الهم والغبن كما كنت
ساهرا حزينا بسبب فعلته وسيطيب لي بعد ذلك النوم •
(٢) من عقب : من بعد • ماني : ما انا • القنب : الحبل الابيض •
حطني : صيرني • خلاني : تركني ، جعلني •
معنى البيت : يقول ان (مفوزا) اراد بعمله هذا ان يغير مجرى حياتي
فجعلني اسودا بعد ما كنت ابيضاً ويعبر عن ذلك بطريق التمثيل فالقنب
ناصح البياض والصوف اسود ويريد بذلك ان مفوزا نال من شرفه وصيره
اسودا بعدما كان ناصعا غير ملوث ثم يقول (خلاني للحضر المقيمين فحام)
أي جعلني بمثابة الرجل الذي يبيع الفحم لاهالي المدن • والمعروف عن البدو
انهم يحتقرون الرجل الذي يبيع الفحم •
(* مجيدع الربوض : شاعر من شعراء قبيلة شمر وهو من
« الشلقان » وهؤلاء فخذ من قبيلة شمر المعروفة • قال هذه القصيدة على
اثر معركة خاضها مع رفاق له عام ١٣٠٧هـ وكانوا ثمانية أفراد توجهوا من
مضارب قبيلتهم في شمال نجد قاصدين غزو قبيلة الحويطات في بوادي
الاردن ••• وقد تمكنوا من اخذ ابل الحويطات وساقوها عائدين منتصرين
الا ان فرحتهم لم تستمر اذ ادركتهم خيول الحويطات وحدقت بهم من كل
جانب فماذا يفعلون ؟ أيستسلمون من غير صدام ؟ لا •• فليس هذا من
شيم ابطالهم فلا بد اذن من ان يلجؤا الى طريقة أخرى تحفظ لهم كرامتهم

- ٣١٨ -

(١) البارحة عن لذة النوم سهار

بايمن صرغ لاجاه وبل الشخاتير

وهي (الممانعة) وهي في عرفهم ان يقاوم المرء حتى يأخذ لنفسه عهدا من عدوه وهذه الممانعة تختلف باختلاف قوة الفريقين فاذا كان المدافعون يشعرون بالقوة فهم لا يقبلون ابدا اما اذا شعروا بضعف فهم يقبلون به والمنع ثلاثة أنواع . النوع الاول وهو ان يكتفي بتجريدهم من سلاحهم واطلاقهم . والثاني : ان يجردوا من سلاحهم ورواحلهم ومتاعهم والثالث ان يستسلموا للعدو بدون قيد أو شرط وتسمى هذه في عرفهم « الممانعة » على الحسنى « و « السابىه » أي ان لخصمهم مطلق الحرية فان شاء عفى عنهم واطلقهم واحسن اليهم وان شاء قتلهم . وقد حصل الغزاة على ممانعة من النوع الثاني أي الخلاص بارواحهم فقط وجرى الاتفاق بعد ضرب وطعن سقط فيه البعض من القتلى والجرحى . . . وكان شاعرنا احد الجرحى وجرحه خطير وفي فخذه مما يستحيل عليه والحالة هذه ان يسير على قدميه . . . وقد حار رفاقه فيه فليس عندهم دابة يحملونه عليها وليس من المروءة ان يتركوا رفيقهم يموت وحيدا . . . فكروا في حل هذه المعضلة ولكن الشاعر الجريح سارع اليهم بحلها . . . فقد كان شديد البأس راسخ العزيمة اشفق على رفاقه ان يترددوا من اجله فيهلكوا جميعا من الجوع والظما في هذه الارض المقفرة والحر اللاهب فعزاهم في نفسه واقنعهم بانه رجل مفارق الحياة وانه ميت لا محالة وأكد لهم انه حتى لو كان عند اهله لما طمع بالحياة لان جرحه خطير جدا و اشار الى جرحه الذي ما زال ينزف والح عليهم ان يذهبوا ويغادروه واستودعهم الله فذهبوا من عنده كارهين ولكن لا حيلة لهم في الامر . . . وقبل ان يغيب عن ابصارهم رأوا الطيور الجارحة المعتادة على اكل لحوم القتلى في المعارك تقترب من صاحبهم فعادوا مسرعين اليه واصروا على عدم تركه رغم محاولاته المتعددة وقرروا ان يحملوه على اكتافهم فأما ان يموتوا جميعا او يعيشوا جميعا . . . وهكذا كان وساروا به (١٥ يوم) حتى وصلوا مضارب قبيلتهم . فقال شاعرنا هذه القصيدة معبرا عن واقعه وواقع رفاقه ابلغ تعبير .

(١) البارحة عن لذة النوم سهار

بايمن صرغ لاجاه وبل الشخاتير

يقول الشاعر انه في الليلة الماضية ما تلذذ بالنوم من شدة البؤس والآلام التي يعانيتها من تأثير الجرح .

- (٢) لحقوا اهل الببل فوق عدلات الازوار
 قب تفاهق روسههن كالخنـازير
- (٣) ربع بغونا طمعة قبل الاشوار
 لكن جبرناهم على المنع تجبير
- (٤) قبل امس وانا للمناعير سبار
 واليوم يامشكاي للرجل ما ديسر

اما قوله « بايمن صرغ - (صرغ) هو موضع أصبح محطة للسكة الحديد الحجازية السورية الواقعة بين طريق الاردن والحجاز - والشاعر يوضح ان المعركة وقعت بينه وبين اعدائه في موضع يكون على يمين صرغ .
 اما قوله « لا جاه وببل الشخاتير » فهو يسأل الله الا ينزل على هذا الموضوع قطرة من الغيث ، ذلك انه يراه موضعاً مشؤوماً لانه نكب فيه بهذه النكبة ، والبدوي ، يرى ان الارض التي لا ينزل عليها المطر قد حرمت ابلغ الحرمان ، فهي وسكانها اشقى خلق الله .
 (٢) لحقوا اهل الببل فوق عدلات الازوار

قب تفاهق روسههن كالخنـازير

يصور لنا الشاعر وضع اصحاب الابل عندما ادركوهم ، فيقول : انهم طوقوه هو واصحابه وما استطاعوا النجاة منهم ، وذلك لانهم كانوا راكبين على جياد سريعة الجرى .

اما قوله « كالخنـازير » فهو يصف خيل اعدائه بانها سمان كالخنـازير والشعراء الشعبيون كثيرا ما يصفون الخيل بالخنـازير وذلك لصحتها وكثرة شحمها .

(٣) ربع بغونا طمعة قبل الاشوار

لكن جبرناهم على المنع تجبير

يقول : ان اعدائنا عندما رأوا قلتنا وكثرتهم طمعوا بنا طمعا جعلهم يظنون انهم سينتصرون علينا بدون قيد ولا شرط ، ولكنه يقول : اننا قاتلنا قتال المستमित حتى اوقفناهم عند حدهم واخذنا منهم عهدا على دمائنا .

(٤) قبل امس وانا للمناعير سبار

واليوم يامشكاي للرجل ما ديسر

يصف الشاعر وضعه الراهن ويأسف لحالته الواقعية فيقول : كيف كنت بالامس الشاب السليم القوى ، والوحيد الذي يختاره رفاقه ليسير

(٥) قلت ارشدوا حقي من الآخرة صار
مع السلامة يا حماة المظاهير

(٦) قالوا نشيلك فوق الامتان بحصار
ذرب كلامك لا تقول المصاخير

غور العدو ، والآن تجدني عاجزا عن تحريك رجلي ، مشيرا الى الجرح
الذي ألم به .

(٥) قلت ارشدوا حقي من الآخرة صار
مع السلامة يا حماة المظاهر

يفيدنا الشاعر انه حينما رأى نفسه بهذه الحالة السيئة الخطرة ،
عند ذلك اعتبر نفسه ميتا لا محالة ، لهذا قال لرفاقه : اسلكوا سبيل
الرشاد وانجوا بانفسكم اذ اني سافارق الدنيا وسانتقل الى المقر الاخير
بعد فترة قصيرة من الزمان ، اما قوله « مع السلامة يا حماة المظاهير » فمعناه:
استودعكم الله ايها الابطال الصناديد يا حماة الوطن والمحارم .

(٦) قالوا نشيلك فوق الامتان بحصار
ذرب كلامك لا تقول المصاخير

يفيدنا الجريح في هذا البيت انه عندما قال لرفاقه اذهبوا لتنجوا
بانفسكم واتركوني كان الجواب منهم ان قالوا : لن نتركك قطعيا ، بل
سنحملك على اكتافنا . « الحصار » مفردا « حصرة » وهو نوع يجعله
اهل البادية وقاية لينة يجلس عليها الراكب على الراحلة حتى لا يشعر
بالتعب والشاعر يزيدنا وضوحا بان رفاقه قالوا له سنجعل لك وقاية
لينة على اظهرنا لنحملك عليها ، كما انه يزيدنا توضيحا بان رفاقه عندما
قال لهم اتركوني واذهبوا اجابوه بعنف ولهجة شديدة فائلين له : « ذرب
كلامك » اي اسحب كلامك هذا الذي اسأت به التعبير علينا كما اسأت به
الظن بنا ، فانت لا ترى فينا معنى الرجولة والجلد ، واما قوله « لا تقول
المصاخير » اي لا تزدرينا ولا تنظر الينا نظرة الاحتقار والتهكم والازدراء ،
وهذا هو معنى « التمصخر » او « المصخرة » .

(٧) خمسة عشر ليلة وانا ثقل بحصار
متمركي تحتي ظهور المناير

(٨) اثنين لي حضاي واثنين حصار
غدولي اجواز ثقل حطحة ظير

(٩) والى اوجسوا اني من الشيل فتار
قاموا يقصرون الخطا لي تقصير

(٧) خمسة عشر ليلة وانا ثقل بحصار
متمركي تحتي اظهر المناير

وفي هذا البيت يعطينا شاعرنا فكرة حقيقية تاريخية عن مدة الايام التي قضاها وهو محمول على اظهر قومه ، وهي كما ذكرها ، (خمسة عشر ليلة) بايامها ، اما قوله « المناير » فمعناها الشباب الصناديد ومفردتها « منور » ومنعار .

(٨) اثنين لي حضاي واثنين حصار
غدو لي اجواز ثقل حطحة ظير

يصف كيف كان رفاقه يعتنون ويرأفون به ، ثم يشرح عنايتهم به بوضوح ودقة قائلًا : زيادة على تبادلهم لحملهم لي على اكتافهم فانهم ايضا يتبادلون تمريضي ومؤانستي ، ويؤكد لنا ان منهم اثنين مهتها تمريضة والعناية به ، واثنين مهمتهما مؤانسته وقوله « ثقل حطحة ظير » يعني : ان عناية رفاقه ورحمتهم به وعطفهم وشفقتهم عليه هي اشبه ما تكون بعطف وحنان وشفقة الناقة على ابنها الصغير .

(٩) والى اوجسوا اني من الشيل فتار
قاموا يقصرون الخطا لي تقصير

يصف الشاعر دقة عناية رفاقه به فيقول : انهم اذا احسوا اني متأثر او شبه لهم اني متألم من الجرح « قاموا يقصرون الخطا لي تقصير » اي انهم يمشون الهويينا به لكي لا يشعر جريحهم بأي ألم .

(١٠) حفايا بالقيظ جهال واصغار

هو كيف لو عقيلهم لي حواضير

(١١) عجبت لدم وجيههم كيف ما غار

كأنهم بداة للمصنع مسايير

(١٠) حفايا بالقيظ جهال واصغار

هو كيف لو عقيلهم لي حواضير

يزيدنا علما بان الزمان كان وقت صيف ، كما انه يصف حالة رفاقه الراهنة بانهم كانوا حفاة يطأون الرمضاء باقدامهم العارية من الوقاية ، من غير مبالاة وبدون اكرثات .

اما قوله « جهال واصغار » - « فجهمال » هنا بمعنى شباب - حديثي السن ، ومعنى البيت : انه يتعجب مما يراه من هؤلاء الفتية من الصبر والجلد واحتمال المكارة ، ثم يوضح في المصراع الثاني ، كيف (لو عقيلهم لي حواضير) ، قائلا : ما دام هذا فعل الفتيان من قومي الذين لم يمارسوا الشدائد ولم يجربوا الامور ، فكيف اذن لو حضر عندي كهول قومي الذين مارسوا الحياة وبلغوا اشداهم .

(١١) عجبت لدم وجيههم كيف ما غار

كأنهم بداة للمصنع مسايير

يعطينا بطل القصة مثلا حيا عن شدة جلد رفاقه ، فيقول :

ليس محل العجب في هؤلاء الفتية تحملهم لهذه الشدة وصبرهم على هذه المتاعب فحسب ، فهذا عنده ليس فقط محل الاعجاب ، ولكن يؤكد لنا ان الذي جعل اعجابه يتضاعف برفاقه ويزداد هو ما يبدو له من بشاشه وجوههم ، فيؤكد انها ليست هي بشاشة مصطنعة ، ولم يكن بها من التكلف ادنى شيء ، ثم يبرهن على ان عنائتهم هذه لا كلفة بها فيقول : اعجب ما في الامر انهم رغم هذه المتاعب والمشاق لم ار على وجوههم ملامح الكلفة والعناء ، بل ارى وجوههم تشع سرورا وطربا وحبورا وذلك - كما يزعم - انهم يرون عملهم هذا فيه راحة لضمائرهم وغذاء لنفوسهم . ورضاء لوجدانهم ، الا تراه يقول : كأنهم بداة للمصنع مسايير ، أي كأنهم سائرون الى « الملهي » الذي يكون موضعا لمرح الشباب ، ومسرحا لانسهم وطربهم ، والمصنع هذا اشبه ما يكون بالمسرح ، غير ان « المصنع » برىء من الخلاعة التي تحدث في ملاهي المدينة ، وغاية ما يكون في « المصنع » هو ان يحضره لفيف من فتیان

(١٢) معهم هديب الشام حمال الاقطار

زود على حمله نقل حمل ماديير

(١٣) تراه الى جاد اول العش ما بار

لازم ان التالي يجي له نوابير

الحي وفتياتهم كما يحضره نفر من كهول الطرفين ، ومن ثم يأتي شاعر من هؤلاء الفتيان وينشد ابياتا شعريه ، والفتيان الحاضرون يصفقون ويرقصون رقصة قومية على نغمات قصيدة الشاعر ، ويكون في وسط حلقة هذا المسرح فتاة تسمى « الحاشي » هي مدار الحركة وهي التي تمثل دور المطرب بحيث انها ترقص على نغمات اناشيد الفتيان وتصفيقهم ، واذا انتهى دور هذه الفتاة جاءت بعدها فتاة اخرى تمثل نفس الدور ، ولا يكون هذا « المصنع » الا في المناسبات الضرورية التي جرت العادة باعتبارها كالاعياد والافراح وما شابه ذلك ، وبالنظر لما لهذا (المصنع) من مكانة مرموقة في نفوس شباب البادية ، حيث يجدون فيه ما تصبوا اليه نفوسهم من ابتهاج وسرور ، عندما يتجهون نحوه ووجوههم تشع بالبشاشة والسرور ، ولكنهم بهذه الحالة مسرورون سرور الفتية الذاهبين الى - « المصنع » وهو بهذا المعنى يزيدنا تأكيدا بان نفوس هؤلاء الشباب تسمو بفعل المرؤة وتحيا وتنمو كما تحيا وتنمو الشجرة بالماء ، وهذا ما ذهب اليه المتنبي حين قال :

تطيب له المرؤة وهي تؤذي

ومن يعشق يطيب له الغرام

(١٢) معهم هديب الشام حمال الاقطار

زود على حمله نقل حمل ماديير

يمدح الشاعر احد رفاقه فيقول : ان قوته وصبره شبيهان بقوة وصبر الجمل الذي كان يحمل المحمل الشامي بعهده ، ويوضح لنا بأن « رفيقي » هذا كان يحمله على كتفه بصورة خاصة كانت زائدة ومضاعفة عن حمولة رفاقه له .

(١٣) تراه الى جاد اول العش ما بار

لازم ان التالي يجي له نوابير

يؤكد لنا الشاعر ان هؤلاء الفتيان ، اي رفاقه كل منهم من بيت عريق في مجده وحسبه ، واصيل في نسبه ، وعليه فليس بالغريب منهم فعل الجميل ، طالما انهم عريقون في انسابهم .

(١٤) حمدت ربي زينه وال الاقدار
زفن من الجمة على ملفظ البير

- ٤ -

الخلوج (*)

للشاعر العوني قال (١) :

(١٤) حمدت ربي زينه وال الاقدار
زفن من الجمة على ملفظ البير
يحمد الشاعر الله الذي انقذه من العطب بعد ما كان يائسا من
حياته ، ويقول ان الامر ليس الا قدرة الهية انتشلته من الهلاك .

(*) الخلوج تعني الناقة التي فقدت صغيرها . وهذه القصيدة أشهر
أشعار محمد العوني ، وقل أن تجد في نجد أحدا لا يحفظها أو يحفظ منها
شيئا وذلك أن السليم أمراء عنيزة ، وآل أبا الخيل أمراء بريدة ، كانوا
جالين من حكم ابن رشيد ولاجئين الى الكويت بعد وقعة الصريف المشهورة
والعوني معهم وكان ينقصهم المال والرجال لاسترداد اوطانهم ، وفي دمشق
الشمام كثير من اهل القصيم المعروفين (بعقيل) فاقترحوا على العوني أن
ينظم قصيدة يستثير بها همهم ويستنجدهم لانقاذ الوطن ، وبالفعل لما
قرئت عليهم بكوا وصفوا تجاراتهم ، وتجهزوا على حسابهم الخاص ، وحاربوا
الى أن تم لهم استرجاع القصيم سنة ١٣٢١ هـ ، والخلوج الناقة التي
فقدت ولدها فهي لا تهدأ من الحنين استوحى موضوعه من حنين ناقه
خلوج سمعها وهو في قصر الشيخ مبارك الصباح بالسره في الكويت .

(١) هو محمد بن عبدالله العوني ، شاعر الحرب ، والسياسة
اللسن المهيج المتقلب ، ولد في بريدة ، ولم يكن من ذوي البيوت ، ولكنه نبغ
بالشعر والشعر السياسي على الاخص ، فطار صيته ، وسارت بأشعاره
الركبان ، فهو شاعر عصره وابن بيئته لانه نشأ في ظروف الحروب
والتطاحن والفتن والانقلابات ، نشأ في عهد احتراب أبناء الامام فيصل فيما
بينهم حتى أضاعوا ملك آل سعود ، وكان محمد ابن رشيد قد اهتبل هذه
الفرصة للاستيلاء على نجد كلها . وبريدة عاصمة القصيم ، والقصيم هو

خروج تجذ القلب بتلا عوالها

تكسر بعبرات تحطم سلالها

تهيض مفجوع الضمير بحسها^(١)

الى طوحت حسه تزايد هجالها^(٢)

له قلت انا يا ناق كفى عن البكا

لا تبحين النفس عما جرى لها

محور الدائرة لتلك الحروب ، ففيه وقعة المليدا الفاصلة التي أزالته حكم آل سعود وفيه وقعة البكيرية الفاصلة التي أعادت حكم آل سعود ومهدت للقضاء على حكم الرشيد ، وتخلل هاتين الموقعتين مئات من الوقائع والحروب والتقلبات ، كلها شهدتها العوني وشارك في كثير منها بشعره الذي له وقع السيف وكان الشعر في تلك الظروف يمثل دور الصحافة ، ويمتلك عنان الدعاية ، فيهتم له الامراء المتحاربون ، فنرى الملك عبدالعزيز قد عرف قيمة شعر العوني فغمره بعطاياه ، لكن العوني لا يستقر في ولائه لأحد ، وقد حصر عواطفه كلها في محمد العبدالله ابي الخيل ، فقد كان أول أمره صديقا لعبدالعزیز بن عبدالله المهنا أبي الخيل الى أن قتل في وقعة المليدا سنة ١٣٠٨ هـ فجلا العوني مع من جلا من أهل القصيم الى الكويت بعد أن استولى ابن رشيد على بريده وقبض على حسن المهنا وأولاده وكافة عائلة آل أبا الخيل ومنهم محمد العبدالله أخو عبدالعزيز العبدالله صديق العوني ، وفي سنة ١٣١٧ هـ قدم محمد العبدالله وآل أبي الخيل الى الكويت هارين من سجن ابن رشيد فاتخذته صاحبا له بدلا من أخيه عبدالعزيز . = ولما رجع الامر الى الامام عبدالعزيز بن السعود ، أمر صالح الحسن على بريدة ، فاستوحش محمد العبدالله وذهب الى الكويت وبصحبه العوني ، ولما استأن ثانيا وعاد بقى العوني مترددا بين سعدون وابن الرشيد ، وبعد سعدون وابنه اعجمي بقى عند الرشيد الى أن فتحت حايل ، فاستأن من الامام عبدالعزيز وأتى الى الرياض ، ولكنه لم يكف عن اثاره الفتن وتدير المؤامرات السياسية فقبض عليه وزج به في السجن في الاحساء ثم عفى عنه وأخرج من السجن ولكنه لم يعيش طويلا فتوفى في سنة ١٣٤٢ هـ .

(١) تهيض : تذكره حبيبه ، مفجوع الضمير : مفجوع القلب ،

حسها : صوتها .

(٢) الى طوحت : الى نهضت بالحنين . اهجالها : تجولها .

لا تفجعين البال بالله هودى^(٣)
ولّي خلوج خبتّ البين بالها
تبكين فرقا بكرة شدّة العرب^(٤)
ضاعت يمين البوش والا شمالها^(٥)
تجيك يا ناق الخطا أو تجينها
وان كان ضاعت لك بديل بدالها^(٦)
لكن أنا اليوم ما تعد مصاوبي
ولا علّتي تبرا ولا ينشكى لها
فلو البكا يا ناق عنّي يحلها
بكيّت بيض أيامها مع ليالها
ولو البكا يا ناق يرجع لغايب
بكيّت لين العين يبس شمالها^(٧)
وابكي على الاثنين ما ذعذع الهوا
مدى الدهر لين النفس تلحق زوالها^(٨)
وابكي على ما صاب نفسي وما جرى
وابكي على فتخان الايدي زلالها^(٩)

-
- (٣) هودى : اسكنى من الحنين • ولي خلوج خبتّ البين : ابعدي
ايتهما الخلوج التي خبلها الحنين والبعد •
(٤) بكرة : البكرة الصغيرة من الابل •
(٥) البوش : مجموع الابل أو الماشية •
(٦) تجيك : تأتيك • ضاعت : فقدت •
(٧) يبس شمالها : يقول لو يفيد البكاء على الفايت بكيّت حتى تنشف
عيوني وتيبس •
(٨) ما ذعذع الهوى : كلما تحركت الريح •
(٩) فتخان الايدي : يعني بها اهل القصيم : ومعنى فتخان الايدي :
مبسوطي الكفوف •

وابكي على دار رينا بربعها
 معلومها خشم الرعن من شمالها (١٠)
 ومن شرق طعسين الاراخم تحدها (١١)
 بين اللوى والسر ما اطيب سهامها (١٢)
 دار بنجد جنّة كان قبل ذا
 ومن صكته غير الليالي عنالها (١٣)
 وصفه من الخفرات بيضا عفيفه
 يفوق كل البيض باهر جمالها
 حسودها يغضي الى مر حولها
 من خوف عيال تربوا بجالها
 هي أمنا واحلو مطعوم درها
 غدتنا وربتنا وحنّا عيالها
 برور بنا ما مثلها يكرم الضنا
 وصول بنا لكن نسينا وصالها
 تلقى علينا الجوخ والشال فوقنا
 وهي عارية تبكي ولا احد بكى لها

-
- (١٠) خشم الرعن : موضع معروف شمالي بريده
 - (١١) طعسين الاراخم : تلال رمل شرقي بريده
 - (١٢) اللوى والسر بين الارض الصلبة والنفود وهذا نعت لسهول بريده
 - (١٣) من صكته غير الليالي : يقول انها ملجأ لمن لا ملجأ له وحصن حصين لأهلها

ولأحد جزع من صيحته يوم سبّلت (١٤)
 ولا أحد نشد من بعد ذاوش جرى لها
 قلت آه واويلاه يا خيبة الرجا
 كيف أمنا تهضم وحنّا قبالتها (١٥)
 يا طارش من فوق سراقّة الوطا (١٦)
 هميم الى سارت زهرها ظلالها (١٧)
 حایل ثمان اسنين ما مس خلفها (١٨)
 ولا برکت للشيلّ جملة حمالها
 الى بدا لي لازم قلت شـدها
 واضيط عن الفزات مقضب جبالها (١٩)
 ولا تعني بالخرج ماذي بحزته (٢٠)
 شل قربة واجعل ذهابك عدالها (٢١)

- (١٤) يوم سبّلت يعني سالت دمعتها تبكي على اولاده الذي غدتهم وربتهم ولم يحموها من جور الاعادي .
 (١٥) كيف امنا تهضم : يقول كيف ديرتنا يستبد بها عدونا ونحن رجال اقوياء ومع هذا نسكت على الضيم .
 (١٦) ياتارش : يا مسافر : سراقّة الوطا يعني يا راكب الذلول التي تقطع الارض مسرعة فكأنها لسرعتها تسرق الارض .
 (١٧) الى سارت ذعرها ظلالها : يقول كلما لمحت لها ظلا ذعرها فزادت في سرعتها فهي والحالة هذه لا تقف .
 (١٨) ما مس خلفها : الخلف ثدي الناقة : يقول انها ما حلبت لأن الحليب يضعف قوتها يريد انها قوية جدا .
 (١٩) واضيط : وثق . عن الفزات : عن الوثبات . مقاضب احبالها : يقول وثق حبالها حتى اذا وثبت بقوه لا تتقطع هذه الحبال ، وهذا ايضا كناية عن قوتها .
 (٢٠) يقول لا تكثر العفش عليها واترك ذلوك خفيفة لحاجتك الى جريها .
 (٢١) يقول لا تثقلها . القربة وطعامك لا غير .

فالى شلت خذلي بالرسن قدر ساعه (١)
 أبلغك في دق المسائل جلالها (٢)
 والى ختمته بالسلام فحثها (٣)
 من دار (ابو جابر) سقى الغيث جالها (٤)
 اوصيك يا مرسال بالسير والسرى
 واحذرک نوم الليل عينك ينالها
 الى سرتها عشر وخمس مغرب
 مرواحك (الميدان) منها منالها (٥)
 والى جيت (سوق العصر) ياتيك غلمه (٦)
 تخضع بزبنات البريسم انعالها (٧)
 يقولون لك يا صاح (٨) عطنا علومك
 بلدان نجد عقبا وش جرى لها
 قل كل بلدان القصيم وغيرها
 عن الخوف زاموا (٩) دون جاله رجالها

-
- (١) الرسن الشكيمة وهي الحبل الذي يخطم به رأس الناقة .
 (٢) المسائل : المسائل يقول اذا أكملت لوازم ذلوك انتظرني اعطيك
 الاخبار دقيقها وجليلها .
 (٣) حثها سقها سوقا عجلا .
 (٤) دار ابو جابر : الكويت وابو جابر الصباح .
 (٥) الميدان : محل بالشام يجتمع فيها عقيل .
 (٦) محل يجتمع فيه عقيل للبيع والمشتري لانهم كانوا يغربون
 بضاعتهم وهي الابل الى اسواق الشام ومصر .
 (٧) تخضع : تخطر وتمرح .
 (٨) يقول يا صاح عطنا علومك الصاحي المنتبه اللي يحفظ الاخبار .
 (٩) زاموا : وقفوا . دون جالها رجالها : يقول كل بلد وقف رجاله
 يحمونه من الاعداء .

مير داركم من عقبكم تندب الثرى (١٠)
 تبكي على الماضين واعزتا لها
 لعبوا بها الاجاب لا رحم حيكم
 والبيض بالبلدان شتت لحالها (١١)
 شبابكم تضرب على غير موجب
 من عقب كبير الجاه تنتف سبالها (١٢)
 اولاد على اليوم ذا وقت نفعكم
 لا رحم ابو نفس تتاجر بمالها
 اولاد على ان الليالي قصيرة
 ولا للفتى غير الثنا من نوالها (١٣)
 اولاد على اليوم ما هوب باكر
 قوموا بعزم الليث ماضي فعالها (١٤)
 لا تتبعون الهون والعجز والعسى (١٥)
 او ربما او ليت يتعب سوالها

-
- (١٠) تندب الثرى يقول ما غير داركم تطلب الثأر فان كان فيكم
 عزم فتقدموا لحمايتها .
- (١١) البيض يعني بها نساءهم يقول نساؤكم طردهن الاعداء . فهن
 في كل بلد يسألن الناس من بعد فقد رجالهن .
- (١٢) تنتف اسبالها : شواربها ولحائها .
- (١٣) الثناء : المدح : نوالها يقول ما ينال الفتى بهذه الدنيا الا الثناء
 الجميل .
- (١٤) بعزم الليث مبارك الصباح يقول قوموا لحماية بلادكم وسيعاونكم
 ابن صباح على الحرب .
- (١٥) يقول لا تتأخروا عاجلوا عدوكم ولا تجعلوها وعودا كاذبة .

جود ورجا يا ناس ما هيب عندكم
 هذيك ما لحقوا هل القول جالها (١٦)
 وذي قالة ما ينطحه كود نادر (١٧)
 اولاد على من بكم قال انا لها
 ترى مركب الاخطار هو مصعد العلى
 ولا يدرك المقصود غير احتمالها
 وترى بالسيوف المال والعز والبقا
 والجنة الخضرا بخضرة اظلالها
 قوموا براى الله واقضوا ديونكم
 انتم هل القالات ما انتم رذالها (١٨)
 ما دام (أبو جابر) على العز والبقا
 عنّا ثقيلات الحمول ارتكى لها
 الى احترك سبع القبائل تحركت
 والى رسي ترسي رواسي جبالها (١٩)
 قوموا برايه ثم راى (ابو ثامر) (٢٠)
 ابو كلمة يافي بها حين قالها

(١٦) جود ورجا الى آخر البيت يقول الخوف والوعود ما هي عاداتكم
 (١٧) ما ينطحه : ما يتحملها • كود نادر : يقول هذا مسألة ثقيلة
 لا يتقدم لها الا نوادر الرجال •
 (١٨) انتم هل القالات : يقول انتم رجال الحروب والعادات ولستم
 بالناس الجبناء •
 (١٩) الى احترك يعني بن صباح تتبعه القبائل شمر وعنيزه ومطير
 والرولة والعجمان وعتيبه وحرب •
 (٢٠) ابو ثامر بن سعدون •

عرق الصخا بحر الندى مرهق العدا (٢١)
 لا اشتبت الهيجا تعرفه رجالها (٢٢)
 هيج سباع الحرب بالبر والبحر
 والشمس تشكي منه عجة ينالها (٢٣)
 ومصقلات الهند (٢٤) تدعى له البقا
 لولاه كان اصدت بغمدة سلالها (٢٥)
 نشا مولع بالحرب والضرب ماشكا
 والخيل والعيرات تشكى هزالها (٢٦)
 من كثر ما مسه على السير والسرى
 من كثر ما خاضت مهامه سهالها (٢٧)
 قوى باس ما يلين الى ما مضى
 الى ضكته صعب الحمول ارتكى لها (٢٨)

-
- (٢١) عرق الصخا بحر الجود والكرم • بحر الندى مكرم الضيف :
 مرهق العدى : مخيف العدو •
 (٢٢) الهيجا : الحرب • يقول الشاعر ان رجال الهيجا يعرفونه
 بالفروسية •
 (٢٣) اذا اشتبك بالحرب نار الغبار وحجب الشمس •
 (٢٤) مصقلات الهند السيوف المجلوة من كثر ضرب رقاب الاعداء في
 الحروب •
 (٢٥) لولاه كان اصدت بغمده اسلالها : يقول لولا كثرة حروبه
 لاصاب السيوف صداً من قلة الاستعمال •
 (٢٦) والخيل المعروفة والعيرات هي الابل تشكو الهزال من كثر
 الاسفار وخوض المعامع والحروب •
 (٢٧) مهامة اسهالها : الفلوات الخالية من السكان •
 (٢٨) الى ضكته صعب الحمول : كلما ثقلت عليه الامور احتملها •

شال الحمول الكايدة يوم جدعت
عقَى زمول جدعتها وشالها

عقَى مراعيها وبّرد ظهورها
وان جدّلت بالسيف عدل جدالها

تذرى به السرحان والفهد والاسد^(١)
من هيته كل وقف في اظلالها

اقسمت بالمولى وبالنور والصمد
واشهد بسكاب المطر من خيالها

ما جابت الخفريات (سعدون) او مشى^(٢)
مثله على وجه الوطا من رجالها

من مثل ابو ثامر الى ضبضب القتر^(٣)
والخيل زاد امن البلنزا جفالها^(٤)

له هدة ما قيل (ابا زيد) هدها^(٥)
ولا (عنتر) المشهور ما قيل نالها

(١) تذرا به السرحان والفهد والاسد : يقول الشاعر ان ابو ثامر
ملأت هيته قلوب الجميع من بشر وحيوان .

(٢) ما جابت الخفريات مثل سعدون : الخفريات : النساء المحصنات .

(٣) ضبضب القتر : طار غبار ودخان البارود بين السماء والارض .

(٤) البلنزا : ازيز الرصاص وضوضاء الحرب فتحجم الخيل عن

التقدم من الذعر .

(٥) الهده خوض المعركة بقلب وجأش مطمئن اثبت من جأش عنتر

وابي زيد الهلالي .

على سابق تعطي على ما يريد^(٦)
 ميتم ضعافين القبائل عيالها^(٧)
 تلقى كما لطم العرائن فوقها^(٨)
 من خوف عيال تذكر مجالها^(٩)
 شيبية تلقى مقاديم حربها
 وذا من قديم طبع عمه وخالها
 الى صاح بالمنشا وساروا وسبلوا^(١٠)
 ورودا مثل سيل حدر من جبالها^(١١)
 نشاما يرون الموت هو متجرهم^(١٢)
 ومجادل الفرسان حدر جدالها
 ابا الحق انا بعض الشيبه ملامه
 وتكرم على شين الملامه سبالها^(١٣)

-
- (٦) السابق : الفرس .
 (٧) ميتم ضعافين القبائل : يقول الشاعر انه يجعل بعد المعركة
 ابناء اعدائه ايتاما كناية عن قتل آباءهم .
 (٨) تلقا لطم العرائن فوقها : يقول ان الفرس متعودة ان تلقا مع
 ابي ثامر لطم الانوف بوجوه الاعداء .
 (٩) العيال رجال الحرب الذين يضربون بقلوب قاسية اعدائهم .
 (١٠) الى صاح بالمنشا يريد آل سعدون أنهم ذرية بركات الشريف
 الذي اصله من الحجاز من منشأ السحاب فاذا صار نهار الحرب يتناخون
 منشأ منشأ .
 (١١) اذا سمعوا قول منشأ انقادوا للحرب وخاضوا المعركة كالسيل
 لا يردهم خوف ولا كثرة جيش .
 (١٢) هو متجرهم يعني اما الموت واما النصر والحرب هي سوقهم
 التي يبيعون فيها ارواحهم .
 (١٣) يقول انا اليوم بعضهم

- قل كيف عبدالله تعدوه وابنه
 ملحق قصيرات السبايا طوالها (١٤)
 خلى مساعير الصريف ترودهم
 والضبعة العرجا تنادي عيالها (١٥)
 وهم يزرعون العيش ماكن كارهم
 ويلاه يا عين تزايد همالها (١٦)
 لولا ابو ثامر يبرد بفعله
 فرض سنة الشغموم ميم اطفالها (١٧)
 سنة مهلهل عن كليب خليصة
 فرضها ابو ثامر وجدد اسمالها (١٨)
 ذبح بعبدالله شيوخ كثيرة (١٩)
 مصاييح ظلما بالدجى يعني لها (٢٠)

- (١٤) الملامة على تركهم عبدالله بن سعدون وابنه بأيدي العدو وهو فارس يلحق الطويل بالقصير يوم اللقاء .
 (١٥) يذكرهم ان عبدالله كان في معركة الصريف يجندل الاعداء حتى ان الضباع تدعوا اولادها لاكل الجثث .
 (١٦) يقول كان عبدالله زراعا بالعرق يزرع البر ولكن الاقدار ساقته فهو لم يكن من اصحاب الحرب وطالبيها .
 (١٧) الشغموم صاحب العادات الجميلة بالحروب والتقدم وعدم الخوف .
 (١٨) سنة مهلهل يذكر ان ابو ثامر في عمله كالمهلهل بن ربيعة اي انه اخذ الثأر لعبدالله كما اخذ الثأر لمهلهل لاخته كليب وهذه سنة جعلها ابو ثامر فأحيها بعد اندراسها .
 (١٩) يقول ان ابن سعدون قتل بعبدالله وابنه فرسانا كثيرة كما قتل مهلهل بأخيه .
 (٢٠) يعني مصاييح الدجا آل سعدون يذكرون انهم اعلام بارزون يوم الحرب لهم علامات يعرفون بها .

ومن عقبهم مايه وعشرين لحيّة
ونفسه وعينه ما قضي عشر مالها^(٣)
وان عاش ابو ثامر وساعف له الهوى
كم خفرة ترمى العطا من هبالها^(٤)
تبكي قصارها وتبكي حليلها
وتبكي مشافيقه وترمي دلالها^(٥)
هذا وتم القيل والله به الرجا
وصلوا على المختار ما اهمل خيالها^(٦)

- ٥ -

قصيدة للشاعر عبدالله النجدي (*):

يا مزنة غرّا من الوسم مبدار
برگج جذبني من بعيد ريفه

-
- (٣) يقول الشاعر ان ابو ثامر قتل بابن عمه عبدالله مائة وتسعين رجلا وانه يراهم مع ذلك اقل مما يجب وانهم لا يساوون دم عبدالله .
- (٤) وان عاش ابو ثامر وحالفه النصر لا يزال يفجع الخفريات برجالهن .
- (٥) يقول ان نساء اعداء ابو ثامر كل يوم لهن فجيعة على اخ او عم او جار حتى ترمي خمارها مجنونة على زوجها وجارها واخيها الذين ذهبوا تحت حوافر فرس ابو ثامر كل ذلك ليأخذ ثار عبدالله وابنه .
- (٦) ما اهمل خيالها : يقول صلوا على محمد عدد ما هل المطر .
- (*) احد شعراء القرن الماضي وهو من عشيرة الصقور احدى قبائل عنزه وقصيدته هذه تعتبر من روائع الشعر البدوي حتى انهم اطلقوا عليها اسم « الشيخة » اي شيخخة القصيد ويريدون بذلك ان لا قصيدة فوقها .

- ٣٣٧ -

ترعى^١ بها قطعانا سر وجهار
 وتسمن بها العفر النشاش الضعيفه^(١)
 قطعانا ما ترتعي دمنة الدار
 يرعن صحاصيح الفياض النظيفه
 ترتع بها عفرا من الذود معطار
 عدولة الخطار عجل عطيفه
 يبني عليها بنية اللبن بجدار
 وعكب الضعف راحت ردوم منيفه^٢ «
 ما هي سوائف مسعر عقب ما نار
 الى نكس واطراف رمحه نظيفه^٣ «
 زود على هذا لك الله لنا كار
 على جارنا ما قـط نخفي الطريفه^٤ «

(١) ويروي البيت رواية اخرى :

ترعى بها قطعانا سر وجهار

ومن دونها نروي الغلب والرهيفه

(٢) اللبن : مفردا لبنه وهي قوالب من الطين تستعمل في البناء .

عكب : بعد . ردوم فيفه يقصد انها رجعت بعد ضعفها وهزالها وافرة اللحم والشحم .

«٣» نكس : عاد ، رجع . سوائف : مفردا سالفه ويريدون بها القصة والحكايا .

«٤» ويروي البيت كالاتي :

وحنا ترى هذا لك الله لنا كار

وعن جارنا ما عاد نخفي الطريفه

ويروي ايضا كالاتي :

الا ومع هذا لك الله لنا كار

عن جارنا ما قد نخفي الطريفه

زود على هذا : علاوه عليه . لك الله : جملة معترضه دعائية فيها

معنى التعجب . كار : عاده ، تقليد . الطريفه : الشيء الطريف الثمين .

واحد على جاره بختري ونوآر
 وآحد على جاره صفاة محيفه^(١)
 والجار لابده مقفي عن الجار
 وكل تذكر ما جرى من وليفه^(٢)
 نرفي خماله رفية العش بالغار
 وندعي له النفس القويه ضعيفه^(٣)
 خطو الولد مثل البليهي ليا ثار
 وزود على حمله نكل حمل اليفه^(٤)
 وخطو الولد مثل النداوي ليا طار
 وصيده قليل ولا يصيد الضعيفه
 وخطو الولد ناش على موة النار
 صفر على عود تظبه كتيفه

(١) البختري والنوار : من نباتات البادية وازهارها • صفاة محيفه:
 ارض مقفرة بلاقع لا نبت فيها •
 (٢) ويروي البيت كالاتي :
 والجار لا بده مقفي عن الجار
 وكل على جاره يعد الوصيفه
 ويروي ايضا :

باغي الى ما بدل الدار بديار
 وعكب البطا كل تذكر وليفه
 لابده : لا بد أنه • مقفي : مفارق • وليفه : الفه ، اليفه •
 (٣) نرفي : نرفوا • خماله : عيبه ، يقول نستر عيبه كما يستر
 الطائر عشه في الكهف او الفار •
 (٤) خطو الولد : تستعمل بكثرة عندهم وهي تحمل معنى المدح
 ويوصف بها الفتى الكامل البليهي : الزمل من الابل • ليا ثار : اذا نهض •

قال ابن لعبون (*) في عبدالله بن ربيعه :

البارحة سهر ودير التفاكير
في ذم نذل بادي بالعياره
لا طالب دم يبي له مشاوير
ولا هوب يطلبنا بقايا تجاره

بلا ذنب أركى في قفانا مشاغير
وشوف ناظرنا بعين الحقاره (١)
حنّا هل الوادي وحنّا المناغير
وحنّا ودينا جارنا من جداره (٢)
يشهد لنا جريس اليماني بتفخير
يومن عن أهل الدين محد أجاره (٣)

خطلان الايدي كالاسود الهزاير
مقاس للحرب وان شب ناره (٤)

(*) هو محمد بن حمد بن لعبون المدلجي الوائلي • ولد في حرمة
(ولا نعرف تاريخ ميلاده) نشأ في عصر اشتداد الدعوة الوهابية ، وكان
بطبعه ميالا للهو فلم ترق له الحياة فنزح الى الزبير وفيها من عمومته
من ينافس آل وطبان وهم قوم الشاعر ابن ربيعة على الرئاسة - لذا اشتدت
الخصومة بين الشاعرين وجرت بينهما نقائض ، وهذه القصيدة احداها •
توفى الشاعر بالطاعون عام ١٢٤٧ هـ •

(١) اركى بالكواه : ضغط بها على الجلد • المشاغير : من شغره أي
نخسه من خلف •

(٢) وقصة ودينا جارنا من جداره : ان جارا لهم وقع عليه جدار
بستان قضاء وقدرا فدفعوا دينه لورثته •

(٣) جريس : رجل اجاروه ولم نقف على قصته •

(٤) خطلان : طوال •

ما حدّرت وديان بيشه مياسير
 كل اليمن بالسيف نملك دياره
 عند المجد انشد ولد يام ومطير
 وانشد جماجم روسهم عندواره^(٥)
 منداتهم يشبع بها السبع والطير
 بيوم تغيب شمسها في نهاره
 حريبهم لو صار دونه نواطير
 لابد ما يفجا صباح بغاره
 خذ ما تراه وخل عنك الخماكير
 من شق جيب الناس شقو وزاره^(٦)
 ترى ذهاب النمل سعيه بتطير
 خذ راسها يا اللي تجشمت قاره
 عن قولتك ولد حسن نسل صنفيير
 الغير كرعان وجدّه فقاره^(٧)
 شيخ نشا ماداس عرضه بتصغير
 ولا قيل يوم لد عينه بجاره^(٨)

(٥) ولد يام : يريد بهم قبيلتي العجمان والمرّة • ومطير : قبيلة مشهورة واره : موضع قرب الكويت •
 (٦) الخماكير : الكلام الملقق •
 (٧) صنفيير وصنفيير العبد الغبي •
 (٨) لد : امعن النظر •

جده نحا جدك عن العرض والنير
 حدرك ييم الشط تاكل صباره^(٩)
 أخذ الصحيح ان كان قصدك معاير
 العيب من ذر الخمر والحجارة^(١٠)
 ويمناك تقصر عن فعل نية الخير
 ومن المراجل ما ذكر بك نماره
 حمراك ما ذكرت تلاقي المشاهير
 تنير وسط الليل ياهي نياره^(١١)
 من طلعتك سهمتك رقص وتسطير
 وبالعون ما بك عقب شعرك تجاره^(١٢)
 تفخر بسطان العرب وانت من غير
 ما مفخر البزون ليث المغاره^(١٣)
 تدري بجدك من مقافي بقاير
 أقبل وحطه مقرن في جواره^(١٤)
 خلاه بالخدمه بدار الخطاطير
 ومن عقب ذا داره برسم العشاره

-
- (٩) العرض : العارض من نجد • والنير : جبل عتيبة المعروف •
 حدرك : في اصطلاحهم حدر من نجد الى الساحل وسند اليها •
 (١٠) الحجارة : من انحجر في غارة لجأ اليه • اي يختبئ وقت الحرب •
 (١١) حمراك : يقصد بها فرسه • المشاهير : الشارات التي يلبسها
 الشجعان مقطمره : مختبئة • النياره : الهرب •
 (١٢) سهمتك : ديدنك • بالعون : كلمة تأكيد كالقسم •
 (١٣) البزون : القط في لغة العراق • سلطان العرب : المقصود ابن
 سعود لان ابن ربيعة ينتمي اليهم •
 (١٤) مقرن : جد آل مقرن وهو جد الملك عبدالعزيز •

ولفك تركي يوم جيته بثرويسر
 من اصلك ثم اطلعك في نهاره (١٥)
 واقفيت تشتم الصغرات والبير
 تقول عود جيتي له خساره (١٦)
 واقبلت من نجد تباري الحدادير
 ومن عقب ذا ما شفت خضرة دياره (١٧)
 لو انت منهم ما رضوا لك بتصغير
 عند القبائل مظهرين وقاره (١٨)
 يا عيد جد أمك يفحج على الكير
 أصله من اصليب يدق الصباره (١٩)
 شطر يصنعه للحذا والمسامير
 ودقنه خلاص الكير كله بشراره
 عينت ثاقب اخذته بنت بنقير
 شقحا ظهيرة داخلية طهاره (٢٠)

-
- (١٥) تركي : هو الامام تركي بن عبدالله السعود .
 (١٦) الصغرات والبير قريرتان من المحمل في نجد .
 (١٧) الحدادير : القوافل القادمة من نجد .
 (١٨) بتصغير : بتحقيق . وقاره : احترامه واعظامه .
 (١٩) يفحج : يباعد ما بين رجليه . الكير : كير الحداد . صليب :
 قبيلة معروفة وهي محتقرة عندهم .
 (٢٠) ثاقب الوطيان : ابن عم ابن ربيعة . وبنقير من بدو العراق .
 الشقحا : البيضاء . ظهيره : كبيرة الجسم . الطهارة : بيت الخلاء .

في وسط عانه تسدي الغزل وتير
وزور لاهلها بالحاكه تجاره (٢١)

يا عبيد بن عمك اخواله بياسير
وعينك عمت عن شوف عيبك وعاره (٢٢)

وان طعتني عن ذا السباع المظاهر
عندك أخو مريم تصلفط بداره (٢٣)

أبو صباح ريف ركب معابير
هو زين مضيوم جلا عن دياره (٢٤)

جابر لنا سدره وحناء عسافير
لاضيم عصفور لجا في جواره

يستاهل البيضا بروس المقاصير
واولاده اللي كل منهم نعاره (٢٥)

يوم اظهرك يا عبيد من جمّة البير
يكرم وسامعها جزينه نكاره

فان كان دارتنا الهبايب على خير
الا يجرا بها ربابه وطاره

(٢١) عانة : بلد بالعراق على الفرات • تسدي الغزل وتير : اي تلحمه •

(٢٢) البياسر جميع بيسر : من لا أصل له وهي كلمة فارسية : بي سر :

أي بلا رأس •

(٢٣) اخو مريم : جابر بن عبدالله الصباح • تصلفط : وقع في بئر

أو شبيهها •

(٢٤) زين : ملجأ • مضيوم : مضام ، مضطهد • جلا : من الجلاء اي

النزوح •

(٢٥) البيضاء من عاداتهم أن يقف من يريد التنويه بأحد على مرتفع

وينادي فلان بيض الله وجهه : النعارة : الانفة والحمية •

قال عبدالله بن ربيعة (*) في الرد على ابن لعبون :
خذ ما تراه وخل عنك التفكير
يا قلب يا لى كل ما جاء داره
لابد للمعسر المنوخ مياسير
ولابد ما تقفى النذاره بشازه
العبد ماله عن حتوف المقادير
واللى كتب لو هو بصندوق زاره
ما قل دل وحاجتي يا هل العير
طرس تودونه لحامي جواره
من ديرة العوام روحوا مسافير
تلفون ينبوع التدى والتماره (١)
ربع يسرك وردهم والمصادير
صيان يما شتتوا كل غاره
صار الجزا لي من ريفي معاير
ليته يشارهني مشاري مشاره (٢)

(*) عبدالله بن ربيعة بن عبدالله بن وطبان . وهو من بيت اماره ، كانت لهم اماره « الدرعيه » ثم اماره الزبير ، جرت بينه وبين الشاعر ابن لعبون مناقضات ومهاجاة ايام اشتداد التنافس بين قومه وبين اهل حرمه وحريره وكان ابن لعبون شاعر خصوم قوم بن ربيعة ، فاندلعت بينهما معركة عنيفة وما زالت تتردد على الالسن النقائض التي جرت بينهما . . . مما يعيد لاذهاننا نقائض جرير والغرزوق . وهذه القصيدة احدى هذه النقائض وهي في الرد على القصيدة السابقة التي ذكرناها لابن لعبون . توفي الشاعر عام ١٢٧٣ هـ .

(١) ديرة العوام : اي بلد الزبير بن العوام . مسافير : سعداء ميمونين . تلفون : تلقون تصلون الى .
(٢) المشاره : العتاب .

- ان كان حنا يا خوالك عطاطير
 فحمود تبطل شيمته واعتباره (٣)
 ابوك اخذ هندية بالدناير
 بيضا وتكرم داخلها طهاره (٤)
 مرباه في دسبول والجند بنجير
 شقرا ولطامة خدوده خساره (٥)
 حنا هل الباس القوى المناعير
 وحنا الى خرب المذاهب عمارة
 تشهد لنا عقال قومك بتفخير
 وحنا هل العوجا وحنا فقاره (٦)
 ياهيه من صنعا الى ماورا الدير
 انشدك من كل البوادي جواره (٧)
 وبانشدك من خيلة بفارس مشاهير
 وانشدك من فوق العجم شب ناره (٨)

- (٣) كان العرب ولا يزال كثير منهم يعدون الصناعة كالحدادة
 والنجارة وبعض انواع التجارة كالعطارة عارا ولا يمتنعونها الا من ليس عربي ،
 ومتى كان عطارا فهو ساقط النسب • ح ود : هو ابن ثامر السعدون •
 (٤) الطهارة : بيت الخلاء ، المرحاض •
 (٥) دسبول ونجير : من بلاد العجم ولطامة الخدود : يقصدون بها
 الشيعة وذلك لكثرة ما يلطمون خدودهم وصدورهم حزنا على سيدنا الحسين
 عليه السلام •
 (٦) هل العوجا : اهل العارض وبهذه الكلمة يعتزون وقت الحرب •
 (٧) الدير : دير الزور •
 (٨) مشاهير : معلمات •

وان قيل ثور مقرى السبع والطير
 اسهر عيون اهل المدن بالنظاره (٩)
 هناك بن عمي وخل الجماهير
 ياخو عمر وش جابنا للعطاره (١٠)
 فان كان ذا الغربه رمنا بتصغير
 خذ راسها يالى تجشمت قاره (١١)
 الراية البيضا لأهل نية الخير
 ما دامت العينين تنظر سماره (١٢)
 بيت السلف بيت الخلف والمظاهر
 بيت عمار المنتفق من عماره (١٣)
 بيت لهم ورد الرياسة بتصدير
 حلوين علقم للذي به مراره
 بيت لهم شيمه علامه على الغير
 ملجا لجت نجد ودور وجاره
 بيت اليتامى والهجافا المقاصير
 بيت سلاطين العرب من جواره

-
- (٩) مقرى السبع والطير : يقصد به الامام تركي بن عبدالله السعود
 (١٠) الجماهير : الكذب والبهتان .
 (١١) القاره : الجبل . تجشمت : تكلف الصعود .
 (١٢) الراية البيضاء . كان الرجل اذا احسن الى الرجل واراد مكافأته
 ينصب على بيته راية بيضاء وينادي فلان بيض الله وجهه . والسمار :
 سواد النخيل او الشجر من بعيد .
 (١٣) المنتفق من اكبر القبائل العراقية من بني عامر بن صعصعة
 وامراؤهم السعدون من اشراف الحجاز قدموا العراق واتفق المنتفق على
 تأميرهم .

بيت الندى بيت الغنا والمياسير

بيت الرياسة والحكم والوزارة

بيت تذكره مزين للمنايير

الله يدمر من سعى في دماره (١)

بيت المحمد من تزينته اصغير

مالى سواهم يعلم الله تجاراه (٢)

اختص ابو هزاع حيس الطوابير

كم حلة داسه وجدد مغاره (٣)

شيخ على وضح النقا كونه اعصير

والليل غطا من لقاله ذعاره (٤)

بيون مربع وربع مساير

وخلوا عمر عمودهم بالمعاره

دوا لمن زاد وعلاكنه الطير

واللى على قربه عقبهم شراره (٥)

(١) المنايير • الهاربون من نار : بمعنى هرب •

(٢) بيت المحمد من السعدون في عيسى ابن محمد واخوانه وينازعهم
الرئاسة آل ثامر السعدون وآل عقيل السعدون وقد توفي عيسى بن محمد
حريقا سنة ١٢٥٩ هـ وحكم بعده اخوه بندر •

(٣) الطوابير : يقصد جنود الاتراك ومفردها طابور اي الصف من
الجيش •

(٤) كونه : اغارته • عصير : مساء يصفه بأنه لا يهاجم خصمه الا
مشاء في وضح النهار اعتدادا بنفسه وحتى يهوى له الهرب بالليل •
(٥) يريد ان ممدوحه مثل الدواء لمن به غرور العلي والطفيان ، والطير
نوع من الطاعون يصيب ذوات الحافر • اما القريبون منه فلا يصيبهم
شئ من شرار غضبه • عقبهم • تعداهم •

حر تذكر ما كرهه وادلج السير
عزى لكم يا الى سكتو بداره (٦)
أدمى العرب من شنبل الشام للدير
ولا عاش من يسكن بعدهم دياره (٧)
أمين قولوها معي خاتمة خير
من مخلص بالود سره جهاره

- ٨ -

قصيدة للشاعر ابن جعيثين (٨) :
ينجلى همي الى جية الفوج
وبالقرايا دايم صدي يضيق
قمت أطوح ونّة الى به فوج
من غزالٍ عنقها عنق البريق
ريح عطر الشاه من فاها ينوج
وطيها العنبر ايجاب الها عتيق (٨)
والعسل ريق الغضى زين النهروج
دايم قلب الخطا معها وسويق

-
- (٦) عزى لكم : اي عزاء لكم • سكتتوا بداره : رعيتهم حماه •
(٧) ادمى فلان فلانا صادف مطلوباً له بدم أي ثأر والعرب بمعنى
الناس يريد أنه قتل كثيراً من كل القبائل ولكن دماًؤها تذهب هــدرا •
الشنبل : منطقة من مناطق بادية الشام • الدير : المقصود دير الزور وهي
مدينة على الفرات •
(٨) ابراهيم بن عبدالله بن جعيثين ، أحد شعراء نجد البارزين
ولد في (تويم) من نواحي (سدير) عام ١٢٦ هـ تقريباً وهو من المعمرين عاش
حتى بلغ من العمر مائة وستين تقريباً • وتوفي عام ١٣٦٢ هـ •
(٨) ينوج : يفوح •

- في هواها صاير مثل الخلوج
 لم أزل بوصالها مثل الشفيق^(٩)
- افتنت الجب غطروف غـوج
 صافي الخدين متلول الدليق^(١٠)
- قمت اعذل القلب عيًّا، لا يموج
 عن هواها قلت ما صابك حقيق
- قال قلبي لا تهقًا ما بي اعـلوج
 ما عزا عن زاهي الثوب الرفيق^(١١)
- مالها فوق الوطا جنس يدوج
 من بلد هرقل الى باب الحريق^(١٢)
- كل زين الحور فيها والـكروج
 والجمال اليوسفي فيها وسيق^(١٣)
- في هواها فجت غبات اللجوج
 محملى بالموج خطرانه غريق^(١٤)
- من شقاء العين كن ابها يدوج
 الهزوم ادمعها عيت تليق^(١٥)

-
- (٩) الخلوج : الناقة التي فقدت ولدها .
 (١٠) الدليق : الشعر .
 (١١) تهقًا : تظن .
 (١٢) يدوج : يدور يمشي .
 (١٣) الكروج : الكرج ، وهم اهل جورجيا وقد اشتهروا بالجمال .
 وسيق : منسق منتظم .
 (١٤) محملى : محمل السفينة .
 (١٥) تليق : تستقر .

حط في باب الموده له الهوج
كم ذالى بالوعد ياقف يويق^(١)
يا ملاكل الماطل والمروج
بالعدارى حين يجفن الرفيق
هيه ألا يامعتلين اكوار عوج
اعوجيات الاصل ظراب هيق
بالمهامه والشراب الى يروج
سيرهن في كنه الجوزا خفيق
كنهن الى تجاذين الخروج
سبرتات بالسهم ما قط عيق^(٢)
بالمسافه يسبقن عجل الدروج
منوة المندوب ظراب الطريق
لي خذو روس النطاندى مروج
قدر شرب امولع أضحي وافيق
ابتدي بالقييل ما دام امهجوج
الف باب بالهوا ما هوب ضيق
به سلام عد ماركب السروج
او عدد ما فات من رمح زريق
ملتفاكم بلخ بالشيف امخروج
حمص واحصان ترا جريه طليق

(١) يويق : ينظر خلسة .

(٢) سبرتات : البراري ، وهو يكتفي في هذا البيت عن سرعة الابل .

اشر حوله حال همي بالدروج
والنبا ينيك عن حال الصديق

اشتكي لك من هوا غرو بهوج
شيلتي بالهوا مالا أطيّق^(١)

ابو نهود ما لهجن لهوج
بين أشافها العسل ما قط ذيق^(٢)

اسمها روض الخضاري بالبروج
فوق عشر في شفا واد العتيق

يزرع الليمون في بقشه بلوج
عبدنا محبوب يازين الرفيق^(٣)

ذاكر بالصفح غابة ما يحوج
لي وسامح ما يجي به من سنيق

ختمها صلوا على اذكار الحجوج
عد ما ينقاد للمجزر وسيق

احمد اللي قد سعى له بالعروج
عد ما صدر من الدنيا يضيّق

(١) غرو : الفتاة الجميلة •

(٢) لهجن : المعنى انها ذات انهود لم يرضعن الطفل •

(٣) بقشه : البستان •

قصيدة لشاعر من قبائل صلبه^(١) :

يراكب حمرة لها الكور شدى

قم يا وليفي واعتلى فوق هيف^(٢)

انسف عليها الخرج حينما تمدى

اسرع من اللى بالسما ريش رداق^(٣)

ودي سلامي للهند والسند ودي

وعتلي الدنيا من القاف للقاف^(٤)

يا نمر وين اللى بنا قصر جدي

وين دغيمش يا نمر وين كاف^(٥)

(١) لم اتمكن من معرفة اسم صاحبها ، وقصتها ان رجلا من قبيلة صليب اصطحب ولده معه الى الصيد ، وعند وصولهم موطن الصيد اتجه الاب الى جهة والابن الى جهة ثانية كل وراء طريدته واصطاد الابن بعض طيور الحباري وجلس بانتظار ابيه ، ولشدة الشمس عليه وضع هذه الطيور على عليقة ليستظل بظلها واخذته سنة من النوم ، وعاد الاب فرأى هذه الطيور من بعد فحسبها طيورا طليقة فأطلق عليها النار ولما جاء وجد ابنه صريعا اذ انه اصيب برصاص والده - فقال هذه القصيدة يصف الحادثة ويعزي نفسه ويعزي زوجته .

(٢) حمرة : ناقة - راء : الكور : ما يوضع على الناقة عند الركوب . شدى : شد واربط .

(٣) انسف : ارم ، القى . الخرج : العادل ويصنع من الصوف ويوضع على الدابة وله فتحتان تكونان على جانبي الدابة توضع بهما الحاجيات التي يحتاجها المسافر .

(٤) من القاف للقاف : يعني من اول الدنيا الى آخرها ، وفي اعتقادهم ان في طرفي الارض جبلان هما جبلا قاف .

(٥) يتعزى في هذا البيت ، بان الموت لم يترك احدا .

يانمر وين الى حفر بير غدي

من يوم ابن زقريط غالب وقاف^(٦)

من دونه ارق العين ودي

وعيني تسكف دموعها جواز وارداف^(٧)

على جنين اللي باول العمر مدي

هو مهجتي يانمر من تحت الحتاف^(٨)

قاصد يروم ريامها بالتهدي

تنحا وبرمها وخالطو ريح نساف^(٩)

صايد حبر والحر زايد بشدي

وناشر جناينه على الراس رفراف^(١٠)

طلت كن لاح لي بزوي المهدي

مثل اللي يزوح بروحه عالبعد ينشاف^(١١)

(٦) ويتعزى في هذا البيت ايضا ، ويعدد اسماء ويتساءل اين هي ، ويقصد طبعا ان الموت قضي عليهم جميعا .

(٧) تسكف : تهمل الدمع : جواز وارداف : اي ان الدموع تنهل ردافا وباستمرار .

(٨) جنين : الجنين ويقصد ولده . مدي : مد . اي ذهب ومضى يقصد انه مات .

(٩) اي انه قصد متهديا لصيدها - يعني ولده - وقد اصطادها وكانت الريح شديدة .

(١٠) حبر : جمع حبارة نوع من طيور الصحراء . والحر زايد بشدي : اي ان الحر ازداد بشدة .

(١١) نظرت واذا بهذه الطيور تلوح لي وكأنها هدأت من طيرانها وحطت لترتاح .

اخفيت حالي وقصدي اليوم جدى
 وشاعل فتيل وناهض له بالاكتاف^(١)
 كانت مفيضه ولا تغالط بيدي
 نار الذخير ، القلب في ثورته خاف^(٢)
 جيت ولن هدب عينه مندى
 وبيا جرح قلبي ما وصفه قط وصاف^(٣)
 شلته مفطى ملتقح فوق يدي
 من فوق شهري يقطع الدو بسلاف^(٤)
 وصلنا بدغوش وقلت يا ام فهد مدى
 وهاتي لقدر الين ما ناشه طراف^(٥)

- (١) حالي : نفسي ، يصف في هذا البيت وضعه عندما أراد اصطيد هذه الطيور فيقول انه اخفى نفسه واشعل فتيل البندقية ، ورفع اكتافه ليأخذ وضع الرامي .
- (٢) يصف في هذا البيت بندقيته فيقول انها لم تغالط يوما في رميها فهي دائما تصيب ولا تخطيء . وفي الشطر الثاني يخبرنا عن اطلاقها وان الذخيرة انطلقت بصوت يرفع القلب .
- (٣) جيت : جئت . ولن : واذا . يصف في هذا البيت كيف انه بعد اطلاق النار جاء الى مكان الطيور فرأى ابنه قتيلا . . فيصرخ بأن جرح قلبه لن يتمكن احد من وصفه .
- (٤) شلته : حملته . ملتقح : مرتى ، ممدد . يقول انه حملة فوق يديه وركب حمارا شهريا سريعا يقطع الصحاري بسرعة خاطفة ، والشهري نوع من الحمير القوية وقد اشتهرت قبائل صليب بهذا النوع من الحمير .
- (٥) دغوش : ظلمه . يقول وصلت الدار ليلا وقلت لام فهد - اي زوجته - هاتي قدرا لم يمت احد من اهله « يريد ان يعزيها » بأن الموت مر على الجميع .

- راحت ولاحت واكثر بالتصدي
وتقول عزراييل ماضن حدا عاف^(٦)
قلت لها دونك صيدة اليوم بيدي
يا صيدتي ما صادها لابي ولا اسلاف^(٧)
دونك فهد ما حد المودي
دونك فهد اليوم لديناه عاف^(٨)
رجاية بالعمر كن فات حدى
ولا باس ما قالوا عن وضحة بالوصاف^(٩)
طير المنيه بكل ديره مهدي
يشرف على دنياك بحقوق وانصاف^(١٠)

- ١٠ -

قال عبيد العلي الرشيد (*):

- (٦) يصف زوجته وكيف انها ذهبت وطرقت جميع الحي وعادت لتقول له بأن الموت زار جميع البيوت فلا يوجد اي بيت لم يميت به ميت حتى نطلب منه قدرا .
(٧) حينئذ قال لها خذي صيدنا لهذا اليوم الذي اصطدته بيدي ، وهو صيد لم يصطده من قبل لا ابي ولا أحد من اسلافي .
(٨) يقول لها هذا فهد ولدنا وقد عاف دنياه هذا اليوم .
(٩) رجاية العمر : رجائي بالعمر . يقول انه وان مات وحييدنا فرجائي ان نرزق بغيره فا زلت باول العمر وانت امرأة ولود لم يصفها احد بما يشين .
(١٠) يقول في هذا البيت ان الموت طائر يحط في كل مكان ، والموت حق ، وهو نتيجة حتمية لكل البشر .
(*) من فرسان البادية المشهورين وشعرائها الافذاذ ، نشأ في وقت تسوده الفوضى والاضطراب والحروب قائمة في كل بقعة من بقاع جزيرة العرب ، والقبائل تغزو بعضها البعض . وشاعرنا نشأ لذلك فارسا وبطلا

- ٣٥٦ -

يا الله ياللي تبدي الخلق وتعيد
والى بغيت امراً قضيت المرادي
يا الواحد اللي ترجاك ما تعيد
ومن هو بحرzk لايد ما يصادي
جوننا وحيناهم وصارت مطاريد
بيوم حصل به مثل يوم التنادي
لكن جدع الروس حذف الجلاميد
كرامة للي نصا الجيش بادي
يوم ان بعض الناس كسبه بواريد
تري كسبنا روس العدا بالعوادي
وردنا بربيع عقب الاقفا موارد
كن يحداهم من ورا الطعس حادي
وردنا بسمحين الوجيه الاجاويد
ونادا لهم من عند ربي منادي
خلوا جنايزهم سوات المجاليد
صوارم بايمان غوش الجهادي
يتلون حر داييم يغرس الصيد
خلى بديد الريش مثل الجرادي

من ابطال البادية ، وهو احد الدعائم التي استند اليها حكم آل الرشيد ،
وقد تولى امانة حائل بعد موت اخيه عبدالله العلي مباشرة سنة ١٢٦٣هـ .
ولكن لم يستمر توليه للامارة حيث تنازل عنها لابن اخيه طلال العبدالله
العلي الرشيد لان الاخير احق بها منه . توفي شاعرنا عام ١٢٨٢هـ . وقد
اختلف في مكان وفاته منهم من قال انه توفي في الرياض ومنهم من قال انه
توفي في حائل وقد بلغ من العمر عتيا .

جديم مصرعهم بشر باسق القيد
وامر لهم والى السما بالحصادي

اطياهم رميوا على صحصح اليد
كل على مضرب مطيحه ايفادي

شكر لمن حطه بروس النمايد
دوارة القنته على غير جادي

وشيطلع المملوك من وليه السيد
ومن خلجه الدنيا وحيه يسادي

وعن طلعة اللي فات بشر بتجديد
ورده شرايد بيضمهم بالحدادي

ليون حسنا ما تعرف التسايد
ونروى السيوف وان عرضه بالمعادي

يوم اعترضناهم بزوين وتهديد
عذره يبي منا يقول السدادي

تاht بصايرهم ادروب المواريد
ولا لهم من قايد الرشدهادي

وصلوا على اللي مهد الدين تمهيد
ما شيف فجر مع شفا الشرق بادي

- ١١ -

وقال محمد العبدالله الرشيد(*) في وقعة ياطب :

(*) احد امراء آل الرشيد وقل ان تجد واحدا من هذه العائلة الا وله
شعر يردده البدو وشعر أفراد هذه العائلة كله في الفخر اولحماسة والاعتداد

- ٣٥٨ -

عزى قلب كلما قرب الليل
عليه صارت الدقايق جلايل^(١)

اعتاض عن طيب الكرى بالتعالي
بافكار واذكار وقول وقايل^(٢)

والعين كن أبموقها يدرج الميل
عيت تطبيق النوم من فور جايل^(٣)

على بنى عمى سنادى عن الميل
نطاحة الكايد كبار الوهايل^(٤)

افقوا كما مزن ثقيل المخايل
من زاعج الغربى حدر له شعائل^(٥)

بالنفس عاش في أواخر القرن الماضي وبداية القرن الحالي . وآل الرشيد من الجعافرة وهم فخذ من عشيرة الدغيرات من عبده احدى البطون الكبرى التي تتألف منها قبيلة شمر وينتسب آل الرشيد الى عرار بن شهوان آل ضيغم . وقد حكموا حايل حوالي مائة وخمسين عاما وقد آل اليهم هذا الحكم بعد ابناء عمهم آل بن علي . وقد انتهت امارة آل الرشيد على يد الملك عبدالعزيز العبد الرحمن الفيصل السعود ، وآخر من حكم من آل الرشيد هو عبدالعزيز الرشيد .

وهذه القصيدة نسبتها صاحب ديوان النبط الى العوني وقال ان العوني قالها على لسان ابن الرشيد ، في حين ان كل من قرأها لي من البدو الذين التقيت بهم نسبتها الى ابن الرشيد .

(١) يا من يعزى قلبا كلما قرب الليل طالت اوقاته .

(٢) اسهر اتفكر واميز بين قيل وقال .

(٣) والعين كأنها تضرب بميل الدواء عجزت تطبيق النوم من فوران

قلبي .

(٤) سنادى : سندي الذين يدفعون المكروه عني بطعنات كبار

بالاعداء .

(٥) راحوا كما يروح السحاب تشتعل بروقه .

مُصمر مقابيس المنايا هل الخيل
عصم الروايا مقحمين الدبايل^(٦)

يا دار وين اهل المهار المشاويل
أهل النزول اللي تعز النزائل^(٧)

بكيتهم يوم ارتكم فوقي الشيل
وذكرتهم يوم اقبل الضد صايل^(٨)

وصاح الصياح وطوحن الهلاهيل
وهلت دموع امعكرشات الجدايل^(٩)

وقلت ابشرن ما دام بالعمر تمهيل
ما دام ما رزت على النصايل^(١٠)

لا تبكن الوحده وقل الرجايل
ما دام عين الله علينا تخايل^(١١)

وظهرت أنا باسم العصاه المشاكيل
لو هم قليل يدركون الجمائل^(١٢)

(٦) شمر ولعة الحرب ورجالها • آراؤهم وجيوشهم متقدمة •

(٧) يسأل الديره عن أهل الخيل اهل البيوت الكبار مكرمين

الضنيف •

(٨) ذكرتهم يوم ثقل على الحمل ويوم جاءني اعدائي وقد كانوا

يدافعون معي صوله الصائلين •

(٩) وصاح صياح الهجوم وزغردت النساء وبكت زينات البنات على

الرجال الذين يمنعون العدو عنهن •

(١٠) قمت ابشرهن ما دام راسي باقيا وما دمت لم ادفن ولم تنصب على

قبري الحجارة •

(١١) لا تبكين قلة الرجال فنحن بعدن الله نحميكن •

(١٢) طلعت بما عندي من الفرسان وهم رغم قلتهم يحصلون الجميل •

هم حاصلني لاكملن المحاصيل
 غوش الجبل خزني غلامين حايل (١٣)
 باعوا عزيز العمر دون المظاليل
 وحموا حماها مقدمين الفعايل (١٤)
 قالوا عليهم قلت زجي هل الخيل
 وقهرتهم غصب وردوا غلايل (١٥)
 واديت هجن يقربن المحاويل
 هوج هجاهيج هجاف نحاييل (١٦)
 علاكم تطرب اقلوب المراسيل
 خفقات رفقات صلاب جلايل (١٧)
 قلايص عوص صعاصع شمالييل
 من سلسلة نسل السباق السلايل (١٨)
 الصبح مدن كنهن جولة الرييل
 عوص علت من فوقها ارجال حايل (١٩)
 وصبح اربع تلقى نزول كما الليل
 شمر الى عدت فروع القباييل

-
- (١٣) هم رأس مالي عيال حايل خزنتي وقت الحاجة .
 (١٤) باعوا نفوسهم دون نسائهم وحموها كما هي عادتهم .
 (١٥) قالوا عليهم : أي اهجموا عليهم . قلت زجي هل الخيل : اي
 اصبروا ايها الفرسان .
 (١٦) قربت لهم ابلا حمرا نحيلات من كثر السرى :
 (١٧) تخفق مثل الطيور رفيفات صبورات من كرايم الابل .
 (١٨) قلايص ناشفة لحومها ، عوص : قويات : صعاصع يرقلن
 بمشيهن . شمالييل : كرايم ، من اصل معروف .
 (١٩) انطلقن صباحا مثل القطار ، فوقهن اولاد شمر .

أدنى بالادنى خبروهم بتفصيل
لا تسفهون اصغارهم والحمايل^(١)

ولازم الى شافوا اركاب مقاييل
تلزهم النشدات عن سكن حايل^(٢)

قولوا لهم يا معتلين على حيل
نجد وهلهما يطلبون الاوايل^(٣)

جوناهل العارض بقوم كما السيل
يبغون دار هابها كل عايل^(٤)

وجرى لنا يوم ياطب به الشيل
يطيح ما تشي عليه الرحايل^(٥)

وضفا على عكاش مثل الهمايل
وردوا عليهم كاملين الخصايل^(٦)

وان كان هم قفوا ستة مخايل
يا طول ما حنا لهم بالاوايل^(٧)

-
- (١) خبروهم وفصلوا لهم عما وقع كبيرهم قبل صغيرهم .
(٢) وهم من عادتهم اذا جاءهم رسول اجتمعوا لطلب الاخبار .
(٣) قولوا لهم نجد تطلب النجدة . حيل : جمال سمينات لم
تحمل .
(٤) أي يريدون دخول حائل التي هابها كل عائل : أي معتد .
(٥) جرى بيننا وبينهم حرب طاحنة . وياطب : اسم محل بالقصيم
حصلت فيه المعركة .
(٦) وطلع الغبار على جبل عكاش قرب حائل مثل المطر ورد عليهم
أهل حايل ومنعوهم .
(٧) يعترف بأنهم اخذوا بعض الحلال من الابل ، ولا بد اننا ندرك الثأر .

- وين الطنايا ؟ وين شرابة الهيل ؟
 وين الحيود اللي تشيل الثقايل ؟ (٨)
 وين السيوف اللي تعدل عن الميل ؟
 وين الرماح اللي نحت كل عايل ؟ (٩)
 وين النشامى والعصاة المفاليل ؟
 وجميع من ضربه نضيع الدلايل ؟ (١٠)
 شرابهم صافي القراح الشهايل
 ومنزالهم غضب على كل طايل (١١)
 غلبا ! ترى بلدانكم لبست النيل
 تتخى الرجال امكرمات الأصايل (١٢)
 تتخى هل العاده كرام الاسايل
 يوم التغازى والدخن له صلايل (١٣)

-
- (٨) وين الطنايا هذا الاسم مخصوص لشمر والطنا الزعل : وين شرابه القهوة وين الجبال الي تشيل ثقيل المسئوليات بقلوبها .
 (٩) أين السيوف التي تجعل المايل عدلا وأين الرماح التي تبعد كل معتد عن بلادنا .
 (١٠) النشامى : كل شجاع فدائي يجود بنفسه وجموع تضيع قلوب الاعداء بفعلها .
 (١١) الذين يشربون اذا وردوا رغما عن الاعداء وينزلون في الاعالي والشهايل : الماء البارد .
 (١٢) غلبا اسم من أسماء شمر لغلبتهم على عدوهم كما يقول الشاعر .
 ترا بلادهم لبست النيل أي السواد اذا لم تحموها بخيل وجيش .
 (١٣) تنخا : تحت . الاسايل : الشوارب . الدخن : البارود .
 صلايل : صوت .

قلته وانا معكم على العدل والميل
لعل ما نعتاض عنكم بدايل^(١٤)

تمت وصلوا عد وبل المخايل
على نبي الحق ما زال زایل^(١٥)

- ١٢ -

قصيدة لمشعان بن هذال (*):

يا الله بتعريف الهيايب والادوار
شانك عسى تعريف شانك لنا خير

يا الله يا عالم خفيات الاسرار
ما معني بالخلق والي المقادير

قلته ونوم العين عن جفنها طار
والقلب كنه فوق حامي المجامير

وهلت ادموع العين من شوفها الدار
سكانها الاجاب هم والبقاير

من عقب ما حنا بها مثل الازوار
نامر ونهني نحمي الجار ونجير

(١٤) يقول : هذا كلامي وانا معكم على الخير والشر عساى ما ادور

فيكم بديل .

(١٥) صلاة الله على نبينا كل ما هل المطر وزال الشبيخ والزول .

(*) هو مشعان بن مغيلث بن هذال شيخ عنزه واحد فرسانها

المشهورين . كما وانه من ابرع شعراء عصره في الحماسة والاعتداد بالنفس

عاش الشاعر خلال حكم الامام تركي العبدالله السعود آل مجرن وادرك بداية

حكم الامام فيصل بن تركي العبدالله السعود وقتل في عهده سنة ١٢٦٦

للهجرة .

حامنها في لابة تسقي الامرار
عدوهم ما يختسب بالمخاسير
ولولا شفاتي فيك يا نجد ما صار
أنادي نذيرات الهواجيس وانذير
وندير حيلات بالاريا وتصار
وارجى من الباري عساها مسافير
ولابد ما ناتني لا باتات زوار
بأسلاف عجلات تعدى المظاهر
يهومن هومات بعيدات واعسار
وكم ذيرن من واحد ما بعد ذير
كم فاجن العدوان غرات واجهار
والى اتون كم يسبقن من معاير
ضعائين حطن ملك بسنجان
وين على الخابور زين الدواير
تواهلن الدور حصن لهن كار
وامن البطين الى الرها والمعاير
نامر ونهي ما نداري بها ادوار
ونهدي العاصي بخسر ومخاسير
ومرن على الشنبل وحطن لهن كار
وخذن خضرات بسيف وتدبير
هم اتون مع كفة الشط حدار
هم اتحن مع روس هالك العناقير

واقفن وگالن من شثانا بالاستعار
وحطن للموم المسمى مصادر
واقطن ينوون الخطايط بالاقفار
يطيرن جيشان الجبارى المخامير
وخلف فوق الشبك عج الرمك طار
واحلوهك اليوم خز المغاير
وحطن على ورد الدجاني لهب نار
وغدوا بها الريلان مثل الداوير
وابا ذراع اصبح امقيم على الدار
واقطن حلال المحمره والمسامير
وشدن وحطن الثمامي بالاسار
وخلن على المطران مثل المعاصير
باغي عليهم جارى مثل ما صار
ذبح الشفايا والغنم والمظاهر
كسيرة ما قط عدت بالاذكار
وابها القلايع كنهن الخنازير
وفهدن بالجير وداسن بالاشوار
وجاهن كتاب من زبون المعاصير
من ماجد (ابن عريعر) حر الاوكار
يقول وليت داركم يا المناعير
وجينه مثل السيل طمام الاوعار
ليما غدو عنه البوادي شعائير

رفاقه واللي حذانا لهم جار
وحنا عليهم نحمي الجار ونجير
وصحنا عليهم صيحة تجلي الامرار
من ابواب للحير السبايا مقادير
اولاد عم وعندنا غيرهم جار
وشيوخ لنا عنده جلال وتقدير
وحنا شبات الحرب وان شبت النار
وتفازعت بين الجموع المشاهير
وخاهل الجمع السما الى سار
مركاضنا يشبع به السبع والطيير
وصلاة ربي عدما بالهوى طار
وعدما وردن ظمايا على البير

- ١٣ -

قصيدة لراكان بن حثلين (*):

يا ما جلا الفنجال مع سيحة البال
في مجلس ما فيه نفس ثجيله^(١)

(*) هو راکان بن حزام بن حثلين زعيم قبيلة العجمان . كان فارسا شجاعا وشاعرا فذا من طراز عبید العلي الرشید ومشعان بن هذال . وهو من القلائل الذين قضوا مضاجع الاترك ولم يهدأ لهم بال حتى قبضوا عليه ونقلوه مخفورا الى تركيا حيث قضى عدة سنوات في المنفى مسجوناً وقد اطلق سراحه لعمل بطولي قام به ساعد فيه الجيش التركي من الانتصار على الجيش الروسي في احدی المعارك . توفي الشاعر سنة ١٣١٠ للهجرة .
(١) ، (٢) ، (٣) ، (٤) ثجيله ، جليله ، الجبيلة ، الصجيله : معناها على التوالي ، ثقيلة ، قليلة ، القبيلة ، الصقيلة .

هذا ولد عم وهذا ولد خال
وهذا رفيح ما لقينا مثيله

يا ابو هلا طير الهوى خبث البال
طبعه خبيث والجبارى جليله

يا الله يا للي طالبه ما بعد قال
يا للي من الضيقات ينجي دخيله

افرج لمن قلبه غدا فيه ولوال
والنوم ماجا عينه الا جليله^(٢)

الى من ذكرت ارموس عصر لنا زال
شوف الفياض وفقد عز الجيله^(٣)

يا زين شدتهم الى وزع المال
يتلون براق تلالا مخيلة

يتلون براق سمر يشعل اشعال
تلقا التريبي فايض عقب سيله

يسقي اخيفا والثمان ارضهم سال
مرتع معطرة السيوف الصجيله^(٤)

من حمو ساقات الى السيف همال
وينوش حسنا والرديفه مثيله

فان قادنا من يمة القفر خيال
يصبح شديد البدو عجل رحيله

قاد السلف واستجنبوا كل مشوال
وبالقصر يا محلا تخطيط نزيله

فان شرف البادي على روس الاقذال
والمال كثير الزول محمي جفيله

تلامحت ما بينهم شهب - الاذبال
ومن ضيع المفتاح واعزتي له
ركبوا على طوعاتهم كل عيال
كل ابلج يحري بكسب النفيله
تفازوا المفزاع ذربين الافعال
من قبل سبق غارته تتشي له
يبغون طوعة روسهم حين الادمال
تفازو واخلاق كثير هجيله
ان جا الكمي من دون عطرات الاجهال
مرقوا ولحقوا مقحمين الديله
واللي تشوا كلهم تلبس الشال
ومن صنع داود ابشوت ثقيله
لزم عليهم علة عقب الانهال
ومن غارته لزم يضيع دليله
واندم من قصى الرمك يشعل افعال
يزعج على اوراك السبايا وشيله
هذي راعيها من المعرقه مال
وهذي نكلها مطرق ما تشيله
من وقع كل امجنس جدله افعال
وفروخ صادن الجباري فضيله

قصيدة لمحمد بن سعود بن فيصل (*) :

بديت ذكر الله على كل شائي
ومن وحد الواحد على الرشد له فن
وخلاف ذا يا راكبين السماني
اكواعهن لزوارهن ما ينوشن
قطم الفخوذ ، موررات المثاني
بتر الفخوذ اذ يالهن مثلهن هن
ورقابهن مثل الجريد اللياني
شبه ادامي بالسهل يوم ينحن
يا زين سوق اعصيهن باليماني
من قصر جدي يا سعد وين يمسن
باسفل شعيب اسدير عند الشباني
ان نوخوهن اقترن هن واهلهن
عند الفريد امعزب مرجباني
كل يقول ابجرتي ما يفوتن

(*) هو الامير محمد بن سعود بن فيصل والد الامير سلمان بن محمد
اشتهر بالشجاعة والاقدام توفي في مطلع هذا القرن . وقصيدته هذه من
أشهر القصائد التي قل ان تجد بدويا الا ويحفظها أو يحفظ شيئا منها .
ويبدو أنه كان مقلا اذ أننا لم نجد له الا هذه القصيدة ، ولهذه القصيدة
قصة نرويها بايجاز : عرف عن الامير محمد انه كان جميلا جدا حتى انهم
لقبوه بـ « غزالان » وقد غلب عليه هذا اللقب - وغزالان صيغة مبالغة من
« الغزال » - وقد بعث له محمدا العبدالله الرشيد امير حائل قصيدة - أيام
كانت الحروب مشتجرة بين آل الرشيد وآل السعود - غمزه فيها بجماله
فرد عليه الامير محمد بهذه القصيدة الجوابية أو بالاحرى « النقيضه » .

يجري لهن بالبن زين الاواني
ومهاج يطرب له البال لا جن

يا سايرين قبل وقت الاذان
قبل الطيور لرزقهن ما يطيرن

الى اعتلتوا من كبار المثاني
عوجوا رقاب اركابكم لا يخفن

لا روجن مع جال دو دناني
خوف الزمل ما لاج بقلوب اهلن

يلفن أخو نوره منجي الحصاني
ولا لفتنه جعلهن لا يردن

مومي الهشال الخلا بالرداني
لولا طواع بايع التبن والبن

لا يحسبني عن لقاء امتواني
ناحية وبغاتيهِ لزمًا بلا من (١)

لو كان في برزان زين المباني
ان سلم راسي والهبايب يهبن

حياة رب البيت مغن البناني
يا جموعنا واجموعكم بي يتلاقن

وهذي دار لابونا من زمان
اعرف ترى سن اللبن يقلعه سن (٢)

(١) وبغاتيهِ : وأبتغي ان آتيه ، يريد : أود أن اجيء اليه .

(٢) يروى هذا البيت روايه اخرى هي :

الجاز يعبا للضروس المثاني وافطن ترى سن اللبن يشلعه سن

واتو شيوخ من قديم الزمان
مار انكصم مفراكهها والسعد كن

حتيش يا نقالة الشيشخاني
معا افرنجي للالواح يشفن

الناس مثل الناس ما غط بان
ومن قال انا الطيب يعديه ابن من (٣)

الشين ما يدقم شابة السنان
والزين ما يقصر ايدين يطولن (٤)

الى اجتمع زين وفعل اليماني
لذة نعيم بالحشا ون توافن (٥)

الى اعتليت اقطى بنت الحصان
عيب على احرافهن لين ينحن (٦)

اضر بحد السيف وارخ العناني
لين العدارى يا سعد لي يعذرن (٧)

(٣) وقد روي الشطر الاخير :

ومن قال انا الطيب ايعايبه ابن من

(٤) وروي هكذا :

الزين والشين

(٥) وروي :

الى ابتغى زين وفعل بيان لذة نعيم بالجسد ون توافن

(٦) وروي أيضا :

الى اعتليت اقطى بنت الحصان عيب على احرافته لين يقفن

(٧) وروي صدر البيت هكذا :

اضر بحد السيف هو والسنان

ذا قول من لاهوب ولدة هداني
ولدة شجاع من شجاع علي فن

على رأس فيه مثل النواني
مثل العشق في ليل غدرا يصبن

رسم ابهامة نادر زعتراي
رسم ابهامة نادر يقلع السن

وهذا الجواب اللي ظهر من لساني
والامر لله والسبب نفعه حن

- ١٥ -

من قصيدة لراشد الخلاوي (*) :

يقوم الخلاوي الذي ما يكوده

جديد بنا من غاليات القصايد

(*) الخلاوي : من اقدم الشعراء الببدو الذين وصلنا شعرهم ونحن لا تعرف بالضبط مولده أو وفاته ، فتاريخه مجهول ، وليس بين يدينا ما يجلي هذا الغموض وكل الذي نقدر ان نقوله انه عاش في القرن التاسع الهجري لانه كان ملازما « لمنيع بن سالم بن عريعر » احد شيوخ الاحساء ورئيس الخوالة وقد عاش هذا الاخير في ذلك القرن . والمعروف عن هذا الشاعر انه من قبيلة « صليب » وقد كان عالما بمواسم الامطار ومواطن هطولها ، ملما بعلم النجوم ومواقع البروج والفصول الاربعة وهبوب الرياح . والخلاوي لقب لحقه لانه كان يجوب الفيافي « خلاويا » أي وحيدا يمتاز شعره بالمعنى الرصين والحكم وبعض الآراء الفلسفية البسيطة - اذا جاز لنا القول - لذا كان شعره مرغوبا عند الناس ولولا ذلك لما بقي لنا من شعره شيء لطول المدة بيننا وبينه ولو لم يقل في مطالع قصائده (يقول الخلاوي والخلاوي راشد) لتعذر علينا أيضا نسبة هذه القصائد له أو لغيره . ومن الملاحظ انه في ذلك يسير على نفس الطريقة التي ذكرها ابن خلدون عند حديثه عن هذا النوع من الشعر ، ولغته بصورة عامة اقرب الى الفصحى من شعر المتأخرين .

- ٣٧٣ -

قصايد لابـد الرـدا تستفيدها
لازا غريم الروح للروح صايد

لعل الذي يروونها يذكروني
بترحيمة تودع اعظامي جرايد

اوصيك يا اولدي اوصاة تظمها
الى عاد مالي من مدا العمر زايد

وصية عود ثلاثة رجله العصا
وقصرت اخطاه من عقب ما هي بعايد

وصية عود زل حلو شبابه
وعاينه بالدنيا وعانك واحد

بيديك يا الغالي على شف نفسه
شفيق من ايام الدخا عنك ناشد

لا تأخذ الهزلا على شان مالها
ولا تقبس من نارها بالمواقد

لا تأخذ الا بنت قوم حميدة
عسى ولد منها يجب الحمايد

ايجازى الراعي الحساني بمثلها
ويجازى الراعي النكد بالنكايد

ولا تتجي بخصلة ما بها لك ذرا
ولا تنزل الا عند راعي الوكايد

ولا تخيب المنيوب الى جاك عاني
واياك يا ولدي ومطل الوعايد

ايك اتسوّى بي اسواتي بوالدى
واتا على غيره برى الزوايد
فلي من جديم العمر نفس ريفعه
اعض على عصيانها بالتواجد
جد الزمتها ما كان خوف الى بقا
على من ايام الردا ان تعاود
فيا طال ما وسدت راسي نكاده
من خوفتي يعتاد لين الوسايد
فمن عود العين المنام تعودت
أو عود العين المسارى اتعاود
ومن عود القوم المناعير مطمع
تلو بالانضا والجياذ العدايد
ومن عود الصيان اكل ابّيته
عادوه في عسر الليالي الشدايد
ومن عود الصيان ضرب بالجنّا
نخوه يوم الكون يابا العوايد
ومن كثر الطلعات للصيد ربما
يوافيه عرات يجي منه صايد
الايام مابقا منها كثر مامضا
والاعمار ما اللي فات منها ابعاید
نعد الليالي والليالي تعدنا
والاعمار تفضا والليالي ابزاید

الى دقت الوسط الحزام تذكرت
زمان مضا ما هو لمثلي بعايد
فلايد ما سحم الظهور اتحوفني
ليل ولا لي عن لقاهن بزاييد
ويمشعن هبر من الظهر كنه
خبايب افعى بين حذب الجرايد
فقلت العواد منا هاشل الخلا
الى جو يدزون المطايا البلايد
فيا عيد يا عواد ان شاملت بكم
اكبار الهوادي ناحلات المقاوود
كفرق القطا صفر الحلاقيم ساقها
سموم من الجوزا كحامي الوقايد
وجزت الدياميم الذي مد لهمه
وطيترت بالظلمة اقطا اللوابد
على عيد هي أو على عيد هيه
حداكم ما بين التجيرين قاعد
يته يسل القيظ فيها اسيوفه
على الحي الا الجازيات الرواغد
بها القوم تقسم الانطاف على الصفا
لايست الصلان الا زهايد
يزيد نجيب الخال فيها جلاده
وتزداد فيها اللاميات الجلايد

الى ما لفتوا بالمطايا تقيدوا
لدا من تقا راياتها بالحداي
فجعلي بها لاعاكك الله بالنيا
فجبل المنايا للبرايا قلايد
تفكر يا ميمون في ربع ومنه
خلا ربعها من حين يا ابن قايد
دار لكن الحي ما وقفوا بها
ولا شبوا فيها جحيم الوقايد
شمالي اعطاف النقا من تقيد
سقاها الحيا سيل الرعود الشواهد
وقل يالينا انقدم التي مضت
بالاقبال هل لي في لقاكم عايد
قل الله قد شفت الصخي ابن سالم
منع ومن حاش التنا والفوايد
تطاوخته الايام لين اودغنه
يشد على ثلب قصيف البدايد
يشد على ثلب وهو كان قبل ذا
على ظهر الجدعا يدور الفوايد
وهو كان في ماجد مضى من زمانه
جميل التنا من حامدات وحامد
وهو عجيد الركب لولاه ماغزوا
ولا نسفوا بكوارهن الجواعد

ودليل عوص الناجيات الى اختفت
معالمها والنايات الفرياد

والى بغى يمضي على العزم وانتوى
اخذ راي الف وانتقا منه واحد

يا طول ما ردهم جاهلية
يفجي الشباعن كوكب ماه بارد

قل ما منيع كاسب الحمد والتنا
الى ما القنا الوت عليه المطارد

يا ابن النداء جالي الهم ان طووا
على عد من بعض الجلاعيد صايد

ابزرقا لاهلها ماطهاها وساقها
مع الحكم نقض من بنان وساعد

فمن مفجبات الشيب في لمة الصبا
الى مالفا من رمعة السو زايد

قل الله لي من رمعة يابن سالم
لها حادر قلبي اهموم وصاعد

لفاني بهالاساعد الله ركبته
الى ساعد الركبان مع من يساعد

على شان سلطاني عقيل كميتهما
زمان القسا يشفي قراه الولايد

سريع القرا للضيف في ليلة الشتا
وعيد المقاوي سيد الناس ماجد

قوى اوساع السمط في كل مسغه
تعدا بها نسل القيام الولايد

ذوى من يلبي الضيف في مدلهمه
من الليل والما في مغاينه جامد

يقوم ابها عن مجضع الليل متون
ذبحه اسمان عن لقاح الجلاعد

يهلي بضيفه بالنيا حينما لقا
عن العذر دون اللوايا الزهايد

منا خاظر الظلما والايدي لكتها
اعصاب من اثار السيوف الحدايد

فمن عاش بالدنيا يرى يابن سالم
كريبه الليالي والامور الشدايد

ومن ساعده الايام ادمجن حبله
وينقضن في جبل الذي ما يساعد

كفا الله ذاك الوجه نار من اللضا
بحق المصلي والدعا في المساجد

يامن غذا من حرة عامريية
سماوية نمرا الذراعين صايد

الى اضربت ما تضرب الا امتونها
بيوم على منصاه للصيد جالد

وليس يعطي بالايادين صيدها
ولو عضنا دهر بناب وناجد

سوا عندها مراتع او مديرا
او ما يتنازا بالحزوم البعيد

فجا ميمر يا طال ما صبح العباد
على الهجن والخيال الجياد العدايد

يعتها للضد ثم اريدها
بالارسان كرم والنضا كالجرايد

بشر وبلا شر من صبح العباد
حفايا ومنها ناقضات البلايد

يتلن كالقصاص يوم جرا له
هموم ويوم راج فرح وصايد

لكنه على ميرادها حين يعتدي
على الضد من بين الفجوج البعايد

قطامي فتا يا طال ما ناش نوشه
بلج الهوا في مرهفات الحدايد

تري الثنا يابن اكلب على القتي
امكاد كما بالعين شيوك الكتايد

فلا واخيللي الذي يعطي الغنا
وخلف العطا منه الرجا بالوعايد

ترا ان كان جدما توافيا طول ماملو
مزاود اضيوف من جراه القواصد

وان كان هي مالت فيا طول ماملو
اطبون اليتامى في السنين الشدايد

اوى صبح كرمته احد جوعيهما زيبدا وبها
تعادا بها يسمع الوجوه الولايه
يشور عمود الصبح ماشيل فضله بته ربه
ذا صادر منها وهذاك وارد
بجوزية ما يبرح الضيف فوقها بلقة فنهسة
كما الثاقب المتقاد بين البدايد
فقولوا لبيت الفقر لا يأمن الغنا
وبيت الغنا لا يأمن الفقر عاييد
ولا يأمن المظهود قوم تعوزه
ولا يأمن الجمع العزيز الظهايد
واد جرى لابد يجري من الحيا
ان ما جرى عامه جرى عام عاييد
ومنها:

متى ما الثريا مع سنا الصبح وايقت
على كل خضرا علقته بالسنايد
من عقبها فرخ كما نجم متلي
على الشوف تليها بمشيه ايمايد
بوارح الجوزا ربت فيها سرها
تخالف الالوان بين الجرايد
الى ظهر المرزم شبع كل كالف
من الغين ونحن الليالي الشدايد

نجم الكليين الذي يرشف الجسم
يفور فيه ماء العيون الوكايد

والى مضى عقبه ثمان مع اربع
الخامسه طالع اسهيل يحايد

تشوفه كقلب الذيب يلعيج ابنوره
امويج على غراة حذب الجرايد

الى غابت النسرين بالفجر علقن
مخاوف من بين عوج الجرايد

والى مضا واحد وخمسين ليلة
لا يامن المامن خفوق الرعايد

غذا القيظ نحن السبايا ولا
من الضيف لا مرجفات العلايد

من لا يسجي كنت القيظ زرعه
فهو مفلس منه ليالي الحصيد

ومنها:

وصلوا على خير البرايا محمد
ما ناح ورق فوق حذب الجرايد

وليست هذه القصيدة هي كلها وانما جزء منها لانها على ما يقال
تتجاوز الالف بيت ولكن مالا يدرك كله لا يترك جله •

المراجع

« ١ »

- الابدال : أبو الطيب عبدالواحد بن علي اللغوي الحلبي • منشورات المجمع العلمي العربي بدمشق
- الادب الشعبي : أحمد رشدي صالح • القاهرة
- الادب الشعبي : عبدالحميد يونس • محاضره ، من مطبوعات جامعة القاهرة
- الادب الشعبي في جزيرة العرب : عبدالله بن خميس • الرياض
- الارشاد « ارشاد الاديب » : ياقوت الحموي
- أسماء جبال تهامة وسكانها : عرام بن الاصبع السلمي • سلسلة نوادر المخطوطات • القاهرة
- الاصمعيات : عبدالمك بن قريب الاصمعي • نشرها وليم بن الورد • طبعة لبيزغ •
- الاصمعيات : تحقيق أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون • القاهرة
- الاضداد : أبو الطيب عبدالواحد بن علي اللغوي الحلبي • منشورات المجمع العلمي العربي بدمشق
- الاضداد : محمد بن القاسم الانباري • الكويت
- الاغاني : أبو فرج الاصفهاني • طبعة ساسي ، وطبعة دار الكتب ، وطبعة بيروت
- الامالي : أبو علي القالي • دار الكتب • القاهرة
- انيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء : نشره الاب لويس شيخو • المطبعة الكاثوليكية
- انساب السمعاني : السمعاني

« ب »

بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب : محمود شكري الألوسي • تحقيق
بهجت الاثري

البيان والتبيين : الجاحظ • تحقيق عبدالسلام محمد هارون • القاهرة

« ت »

تاريخ الادب العربي : بروكلمان • ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار •
القاهرة

تاريخ الآداب العربية : كارلو نالينو • نشرته مريم نالينو • القاهرة

تاريخ الادب العربي : ريجيس بلاشير • تعريب ابراهيم كيلاني • دمشق

تاريخ العرب : فيليب حتي • بيروت

تاريخ العرب : جواد علي • مطبوعات المجمع العلمي العراقي • بغداد

تاريخ الشعر العربي : محمد نجيب البهيتي • القاهرة

تاريخ شرق الاردن وقبائلها : العقيد ج. بيك الانكليزي • ترجمه بهاء

طوقان • القدس

تاريخ اللغات السامية : اسرائيل ولفسون • القاهرة

« ج »

الجمهرة : ابن دريد • حيدر آباد الدكن

جمهرة اشعار العرب • أبو زيد بن ابي طالب القرشي

« ح »

الحياة الادبية في جزيرة العرب : طه حسين • دمشق

الحياة العربية من الشعر الجاهلي : أحمد محمد الحوفي • القاهرة

الحيوان : الجاحظ • تحقيق عبدالسلام محمد هارون • القاهرة

« خ »

خمسة اعوام في شرق الاردن : القس بولس سلمان : مطبعة حريصا بلبنان
الخصائص : ابن جني • دار الكتب • القاهرة

« د »

ديوان الاعشى : الطبعة الاوربية • نشره رودولف جاير
ديوان الاعشى : الطبعة المصرية • الدكتور م • محمد حسين
ديوان امرىء القيس : السندوبي • القاهرة
ديوان امرىء القيس : تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف •

مصر

ديوان الحماسة : أبو تمام • شرح التبريزي • القاهرة
ديوان حسان بن ثابت : محمد شكري المكي • مطبعة الامام • القاهرة
ديوان ذي الرمة : الطبعة الاوربية • تحقيق كارليل هنري هيس مكارنتي •

كامبرج

ديوان زهير بن ابي سلمى : طبعة دار الكتب المصرية • القاهرة
ديوان طرفه بن العبد : شرح الاعلم الشنتمري • الطبعة الاوربية
ديوان عبيد بن الابرص : تحقيق الدكتور حسين نصار • القاهرة
ديوان عبيد بن الابرص : الطبعة الاوربية • تحقيق وجمع السير تشارلس
ليال

ديوان لييد : طبعة لييدن • الدكتور هابر
ديوان لييد : تحقيق الدكتور احسان عباس • الكويت
ديوان المتنبي : شرح الواحدي • الطبعة الاوربية • نشره فريدريك
ديتريشي • برلين

ديوان المتنبي : شرح العكبري • الطبعة المصرية

دائرة المعارف : البستاني افرام • بيروت

« س »

سبائك الذهب : السويدي • القاهرة

« ش »

الشعر عند قبائل الروله : أحمد حسن الخطيب • بحث لم يطبع

شرح ابن عقيل : تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد • القاهرة

شرح النقائص : الطبعة الاوربية • لندن

شرح شواهد الشافيه :

شرح القصائد العشر : شرح التبريزي • تحقيق محمد محي الدين

عبدالحميد • القاهرة

شرح المعلقات : شرح الزوزني • طبعة بيروت

الشعر والشعراء : ابن قتيبه • الطبعة الاوربية • لندن

شرح اشعار هذيل : تحقيق عبدالستار أحمد فراح • القاهرة

شرح اشعار الهذليين : الطبعة الاوربية • لندن

« ص »

الصاحبي : ابن فارس • مؤسسة بدران • بيروت

صبح الاعشى : القلقشندي • القاهرة

صفة جزيرة العرب : الهمداني • القاهرة

الصحاح : الجوهري • القاهرة

« ط »

الطراز : ابن سناء الملك

« ع »

- العبر (تاريخ ابن خلدون) : ابن خلدون • طبعة بولاق ، وطبعة بيروت
العربية - دراسات : يوهان فك • ترجمة عبدالحليم النجار • القاهرة
العمدة : ابن رشيق القيرواني
العقد الفريد : ابن عبد ربه • لجنة التأليف والترجمة والنشر • القاهرة
عشائر الشام : وصفي زكريا • دمشق
عشائر العراق : عباس الغزوي • بغداد
العصر الجاهلي : شوقي ضيف • دار المعارف • القاهرة

« ف »

- الفلسفة اللغوية : جرجي زيدان • القاهرة
فقه اللغة : الدكتور صبحي الصالح
فقه اللغة : الثعالبي • القاهرة
فن التوشيح : الدكتور مصطفى عوض الكريم
فن الشعر : الدكتور محمد مندور • القاهرة
في الادب الجاهلي : الدكتور طه حسين • دار المعارف • القاهرة
في الادب الاندلسي : الدكتور جودت الركابي • دمشق
في اللهجات العربية : ابراهيم انيس • القاهرة

« ق »

- القاموس المحيط : الفيروزبادي • القاهرة
قلائد الجمان : القلقشندي • القاهرة
القلب والابدال : ابن السكيت • طبع ضمن الكنز اللغوي • نشره
المنشئرق هفتر • بيروت

« ك »

- الكامل : المبرد • القاهرة

الكتاب : سيويه • القاهرة
كتاب الحماسة : البحرى • القاهرة
الكشاف : الزمخشري • طبعة بولاق • القاهرة

« ل »

لسان العرب : ابن منظور • طبعة بولاق • وطبعة بيروت

« م »

مجالس ثعلب : تحقيق عبدالسلام محمد هارون • القاهرة
مجلة المجمع العلمى العربى : المجمع العلمى العربى بدمشق • ج ٢
مجلد ٢٨

مجلة المشرق : بيروت

المخصص : ابن سيدة • طبعة بولاق • القاهرة

المزهر : السيوطى • القاهرة

ما رأيت وما سمعت : خيرالدين الزركلى • القاهرة

معجم الشعراء : المرزبانى • نشره كرنكو • القاهرة

معجم الشعراء : المرزبانى • تحقيق عبدالستار أحمد فراح • القاهرة

معجم قبائل العرب : رضا كحاله • دمشق

معجم البلدان : ياقوت الحموى • القاهرة

المعلقات العشر : الشنقيطى • المطبعة الرحمانية بمصر

مطالع السعود : مخطوط فى مكتبة الاوقاف ببغداد

الموشح : المرزبانى • القاهرة

« ن »

النشر فى القراءات العشر : أبو الخير محمد بن محمد الدمشقى • القاهرة

النوادر : أبو زيد • بيروت
النوادر : أبو مسحل الاعرابي • منشورات المجمع العلمي العربي بدمشق
نهاية الارب في معرفة اسباب العرب : القلقشندي • القاهرة

« ه »

الهوامل والشوامل : التوحيدي ومسكويه • القاهرة

« و »

الوصف في الشعر العربي : عبدالعظيم قناوي • القاهرة

« ي »

يتيمة الدهر : الثعالبي • القاهرة

★ ★ ★

المراجع الاجنبية

1. Capitaine Raynaud et Médecin - Major Martinet, les Bédouins de la Mouveuce de Damas 1922.
2. Commandant Victor Muller, en Syrie avec les Bédouins. Paris 1931.
3. Les tribues nomades et semi-nomades des états du levant placés sous mandat Français 1930. Beyrouth.
4. P. Jaussen et Savignac Coutumes des Arabes en pays de Moabe 1939.
5. Farmer. A History of Arabian Music.

Faint, illegible text at the top of the page, possibly a header or title.

Faint, illegible text in the upper middle section of the page.

Faint, illegible text in the middle section of the page.

Faint, illegible text in the lower middle section of the page.

Faint, illegible text in the lower section of the page.

Faint, illegible text near the bottom of the page.

Faint, illegible text at the very bottom of the page, possibly a footer.

فهارس الكتاب

- ١ - القبائل والامم والشعوب ٠٠٠ الخ
- ٢ - الاماكن والبقاع والجبال ٠٠٠ الخ
- ٣ - الاعلام
- ٤ - المواضيع

القبائل والامم والشعوب وما اليها

- بنحارث : ١٣٩
- بني زهير : ٢٤
- بنو السعلاة : ١٦٤
- بنو عبد الدار : ٩٠
- بني عتبه : ٢٥٦
- بني صخر «الصخور» : ٣٠ ، ٣١ ، ٢٤٩ ، ٣٥
- بني سليم : ٢٨ ، ٢٩
- البواسل : ٣١
- بني هزان : ٢٣٣
- بني هاجر : ٢٩
- بنو هلال : ٦٢ ، ٨٧
- بني مره : ٢٩ ، ٤٨
- « ت »
- تغلب : ٢٦ ، ٢٧
- تميم : ١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٥٥ ، ١٤٣ ، ١٣٢ ، ١٢٨
- « ج »
- الجبل : ٢٧
- الجبور : ٣١ ، ٣٣
- الجميل : ٣٣
- جلاس : ٢٨
- جهينه : ١٨
- « ح »
- الحريث : ٢٤
- حرب : ٢٨ ، ٢٩ ، ٢٣٢
- الحسنه : ٢٨
- الحوازم : ٢٥٣
- الحويطات : ٣٠ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣ ، ٣١٨
- « ا »
- آل بوسعيد : ١٥٥
- آل ابي الخيل : ٢٤١
- آل الجربا : ٢٥ ، ٨٥ ، ٢٠٦
- آل حجيلان : ٢٠٦
- آل خليفه : ٢٦ ، ٢١٠
- آل الرشيد : ٢٥ ، ٢٤٧ ، ٢٥٢ ، ٣٥٨ ، ٣٥٧
- آل سعود : ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٥ ، ٤٤ ، ٢٤٧ ، ٢٦٥ ، ٣٢٥
- آل الصباح : ٢٦
- آل الشعلان : ٢٤٨ ، ٢٥٢ ، ٢٦٠
- آل محمد : ٣٥ ، ٢٣٨
- آل مهيد : ٣٥
- الاتراك : ٢١٦ ، ٢٣٨ ، ٣٦٧
- الازد : ١٢٤
- ازد السراة : ١٣٢
- أسد : ١٢١ ، ١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٤٣
- اعجاز هوازن : ١٣٢
- امرؤ القيس بن تميم : ٦٨
- الانباط (النبط ، النبيط) : ٦٧ ، ٦٨
- الانصار : ١٢٤
- الايدة : ٢٨
- « ب »
- الباريا : ٣٢
- بشر : ٢٧
- بكر : ٢٧ ، ٧٦
- بني خالد «الخوالد» : ٣٠ ، ٣٥ ، ٣٧٣

« ص »

الصايح : ٢٦ ، ٨٤ ، ٢٣٨
صليب : ٣١ ، ٥٢ ، ١٥٤ ، ٢٠٥ ،
٢٧٣ ، ٣٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٢

« ض »

الضفير : ١٩ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٠٢
٣١٤

ضنا بشر : ٣٥

ضنا مسلم : ٣٥

« ط »

طيء : ٢٤ ، ١٣٧

الطوقه : ٣٠

« ع »

عبده : ٢٦٦

العبيد : ١٩ ، ٣٣

عتيبه : ٢٢٩ ، ٢٤٦ ، ٣٣٢

العزه : ١٩ ، ٣٣

العدوان : ٣٠

العساف : ٢٤

العقيدات : ١٩ ، ٣٣

العدنانيه : ٣٠

العجمان (يام) : ١٩ ، ٢٩ ، ٢٤٤ ،

٣٣٢ ، ٢٤٦ ، ٢٤٥

٣٦٧

عقيل : ١٦٥ ، ٢٤١ ، ٢٦٢ ، ٢٢٥ ،

عنزه : ١٩ ، ٢٦ ، ٣٥ ، ١٤٣ ، ٢١٨ ،

٣٦٤ ، ٣٣٢ ، ٣١٤

العوازم : ٣٣

العمارات : ٢٧

« خ »

خنعم : ١٦٥

الخنيزر : ٣٠

الخرشان : ٣١

« د »

الدهامشه : ٢٧

« ر »

ربيعة : ٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣٢

الرشايدة : ٣٣

الروله : ٢٨ ، ٣٥ ، ١٠١ ، ٢٤٨ ،

٣٣٢

الروم «الاروام» : ٢١١ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ،

٢٤٤

« ز »

زبيد : ٢٤

« س »

السبعة «الاسبعة» : ٢٧ ، ٢١٨

سعد بن بكر : ١٢٤

السعيديون : ٣٠

« ش »

الشراارات : ٢٥٣

شمر : ١٩ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٤٣ ، ٨٤ ،

٨٥ ، ١٧٠ ، ٢٠٦ ، ٢١٦ ،

٢٣٨ ، ٢٤٨ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ،

٢٦٨ ، ٢٨٦ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ،

٣١٨ ، ٣٣٢ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ،

٣٦٣ ، ٣٦١

شمر طوقه : ١٩ ، ٢٦

الشوايا : ٢٣

مزينه : ١٨
مسلم : ٢٧ ، ٢٨
المساليخ : ٢٨
مضر : ٦٢ ، ٦٧ ، ١٢٧ ، ١٢٨
المطير «المطران» : ٢٩ ، ٢٤٤ ، ٣٣٢ ،
٣٦٦
المنابهه : ٢٨
الموحدون : ٦٣
« ن »
بهد : ١٨
« و »
وائل : ٢٧ ، ٢٥٢
وهب : ٢٨
ولد علي : ٢٨
« ه »
هذيل : ١٤ ، ١١٨ ، ١٢٤ ، ١٣٢ ،
١٧٤
هوازن : ٣٠

« غ »

الغبين : ٣٠
الغفل : ٣٠
غزيه : ٣٠

« ف »

الندعان : ٢٧ ، ١٠١
الفرنح : ٢٤٤
الفرنسيون : ٣١
الفلايخ : ٢٣

« ق »

قريش : ١١٨ ، ١٣٢
قحطان : ٢٩ ، ٣١ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦
القعاينه : ٣١
قيس : ٦٤ ، ١٢١ ، ١٢٤ ، ١٣٢ ،
١٤٣
قيس عيلان : ٣٠

« م »

محلّف : ٢٨

الاماكن والبقاع والجبال والانهار وما اليها

تهامه : ٣٠ ، ٢٤٤	« أ »
« ث »	الابيض : ٢٩
الشميله : ١٠٠	أجأ وسلمى : ٢٤ ، ٢٥ ، ١٢٠ ، ١٢٥
« ج »	الاحساء : ٢٩ ، ٣٣ ، ١٣٩ ، ٣٢٦ ، ٣٧٣
الجزيره : ٢٤ ، ٢٥ ، ٦٥ ، ٩٣ ، ١٣٩ ، ٢٣٩	الاخضر : ٢٩
الجزيرة العربية : ٣٣ ، ٦٧ ، ٩٣ ، ١٠٦	الاردن : ١٦ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٤٤ ، ٨٠ ، ٩٣ ، ٢٢٢ ، ٣٢٠
الجوف : ٢٨ ، ٣١٦	افريقيا : ٦٣
الجولان : ٢٨	« ب »
جويان : ٢٨٠	بادية الشام : ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٣ ، ٩٣
« ح »	الباديه الجنوبية : ٢٨
حايل : ٢٥ ، ١٢٥ ، ١٧٠ ، ٢٤٨ ، ٢٦٢ ، ٣٠٢ ، ٣٢٦ ، ٣٥٧	البحرين : ١٦ ، ٢٦ ، ٢١٠
٣٧٠ ، ٣٦٢ ، ٣٦١ ، ٣٥٩	البحر الاحمر : ٢٩
الحجاز : ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٦٥ ، ٨٢ ، ١١٨ ، ١٣٢ ، ٣٢٠ ، ٣٣٥	برزان : ٤٢
الحجره : ٢٩	بريده : ٢٤١ ، ٢٦٣ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨
حلب : ٢٧	البصيه : ٢٨
الحماد : ٣٣	البطين : ٣٦٥
حمص : ٢٨ ، ٣٠	بقعا : ١٢٥ ، ٢٤٨
حمرين : ٢٦	البكيرييه : ٢٤٧
حوضي : ٢٨٥	البلقاء : ٣١ ، ٣١٦
حوض فلوان : ٢٩١	البلينخ : ٢٧
الحويجه : ٢٦	« ت »
حوران : ٢٧ ، ٢٨ ، ١٤٥	تدمر : ٢٨
	التريبي : ٣٦٨
	توران : ٢٤

١٥٨ ، ٨٠

السودان : ١٦

سوق العصر : ٣٣٠

سيناء : ١٦

« ش »

الشام : ١٦ ، ٢٨ ، ٩٧ ، ١٠٦ ،

١٤٥ ، ٣٢٤ ، ٣٣٠

الشاميه : ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٣

شثائه : ٣٦٦

الشنبل : ٣٦٥

الشونه : ٣٠

« ص »

صرغ : ٣١٩

الصريف : ٢٤١ ، ٣٢٥ ، ٣٣٦

الصفراء : ١٨

صفوى : ٢٤٤

الصمان : ٢٨٠

صنعاء : ٢٥٧

الصين : ٤١

« ط »

طعس الاراخم : ٣٢٨

طنطا : ٣٠

« ع »

العارض : ١٤٣ ، ٢٥٧ ، ٣٦٢

العراق : ١٦ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨

٢٩ ، ٤٤ ، ٨٠ ، ٨٩ ، ٩١

٩٢ ، ٩٣ ، ٩٧ ، ١٠٦ ،

١٥٨ ، ١٤٥

عزور : ١٨

العظيم : ٢٦

« خ »

الخابور : ٢٧ ، ٢٩١ ، ٣٦٥

خشيم الرعن : ٣٢٨

الخليج العربي : ٩٣

خليج العقبه : ٣٠

« د »

دجله : ٢٥

دسول : ٢٥٦

دومة الجندل : ٢٨ ، ٣١٦

الدهناء : ١٢٠

ديالى : ٢٦

دير الزور : ٣١ ، ٢٥٧

« ر »

الربع الخالي : ٢٩

رضوى : ١٨

الرطبه : ٢٧

الرمثه : ٣٠

الرها : ٣٦٥

الرياض : ٢٩ ، ٣٢٦ ، ٣٥٧

« ز »

الزبير : ٢٨

الزياره : ٢٣٠

« س »

سامراء : ٢٦

السره : ٢٤١ ، ٣٢٥

السعودية : ٢٨ ، ٣٠

سنجار : ٣٦٥

السلط : ٣٠

السماوہ : ٢٨

سورية : ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٤٤

« م »

المدينة : ٢٧ ، ٢٨ ، ١١٨
معان : ٣٠
المغرب : ١٦ ، ٦٢
مكة : ١١٨ ، ١٤٩
منطقة الحياض : ٢٨
الموصل : ٢٥
الميدان : ٣٣٠

« ن »

نجد : ١٦ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ،
٣٣ ، ٤٢ ، ٦٥ ، ٩٣ ، ٩٧ ،
١٣٣ ، ١٣٩ ، ١٤٣ ، ٢١١ ،
٢١٢ ، ٢٣٩ ، ٢٤٧ ، ٢٦١ ،
٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ،
٣١٨ ، ٣٢٥ ، ٣٢٨ ، ٣٦٢ ،
٣٦٥
نجير : ٢٥٦
النفوذ : ١٢٥ ، ١٢٩
نهبان : ١٨

« و »

وجام : ٢٤٤
ورقان : ١٨
وادي الرمه : ١٤٣
وادي البطين : ٢٩

« ي »

ياطب : ٣٥٨ ، ٣٦٢
اليمامه : ٢٩٤
اليمن : ٢٤ ، ١٢٤ ، ١٢٩
ينبع : ١٨

عكاش : ١٢٥ ، ٣٦٢

عمان : ٣١

عنيزه : ٢٤١ ، ٢٤٨ ، ٣٠٦ ، ٣٢٥

العوجه : ٢٥٧

عين تمر : ٢٩

« غ »

الغور : ٣٠

غور نميرين : ٣٠

« ف »

الفرع : ١٨

الفرات : ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٥٧

فلسطين : ٣٠

الفيوم : ٣١

« ق »

القرية : ٢٩

القصيم : ١٢٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٨ ، ٣٢٥

٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٣٠ ، ٣٦٢

قطر : ١٦

القطيف : ٢٩ ، ٣٣ ، ٢٤٤

القعره : ٢٧

« ك »

الكوت : ٢٦

الكويت : ١٦ ، ٢٦ ، ٣٣ ، ٢٤١

٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٣٠

« ل »

اللوى : ٣٢٨

لواء الدليم : ٢٧

ليبيا : ١٦

ليدن : ٧٧

الاعلام

ابن شريم : ١٧٦	« أ »
ابن عبلان : ٢١٩ ، ٢٢٠	ابن تيزن المغني : ٨٩
ابن عفالق : ١٢٦	ابن ثاني : ١٠٠
ابن عنگه : ١١٧	ابن جعيثين : ١٤١ ، ١٥٦ ، ٢٩١
ابن غبين : ١٠١	ابن جريج : ٨٩
ابن فارس : ١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٧	ابن جني : ٦٥ ، ١١٨ ، ١٢٩ ، ١٣٢
ابن فرج : ٩٣	١٣٧
ابن لعبون : ٩٢ ، ٩٣ ، ١١٥ ، ١٢٣	ابن حبيب : ٨٩
١٦٢ ، ١٦١ ، ١٣٣	ابن الحجاج : ٢٥٧ ، ٢٧٠
٢٥٣ ، ٢٣٢ ، ٢٠٦	ابن خلدون : ٤ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ١٢٧ ، ٨٣ ، ٧٧ ، ٦٧
٢٧٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٥	١٤٥ ، ١٥٤ ، ٢٥٠ ، ٣٧٣
٢٩٠ ، ٢٩٣ ، ٣٠١	ابن ربيعه ، ١١٦ ، ١٥٣ ، ١٧٠ ، ٢٥٥ ، ٢٥٣
ابن ناعم : ١٣٩	ابن رشيد : ٤٢ ، ٨٤ ، ١١٧ ، ١٢٣
ابن منظور : ١٣٢ ، ٢٧١	١٣٨ ، ١٤٤ ، ١٥٢ ، ٢٤١ ، ٢٦١ ، ٢٥٢ ، ٣٠٢
ابن هرمه : ١٢١	ابن رشيق : ١٤ ، ١٧٣ ، ٢٧١ ، ٢٧٢
ابو تايه (عوده) : ٢٥٣	ابن رومي : ٢١٩ ، ٢٢٠
ابو ثامر : ٢١٠	ابن سبيل : ١٦٧ ، ١٦٨ ، ٢١٢ ، ٢٩٨ ، ٢٨٦
ابو جعفر : ٩٢	ابن سعود : ٨٤ ، ٢٦١ ، ٢٦٤
ابو حاتم السجستاني : ١٢٤	ابن سكره : ٥٧ ، ٢٧٠
ابو حمزه العامري : ٦٦ ، ٦٧ ، ١٠٩ ، ١٣٤ ، ١٤٩	ابن سناء : ١٥٦
١٦٢ ، ١٥٤	ابن سليم : ٢٦٢
١٦٧ ، ١٩٦	ابن سيده : ١١٨ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٣٢ ، ١٢٩
ابو خراش : ١٣٥	
ابو دؤاد الايادي : ١٧٤	
ابو ذؤيب الهذلي : ٢٩٥	
ابو زكريا بن ابي حفص : ٦٣	
ابو زيد : ١١٨ ، ١٢٤ ، ١٤٠	

- ابو زيد الهلالي : ٤٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠
 ابو سفيان : ٩٠
 ابو سليمان الغنوي : ١٦٥
 ابو صخر الهذلي : ١٧٤
 ابو الطيب (عبدالواحد بن علي اللغوي الحلبى) : ١٢٤ ، ١٢٥
 ابو العباس : ١٢٠
 ابو عبيده : ٩٠ ، ١١٨
 ابو علي : ٦٥
 ابو عمر الهذلي : ١١٨
 أبو الغول الطهوي : ٢٩٤
 أبو الفضل : ٦٨
 ابو الكباير : ٢٤٩
 ابو المثلم الهذلي : ١٧٤
 ابو مسافع : ١٦٥
 ابو النجم : ٨٧ ، ٨٨ ، ١٢٠
 ابو نؤاس : ٢٥٧
 ابو نهيه : ١٤٤
 ابراهيم القاضي : ٢٩١
 احمد بن عبدالله السديري : ٢٣٤
 احمد حسن الخطيب : ١٢ ، ١٥٧ ، ٢١٥
 احمد بن يحيى : ١٢٩
 الاخطل : ٨٣
 الاخفش : ١٣٢
 اخوشاهه : ١١٨
 الاشتر النخعي : ٣٠٢
 الاصمعي : ٦٢ ، ١٦٤
 الاعشى : ١٩٧ ، ٢٩٣
 اعشى همدان : ١١٩
 الاغلب العجلي : ٨٨
 الألوسي : ٩٠
- الامام علي : ٤٢
 امرؤ القيس : ١٤ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠
 ١٧٣ ، ١٩٥ ، ١٩٧
 ٢٠٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩٦
 ٢٩٧ ، ٣٠٤
 أم سلامه : ٦٤
 ام الهيثم : ١٢٤
 « ب »
 باذراع : ٣٠٢
 البديوي : ١١٣ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٦٢
 بديوي الوقداني : ١٤٢
 بركات الشريف : ١٤٩ ، ١٥٤ ، ١٥٥
 ١٧٤
 البستاني : ٣١
 بروكلمان : ٣٢ ، ٧٠ ، ٧٧ ، ٨٢
 بشامه بن حزن النهشلي : ٢٩٢
 بكر بن وائل : ٢٦ ، ٢٩
 بولس سلمان : ٤٣ ، ٢٨٤
 بول سبيو : ٧٢
 بهاء الدين السبكي : ١٠٨
 « ت »
 تركي بن حميد : ١١٢ ، ٢٤٦ ، ٢٩٥
 تركي بن عبدالله السعود : ١١٣ ، ٣٦٤
 « ث »
 الثعالبي : ٢٧٠
 « ج »
 الجاحظ : ٦٤
 جران العود : ١٢١
 الجربا : ٢٦
 جرجي زيدان : ٧٧
 جرى الجنوبي (الشريف) : ١٤١ ،

- ١٥٤ ، دغيم بن سويط : ٣١٤ ،
 ١٥٥ دخيل بن ناعم : ٢٣٨ ،
 جريير : ٨٣ ، ٨٨ ، ٢١٨ ، ٢٢٥ ، دكيس : ١٥٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ،
 ٢٥٧ ، ٢٥٥ الدويش : ١١٨ ،
 « ذ »
 ذو الرمة : ٤٨ ، ٦٨ ، ٧٨ ، ١٢٠ ،
 ذو الاصبع العدواني : ١٣٦ ،
 ذياب بن غانم : ٤٨ ، ٢٠٩ ،
 « ز »
 راشد الخلاوي : ٦٦ ، ٦٧ ، ١٠٩ ، ،
 ١٥٤ ، ١٣٤ ، ١٢٣ ،
 ٣٧٣ ،
 راكان بن حثلين : ٤٧ ، ٥٠ ، ٥٧ ، ،
 ١٤٢ ، ١٤٠ ، ١٠١ ،
 ١٦١ ، ١٥٣ ، ١٥١ ،
 ٢٧٩ ، ٢٤٥ ، ٢١٥ ،
 ٣٦٧ ، ٢٩٤ ، ٢٨١ ،
 ردهان بن عنقه : ٢١٦ ،
 رشيدان : ١٥٥ ،
 رميزان : ١٦٢ ، ٢٨١ ،
 رميم : ٤٨ ،
 رؤبه : ٨٨ ، ١٤٠ ،
 رولان : ٧٣ ،
 الرياشي : ١٢٤ ،
 رينو : ٦ ، ٢٠ ، ،
 « ز »
 زهير بن ابي سلمى : ١١ ، ١٥٢ ، ،
 ٢٩٦ ، ٢٠٤ ،
 ٣٠٤ ، ٣٠١ ،
 « س »
 سحيم : ١٩٧ ،
 سظام الشعلان : ٢٧٧ ،
- ١٥٤ ،
 ١٥٥ ،
 ٢٢٥ ، ٢١٨ ، ٨٨ ، ٨٣ ،
 ٢٥٧ ، ٢٥٥ ،
 جواس بن هريم : ١٦٦ ،
 جوسن الدومنيكي : ٣٦ ،
 « ح »
 الحارث بن عمرو : ٣٠ ،
 حاتم الطائي : ٤٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ،
 ٣٠٤ ، ٢١١ ،
 حسان بن ثابت : ٧٧ ،
 حمد الباسل : ٣١ ،
 الحميدي : ١١٨ ،
 حميدان الشويعر : ١٦١ ، ١٦٢ ، ،
 ٢١١ ،
 جنوب الهذليه : ١٧٤ ،
 حواس الصديد : ٨٤ ،
 « خ »
 خالد بن الوليد : ٣٠ ، ٤٨ ، ٢٠٩ ، ،
 خالد بن محمد الفرج : ١٧٠ ،
 خلف الاذن : ٢٦٠ ،
 خلف السنافي : ٢٠٢ ،
 خلف السنجاري : ٢٧٧ ،
 خلف الضاحي : ١٣٨ ،
 الخليل بن احمد الفراهيدي : ١٣ ، ،
 ٧٠ ، ٦٩ ،
 ٧١ ،
 الخنساء : ١٤ ، ١٧٤ ، ،
 خير الدين الزركلي : ٢٨٤ ،
 « د »
 داود المكي : ٨٩ ،
 الدسم : ٥٥ ،

- الظلماوي : ٢٠٨
« ع »
العاصي : ١١٨
عامر السمين : ١١٣ ، ١٤٩
عبد الحميد يونس : ٧٣
عبد الرحمن بن حسان : ١١٩
عبد الرحيم راعي الشقرا : ٢٩٥
عبد العزيز آل سعود : ٢١١ ، ٢٨٧
عبد العزيز بن عيد (العزي) : ٨٥ ،
١١٥ ، ٢٠٦ ، ٢٨٦
عبد العزيز المحمد القاضي : ١٤٩ ،
١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٧٤ ،
٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨
عبد الله بن خميس : ٨ ، ٧٩ ، ٨١ ،
٩٣ ، ٩٧ ،
١٥٦ ، ١٧٠
عبد الله بن مبارك : ٨٩
عبد الله بن سبيل : ١١٢ ، ١٥١ ، ١٩٣
عبد الله الزامل : ١٧١
عبد الله العلي الرشيد : ٢٣٥ ، ٣٥٧
عبد الملك بن مروان : ٨٧
عبد المحسن آل هذال : ٢١٣
عبيد بن الابرص : ٦٩
عبيد بن حميد : ٢٢٩ ، ٢٣٠
عبد العظيم قناوي : ٢٧٣
عبيد العلي الرشيد : ١٦٩ ، ١٧٠ ،
٢٤٨ ، ٢٦٢ ،
٣٥٦ ، ٣٦٧
العجاج : ٨٨
عجلان بن رمال : ٢٦٤
عرام بن الاصبخ السلمي : ١٨
العرجي : ٨٣
- سعود بن عثمان بن نحيط : ١١٤
سلطان بن مظفر : ٦٢
سليم بن عبد الحجي : ١٧٦
سليمان بن عفالتق : ٢٩٤
سليمان بن علي التميمي : ٢٦٩
سيبويه : ١٢٦
سيطه السطام : ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢٨٧
السمعاني : ٢٦
السيوطي : ١٠٨ ، ١٢١
« ش »
الشجري : ١٢٢
الشرابي : ٩١
شوقي ضيف : ٧٠ ، ٧١ ، ٢٨٨ ،
٢٨٩ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨
٣٠٠
شهاب الدين : ٦٤
شهاب اليربوعي : ٦٩ ، ٧٠
« ص »
الصديد : ٢٦
صفوق الفارس الجربا « المحزم » :
٢٤ ، ٤٣ ، ٢١٦ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩
صقار الكبيسي : ١٤٣
« ض »
ضيف الله بن حميد : ٢٢٩
« ط »
طه حسين : ٤ ، ١٠ ، ١٠٦ ، ١٤٧ ،
١٨٠ ، ٢٨٤
طراد السطام : ٢١٥
طرفه بن العبد : ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٣٠٤
طفله الدويش : ٢٠٢
طلال العبد الله الرشيد : ٢٠٩
« ظ »

فارمر : ٧٦ ، ٧٧
الفراء : ١٦٤
فرايتاج : ٨٢
الفرزدق : ٨٣ ، ٨٧ ، ٢٥٥
فيصل بن تركي العبدالله السعود :
١١٣ ، ١٣٣ ، ٣٦٤

« ق »

قدامه : ١٧٣
قره بن خالد : ٧٧
القلقشندي : ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٤
قيس بن الملوح : ٤٨

« ك »

كافور : ٦٨
كرنكو : ٨٢
كليب : ٧٦ ، ٢١٠ ، ٣٣٦

« ل »

لبيد : ١١ ، ١٣٦ ، ١٥٢
ليلي : ٤٨

« م »

ماجد الحثري : ١٣٨ ، ٣١٣
ماجد الدويش : ٢٠١ ، ٢٠٢
مارتينه : ٦
المبرد : ٢٧١
مبارك الصباح : ٢٤١ ، ٢٨٧ ، ٣٢٥
المتنبي : ٤١ ، ٦٨ ، ٢٦٥
المجنون : ٤٨
مجيدع الربوض : ٣١٨
محسن الهزاني : ٩٦ ، ١٠٩ ، ١١٤
١٥٣ ، ١٥١ ، ١٤٢
١٧٤ ، ١٧٢ ، ١٧١
٢٣٣ ، ٢٧٥ ، ٢٩٢
٣٠١

محمد آل علي العرفج : ١١٥

عروعر بن دجين : ١٥٤ ، ١٥٥ ، ٢٣٦
عزيب : ١٣٢
العكبري : ١٣٢
علباء بن الارقم : ١٦٤
علقمه الفحل : ٧٦ ، ٢٩٤
العليمي : ١١١
عمار الكلبي : ٦٦

عمر بن ابي ربيعة : ٨٣
عمر بن الخطاب : ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٨
عمرو بن العاص : ٤٨ ، ٢١١
عمرو بن قيمته : ٦٩
عمرو بن كلثوم : ٢٨٩ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥
عمرو بن مالك : ٧٦
عمرو بن معد يكرب : ٤٨ ، ٢٠٩ ،
٣٠٤

عمرو بن يربوع : ١٦٤
عمرو ذو الكلب : ١١٩
عمشه : ٢٤
عنتره بن شداد العيسي : ٤٨ ، ٢٠٩
٢١٠ ، ٢٩٣ ، ٣٠٢
٣٠٤

عنز بن وائل : ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩
عيسى بن علي آل خليفه : ٢١٠
عيسى بن عمر : ١١٨
العوني : ٤٥ ، ١١٠ ، ١١٤ ، ١١٦
١٢٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٥٠
١٦١ ، ١٦٦ ، ١٧٠ ، ١٧١
١٧٥ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢٣٩
٢٤١ ، ٢٤٧ ، ٢٥٢ ، ٢٨٧
٢٩٩ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦

« ف »

الفارابي : ٧٧
فارس الجربا : ٢٤

- محمد بن الحسن : ١٢٩
محمد بن الرشيد : ١٧٠ ، ٣٢٥ ،
٣٢٦ ، ٣٥٨ ،
٣٧٠
محمد بن سعود (غزالان) : ١١٠ ،
١٤٣ ،
٣٧٠
محمد الصالح القاضي : ١١٧ ، ٢٩٢
محمد العبدالله القاضي (القاضي) :
٤٥ ، ٤٧ ، ٩٥ ، ١١٠ ، ١١١ ،
١١٢ ، ١٢٢ ، ١٤٧ ، ١٥٣ ،
١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ،
١٧٣ ، ١٧٦ ، ٢٠٩ ، ٢٧٣ ،
٢٧٨ ، ٢٨٥ ، ٣٠٦
محمد العبدالله (ابو الخيل) : ٣٢٦
محمد بن هادي : ٢٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦
مخلد الختامي : ١٧٤
المرار الاسدي : ٧٨
المرزباني : ١٦٦
المرقش الاكبر : ٦٩ ، ٧٠
مشعان بن هذال : ٨٦ ، ١٣٣ ، ١٣٨ ،
١٤٤ ، ٢٣٣ ،
٣٦٤
مصطفى عوض الكريم : ١٣ ، ١٦٤
مضحى بن وحير : ٢٦٦
مغاز بن وائل : ٢٩
معاوية بن ابي سفيان : ٥٨ ، ٥٩
المعري : ٦٨
معزي : ٢١٣
معن بن زائده : ٢١٠
المعيضي : ١٦٨
المغيره بن شعبه : ٨٨
مفوز التجنيف : ٣١٣
المفضل : ١٢٤
- ممدوح السطام : ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢٨٧
منير العجلاني : ١٠٧
منيع بن سالم بن عريعر : ٣٧٣
مولر : ٥ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ،
المهلhel : ٤٩ ، ٧٦ ، ٢٠٤ ، ٢١٠ ،
٣٣٦ ، ٣٠٤
ميسون بنت بحدل : ٥٨ ، ٥٩
- « ن »
النابغة : ٢٠٧
النابغة الجعدي : ٧٧ ، ٧٨
ناصر العريني : ١٤٣
نشوان الحميري : ٢٤
النجدي : ٢٩٣
نمر بن عدوان : ١١١ ، ١٣٤ ، ١٤١
١٤٦ ، ١٦١ ، ١٦٧
٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٦
نواف الشعلان : ٢٥٢
نوري الشعلان : ١٠١ ، ٢٥٢ ، ٢٦٠
نوره : ٥٢
- « و »
وائل : ٢٣٣
وصفي زكريا : ٦ ، ٩ ، ٢٠ ، ٢١ ،
٢٤ ، ١٠٧ ، ١٠٨
وضحا : ١٤٦ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤
الوضيحي : ١٩٨
وطبان : ٢٠٢
- « ه »
هرم بن سنان : ١٥٢ ، ٢٠٤
هند بنت عتبه : ٩٠
الهمداني : ٦٥
هوميروس : ٧٣
- « ي »
ياقوت الحموي : ٢٤

التبّت

الموضوع	الصفحة
المدخل	(٣ - ١٦)

الباب الاول

الفصل الاول

البدو وأقسامهم	(١٧ - ٢٣)
أوصاف البدو ، تعريف البدو ، أقسام البدو في الجاهلية والوقت الحاضر ، البدو الرحل ، البدو نصف الرحل ، العشائر المستقرة .	

الفصل الثاني

أهم القبائل البدوية	(٢٤ - ٣٣)
قبائل شمر وتفرعاتها ومواطنها ، قبائل عنزه وفروعها ومواطنها ، الضفير ، قبائل حرب ، المطير ، العجمان ، بني مره وبني هاجر ، قحطان ، بني خالد ، الحويطات ، العدوان ، بني صخر ، صليب او صلبه اقسامهم وآراء الكتاب والباحثين بهم .	

الفصل الثالث

التكوين الاجتماعي عند البدو	(٣٤ - ٤١)
الاسرة والعائلة ، حقوق وواجبات أفرادها . . علاقاتهم طبقات الانساب قديما وحديثا ، الرئاسة (المشيخة) صفات الرئيس ، ما يشترط به ، حقوقه وواجباته ، مساكن البدو وأوصافها ، ملابسهم نساء ورجالا وأوصافها وتعدد أنواعها .	

الفصل الرابع

حياتهم ، الدينية والعقلية	(٤٢ - ٤٨)
العقيدة عند البدو ، بساطتها ، توحيدهم المطلق ،	

النفور من قبور وأضرحة الاولياء ، مناقشة آراء الباحثين في ذلك ، الارث ، مظهر جاهلي في قضية الارث ، معارفهم وعلومهم ، الطب ، النجوم ، مسالك الطرق ، الجو ، معرفتهم بشيء من التاريخ ورجالاته .

الفصل الخامس

الحالات الاجتماعية (من شعرهم) (٤٩ - ٦٠)

اخلاقهم ومزايهم ، خصالهم الحميدة ، الكرم ، النجدة ، الغزو ، اعتزازهم به ، الثأر . . احتقارهم للصناعة وللزراعة - احتقارهم للحضر وسكنة الارياف ، اعتزازهم بالانساب .

الباب الثاني

الشعر عند البدو (٦١ - ٧٤)

اقدم النصوص ، رأي ابن خلدون ، نشأة هذا الشعر ، تطوره ، مناقشة هذه النشأة ، ظهور اللحن على السنة البدو ، علاقة ذلك في نشأة هذا الشعر ، هل يعتبر هذا الشعر شعبيا ، مناقشة ذلك .

الباب الثالث

أنواع الشعر البدوي (٧٥ - ١٠٤)

- مناقشة علاقته بالغناء ، الشاعر وكونه شاعرا ومغنيا ، ارجاع ذلك الى أصوله الجاهلية ، أنواعه .
- ١ - القصيد : تسميته ، أوزانه ، مواضيعه ، نماذج منه ، طرق انشاده .
 - ٢ - الحداء : تسميته ، علاقته بالرجز ، أوزانه ، مواضيعه ، نماذج منه ، طرق انشاده .
 - ٣ - السامري : تسميته ، أوزانه ، مواضيعه ، نماذج منه ، طرق انشاده .

- ٤ - الهجيني : تسميته ، أوزانه ، مواضيعه ، نماذج
منه ، طرق انشاده .
أنواع أخرى ثانوية ، ما يرافق رقصة الدحة ، الحماشي .

الباب الرابع

الفصل الاول

- (١٤٦-١٠٥) خصائص الشعر البدوي
لغته ، كونها قبلية عامة ، ارجاع مظاهرها الى اللهجات
القديمة ، معانيه ، عواطفه ، مرافقة القصة له .

الفصل الثاني

- (١٥٥-١٤٧) القصيدة وخصائصها
بناؤها ، مشابهة ذلك لبناء القصيدة الجاهلية ،
المطالع ، الخواتم ، تعدد المعاني في القصيدة الواحدة ،
الانتقال من معنى الى معنى .

الفصل الثالث

- (١٧٧-١٥٦) الاوزان والقوافي
١ - الاوزان ، تعددها ، مناقشة لآراء من تطرق لها ،
اشتمالها على اكثر أوزان العروض العربي .
٢ - القوافي ، نشأتها ، اسمها عندهم ، أنواعها ،
القوافي الداخلية .

الباب الخامس

- (٢٨٢-١٨٠) اغراض الشعر البدوي

الفصل الاول

- (٢٠٣-١٨١) الغزل

- ماهيته ، العوامل التي أدت اليه ، عفته ، انواعه ، حسيته ، المعاني والتشبيهاة ، الصفات المحببة في المرأة ، قصص المغامرات الشعرية ، مشابقتها لقصائد امرىء القيس وغيره ، الغزل النسوي • نماذج منه •

الفصل الثاني

- المُدح (٢١٤-٢٠٤)

صدقه ، العوامل الدافعة لقوله ، معانيه ، دورانها في دائرة معاني شعر المديح الجاهلي • نماذج منه •

الفصل الثالث

- الرثاء (٢٣٠-٢١٥)

نظرتهم للموت ، معانيه ، صدق عواطفه ، اقتصارهم في قوله على الرجال دون النساء ، المرأة لا ترثي ، شذوذ ذلك عند نمر بن عدوان • نماذج منه •

الفصل الرابع

- الفخر والحماسة (٢٤٩-٢٣١)

أسبابه ، معانيه ، قيمته ، ترديده لمعاني الفخر والحماسة الجاهلية ، النقائص وكثرتها في هذا الغرض ، وصف المعارك ، المباهاة • نماذج منه •

الفصل الخامس

- الهجاء (٢٧٠-٢٥٠)

دوافعه ، معانيه ، المثالب ، عدم الاسفاف فيه ، اقرارهم للخصم ، وروده مختلطا بالفخر والحماسة ، النقائص ، انواع اخرى من الهجاء السياسي والكاريكاتيري • نماذج منه •

الفصل السادس

(٢٧١-٢٨٢) الوصف

ماهيته ، معانيه ، دقته ، تصويره لكل ما تقع عليه
عيونهم ، كثرة وصف الابل والخيل والمطر والقفار ،
وروده كغرض من اغراض القصيدة وليس كغرض
قائم بنفسه • نماذج منه •

الباب السادس

(٢٨٣-٣٠٤) مقارنة بين الشعريين ، البدوي والجاهلي

اتفاق المعاني والصور ، الاتفاق في بناء القصيدة ،
الاتفاق ، في الاغراض ، ورود ابيات لشعراء جاهليين
في شعرهم ، تفسير ذلك • الشعر البدوي هو الشعر
الجاهلي مع فساد لغته •

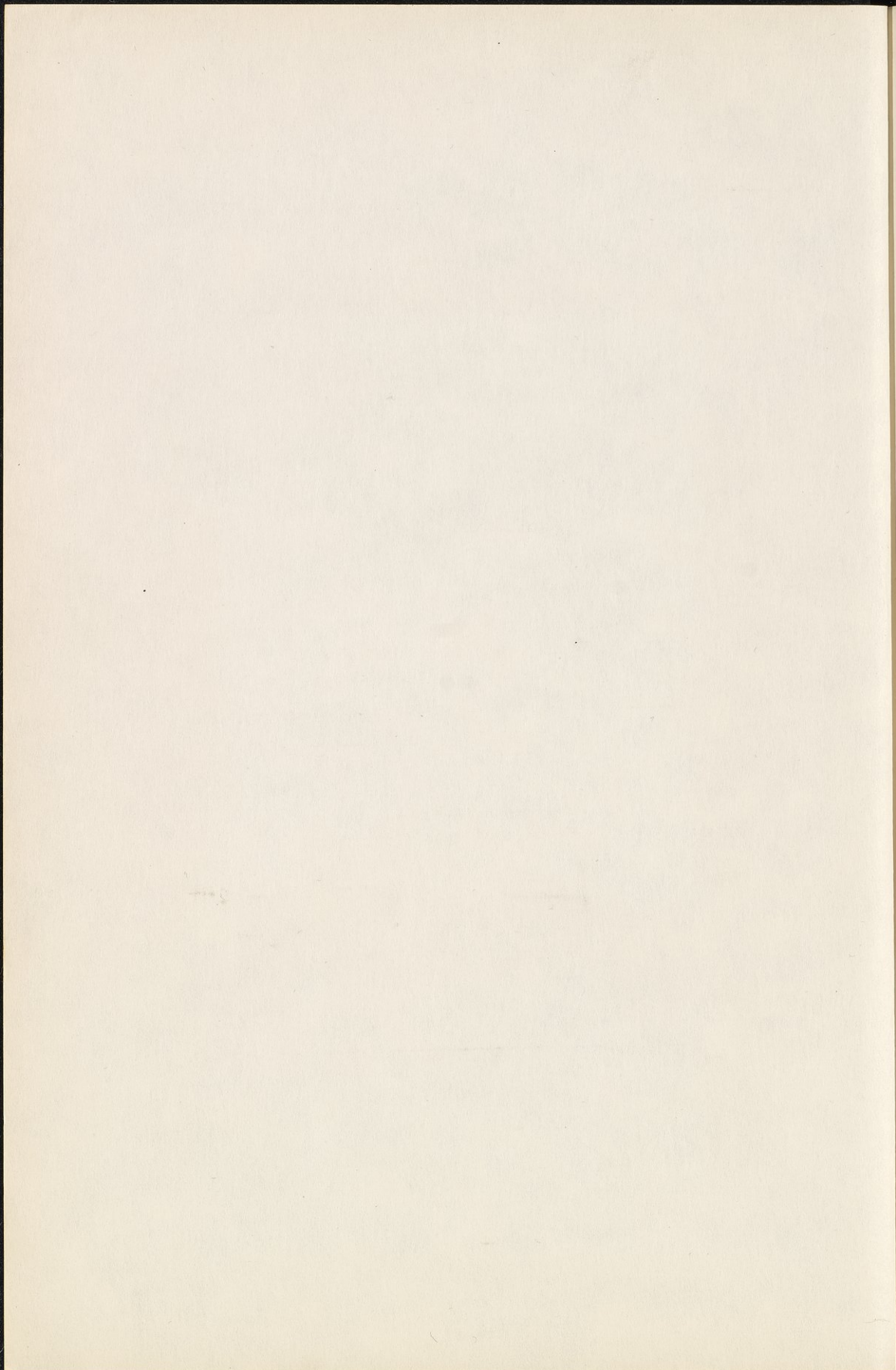
الباب السابع

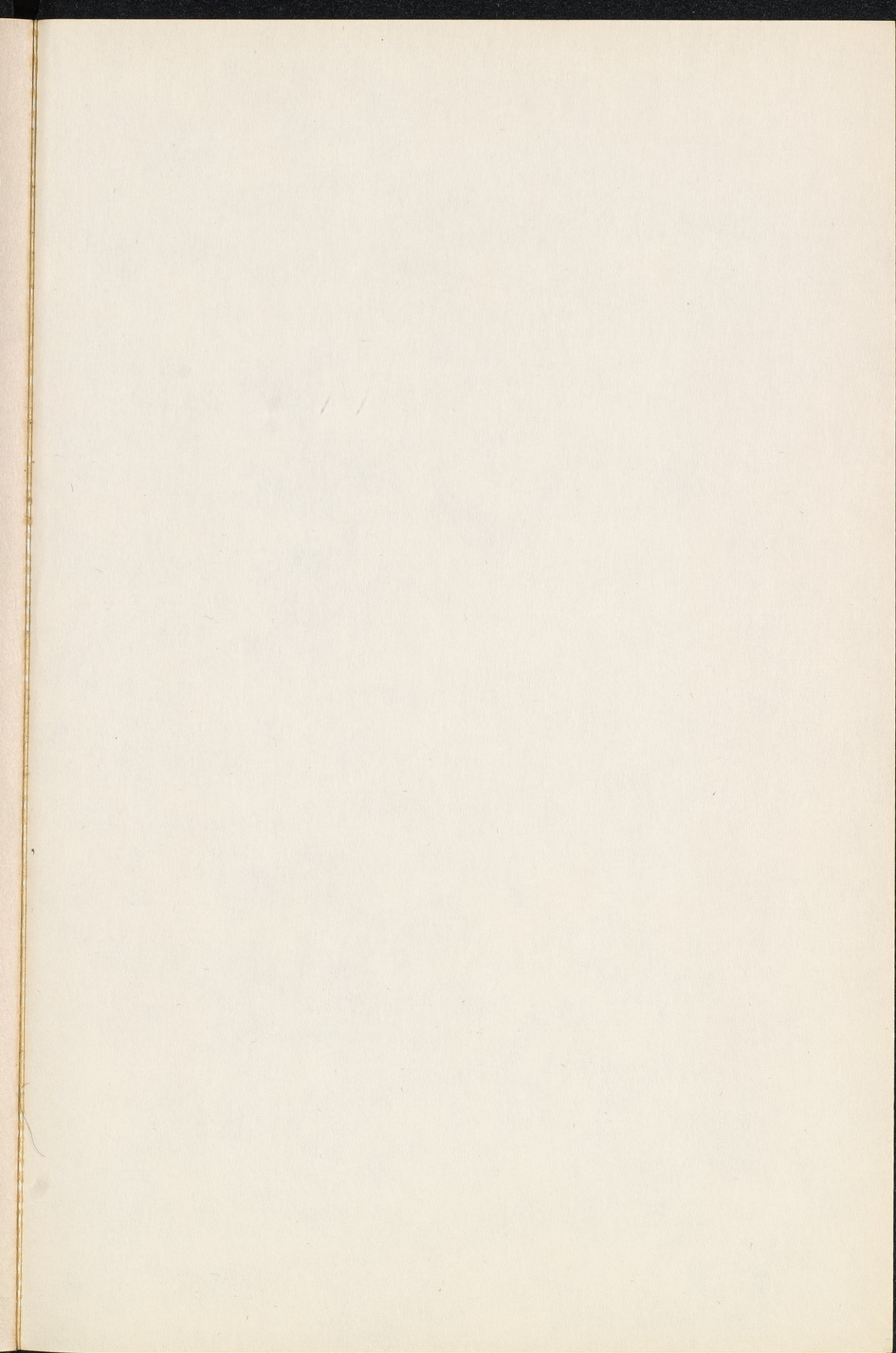
(٣٠٥-٣٨٢) نماذج من شعر البدوي

نماذج لأشهر شعرائهم ، تراجم موجزة لهؤلاء الشعراء
شرح هذه القصائد •

(٣٨٣-٣٨٩) المراجع

(٣٩٠-٤٠٨) الفهارس العامة





DATE DUE

APR 17 1982

DATE DUE

~~GL MAR 20 1982~~

10604685

CALL NUMBER / MAIN ENTRY



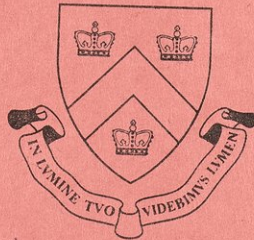
INSERT



BOOK CARD

PLEASE DO NOT REMOVE.
A TWO DOLLAR FINE WILL
BE CHARGED FOR THE LOSS
OR MUTILATION OF THIS CARD.

Columbia University
in the City of New York



THE LIBRARIES

PRINTED IN U.S.A.

JTC 22693

1 2 3 4 5 6 7 8 9 10 11 12 13 14 15 16 17 18 19 20 21 22 23 24 25 26 27 28 29 30 31 32 33 34 35 36 37 38 39 40 41 42 43 44 45 46 47 48 49 50 51 52 53 54 55 56 57 58 59 60 61 62 63 64 65 66 67 68 69 70 71 72 73 74 75 76 77 78 79 80

893.782
K128

10604685

MAY 10 1966

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU58888675

893.782 K128

Shir'inda al-Badw.